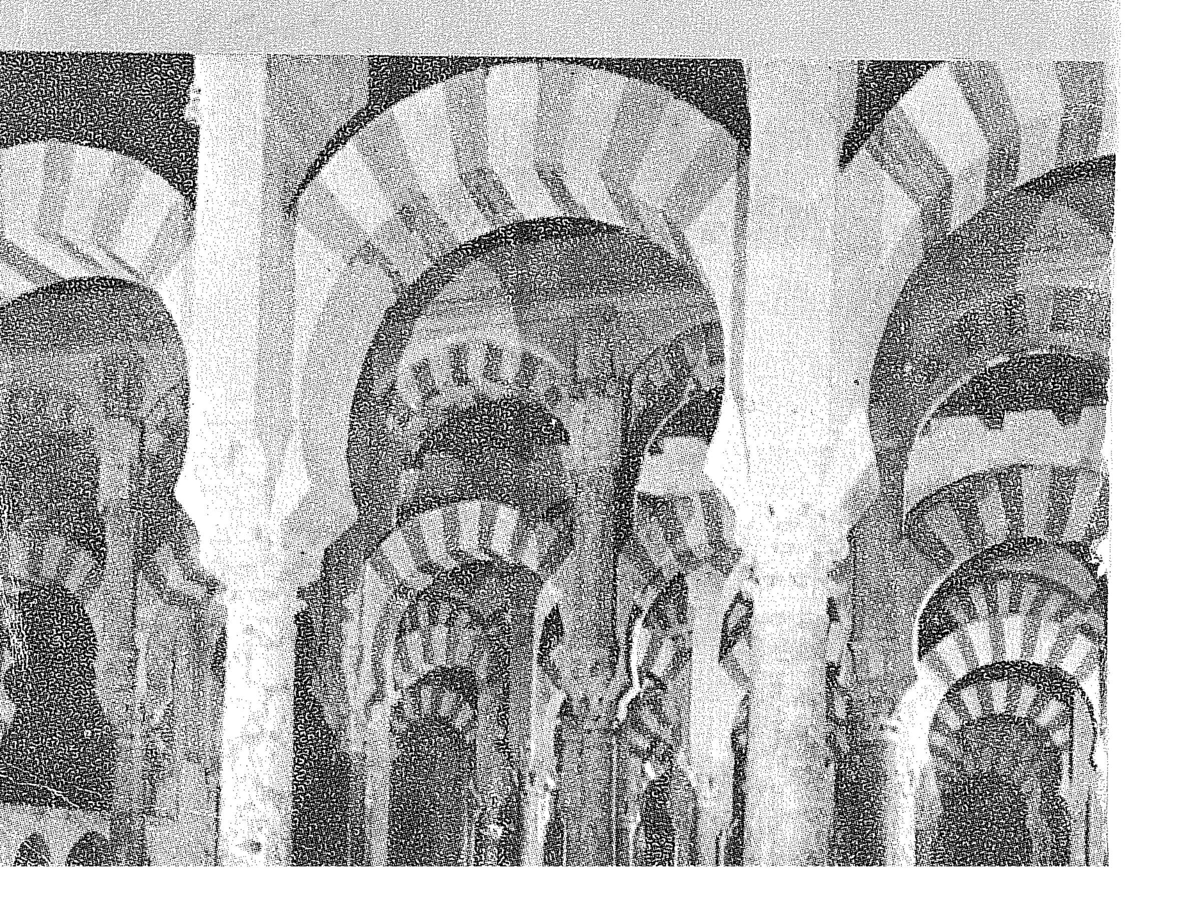
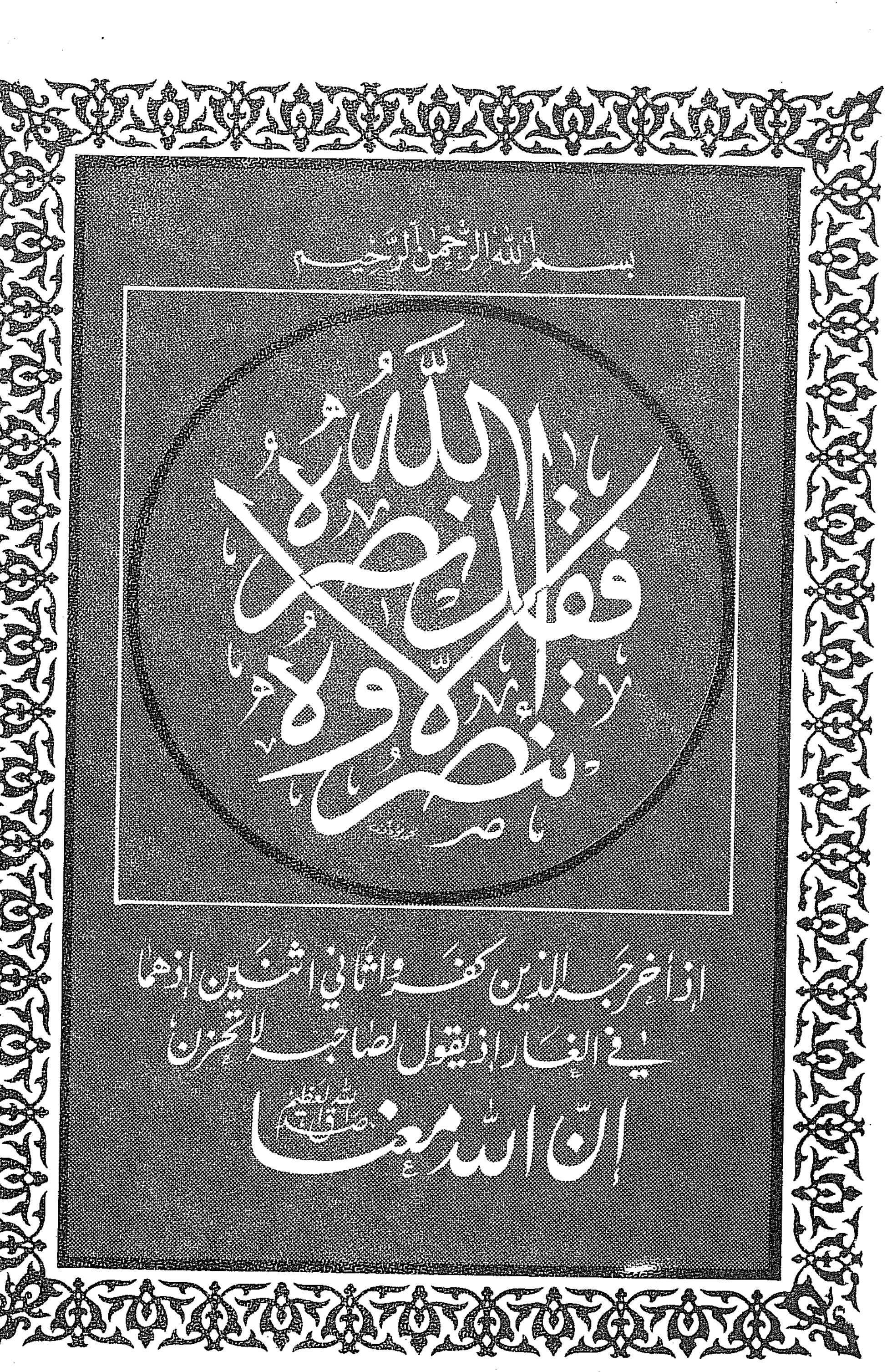
# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

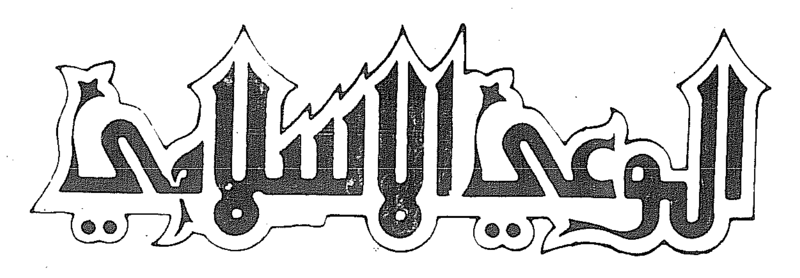
العدد ٢٥٣/ محرم ١٤٠٦ هـ - سبتمبر ١٩٨٥ م

## قرطبة.. جوهرة الدنيا الخالدة





بسم الله الرحمن الرحيم
الا تنصروه فقد نصره الله
اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما
في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن
ان الله معنا
صدق الله العظيم




# AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P O BOX: 23667

السنة الثانية والعشرون

ـ العدد ٢٥٣/ محرم ١٤٠٦ هـ ـ سبتمبر ١٩٨٥ م


## هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

## تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .


## عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

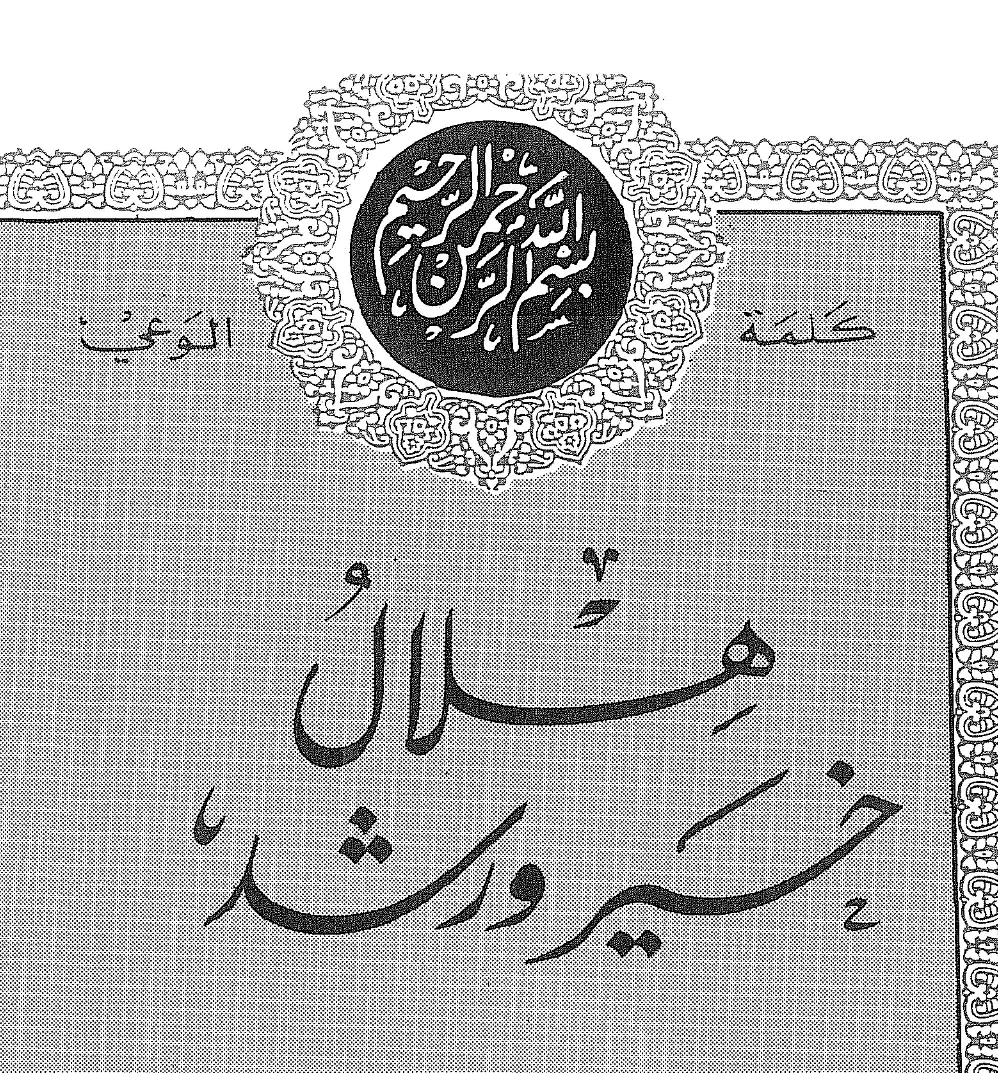
صندوق بريد
( ٢٣٦٦٧ ) الكويت

هاتف ٤٣٨٩٣٤ ـ ٢٤٦٦٣٠٠


## ● الثمن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٥٠ فلسا |
| جمهورية مصر العربية | ٢٠٠ مليما |
| السودان | ١٥٠ مليما |
| السعودية | ريالان |
| دولة الامارات العربية | درهمان |
| البحرين | ١٥٠ فلسا |
| العراق | ١٥٠ فلسا |
| الأردن | ١٥٠ فلسا |
| سوريا | ليرتان |
| لبنان | ليرتان |
| تونس | ٢٠٠ مليم |
| الجزائر | ديناران |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| قطر | ريالان |
| سلطنة عمان | ٢٠٠ بيسه |
| المغرب | درهمان |

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٥٠ فلسا كويتيا




في مطلع شهر الله المحرم من كل عام ، يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، بذكرى الهجرة المحمدية ، لأنها كانت منعطفا تاريخيا لدعوة الحق التي ظلت حبيسة في مكة نحو ثلاثة عشر عاما ثم أراد الله لها أن تنطلق الى آفاق الدنيا ، تفتح أمام العقل البشرى كتاب الكون ، وتحرره من قيود الجهل والضلال ، وتصون الحياة من السجود لغير الله ، وتضع للناس موازين الحق والعدل ، ودستور التعاطف والتراحم والإخاء ، وكانت الهجرة أعظم حدث هز سمع الزمن بجهاد أكرم إنسان ، حتى أصبح سلطان الأرض في قبضة المؤمنين بسلطان السماء ، وصدق الله العظيم **( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا )** الآية ٥٥ سورة النور.

قبل الهجرة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة . فاقتنع بدعوته قوم وساروا في طريق النور ، وكفر بها قوم حسدا من عند انفسهم ، لانهم راوا في الدعوة الجديدة خطرا يهدد كيانهم ، ويوقف طغيانهم ، ما دامت هذه الدعوة تحمي الضعيف المستعبد ، وتنصف المظلوم

المقهور . فاعلنوا ثورتهم الحاقدة ، على كل من اسلم ولو سرا ، مع يقينهم بانها دعوة الحق ، وإيمانهم بان القرآن من عند الله وليس من عند محمد ، وليس من صنع البشر ، حتى قال قائلهم ، **والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وان اعلاه لمثمر ، وإن اسفله لمغدق** ، وما يقول هذا بشر ، ويتصدى صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم لثورتهم بكل ما عرف البشر

من قوة وصلابة ، وعزة وإباء ، لم ينالوا منه باسلوب الاغراء حين عرضوا عليه الملك والرئاسة ، وسلطة الحكم وخزائن المال ، وقد علمهم ان عطاء الدعوة فوق كل عطاء ، وأن ما عندالله خير وابقى ، ولما فشل أسلوب الاغراء ، لجأوا إلى التهديد والوعيد ، ثم ذهبوا إلى عمه ابي طالب ليحول بينه وبينهم ، وإلا ففي الحرب تصفية الحساب ، ويجيب الرسول الاعزل من

كل سلاح إلا سلاح الايمان قائلا ، والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على ان اترك هذا الامر ما تركته ، حتى يظهره الله أو اهلك دونه ، وكانت هذه الكلمة تقريراً لمبدأ ، وتحديدا لابعاد الصراع الدائم بين الحق والباطل ، وعلى هذا المبدأ مضى صلى الله عليه وسلم في دعوته .

يواجه ومن معه آلام الصراع ، ومشاق الدعوة ، وكيد الشرك ، وهو معتصم بمولاه ، مؤمن بأن النصرآت لا ريب فيه ، وأن الله سيتم نوره ولو كره الكافرون ، وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله افواجا ، وترددت في كل جوانب الأرض كلمة لا إله إلا الله ، ولم تكن الهجرة ابدا فرارا من

الاذى ، أو خوفا من التعذيب كما يغمز بذلك اعداء الاسلام ، ولكن كانت بداية انطلاق لأمة جديدة ، راى العالم فيها معجزة الحياة ، كانت نقطة

تحول في مسار التاريخ ليجمع الاسلام بين القوى المتناثرة ، ويؤلف بين القلوب المتنافرة ، ويبدل حياة المجتمع الجديد ، من قسوة إلى رحمة ، ومن جهل إلى علم وحكمة ، ومن خوف إلى امن وطمانينة ، ومن خلاف إلى نظام وتعمير .

وإذا جاز للمسلمين في شرق الدنيا وغربها أن يحتفلوا بذكرى هجرة محمد صلى الله عليه وسلم وأن يستعيدوا أحداثها ، اعتزازا بالماضي

المشرق ، فما ينبغي الاقتصار على عرض جوانب السيرة بكلمات ينتهي الانفعال بها بانتهاء المناسبة ، دون أن يكون لها أثر ايجابي في حركة المسلمين نحو قضاياهم ومقدراتهم ، ممالاشك فيه أن الظروف الحاضرة

تفرض على الامة ، وهي تجتاز مرحلة صعبة من مراحل تاريخها الطويل ، ان تأخذ من الهجرة الدروس والعبر ، وأن تسير على درب النبي القائد ، جهادا ومثابرة ، وصمودا وتضحية في ايمان يقهر الطامعين ، ويرد المعتدين بغيظهم لم ينالوا خيرا ابدا ، على الامة إن ارادت نصرا لا هزيمة بعده وعزا لا يعرف

المهانة أن تضع خطاها على طريق الآباء والاجداد ، الذين بدلوا سير التاريخ ، وصنعوا اعظم حضارة اعترف بها العالم ، ولم يبلغوا ما بلغناه من اعداد بشرية ، ولم يملكوا ما نملكه من إمكانات مادية ، ولكنهم كانوا مع الله

فكان الله معهم ، التزموا باخلاق الاسلام ، واحتكموا إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فلم يهنوا ولم يضعفوا ، ولم يضلوا ولم يذلوا حين تنبهوا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ابدا ، كتاب الله وسنة رسوله ) .

كم وقفنا امام هذه الأمجاد العريضة ، جرحى النفوس ، منكسي الرؤوس ، والى متى يطول بنا هذا الوقوف ؟ ونحن من سلالة من سعدت بهم الحياة ، وعلت بهم كلمة الله !

لا يجوز ان نواجه العام الجديد باليأس والضيق ، ما دام ديننا يدعونا الى الجد والعمل ، ويفتح لنا ابواب الأمل ، إذا صحت النوايا وصدقت العزائم ، وواجهنا قدرنا بالهامات المرفوعة والرجاء في نصر الله .

إن الله سبحانه وتعالى جعلنا امة واحدة فقال في كتابه الكريم ( **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ) الآية ٩٢ سورة الأنبياء . فلا يجوز لهذه الامة ان تضل بعد هداية ، ولا ان تتفرق بعد وحدة ، ولا أن تكفر بعد إيمان .

ولذا كانت اللبنة الأولى في وضع اساس ترابط الأمة ووحدتها ، هي قضية الاخاء ، التي بدأ بها النبي صلى الله عليه وسلم عمله من أول ايام الهجرة ، وقرر فور وصوله المدينة مبدأ الاخاء ، بين المهاجرين والانصار ، وبهذا المبدأ وصل الرسول الكريم الأمة بعضها بالبعض الآخر ، وفي إطار هذه الأخوة ، تحرك الفرد بروح الجماعة ومصلحتها ، فلا يرى لنفسه كيانا دونها ، ولا وجودا الا بها ، وكانت عواطف الايثار والحب والمواساة ، تملأ المجتمع الجديد بمثل عليا وقيم اخلاقية فاضلة .

نعم بوحدة الصف وجمع الشمل وتناسي الخلافات ، لا يجد عدونا مجالا لبث الفرقة ، واشعال الفتنة ، والنيل من أمة جعلها الله خير امة ، كما حدث في فجر الدعوة ان احبط الرسول الكريم محاولة يهودية لاثارة الضغائن بين الأوس والخزرج ، حين ارسلوا واحدا منهم يذكرلهم ما كان من حروبهم يوم

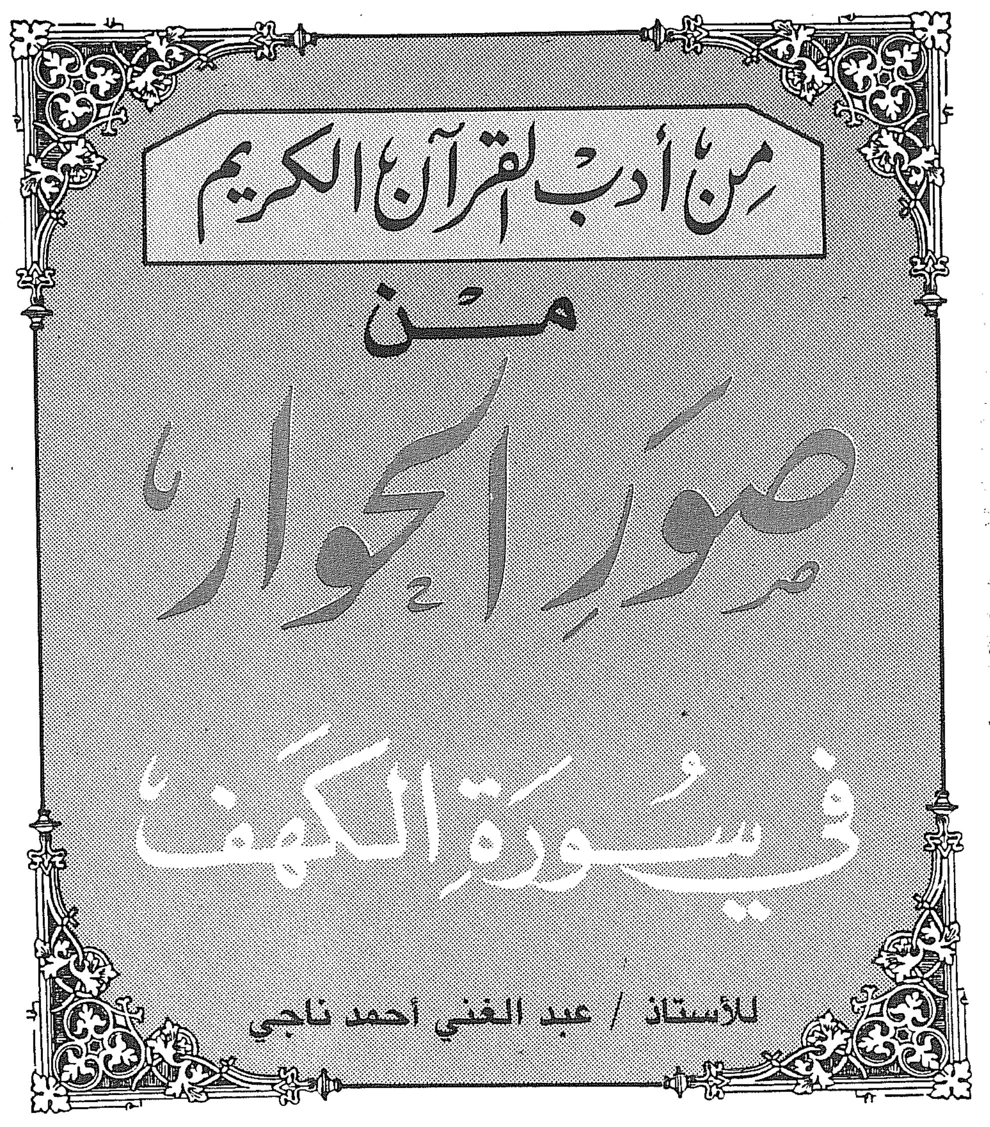
( **بعاث** ) وظل بهم حتى حميت نفوس القوم وكادت ان تكون فتنة لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تدارك الأمر ، وجاء على عجل يقول لهم : « وانا بين ظهرانيكم ترجعون كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .. » فانزل الله ( **يا أيها الذين امنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم** » الآيتان ١٠٠ ، ١٠١ من سورة ال عمران .

فرجع إلى المسلمين وعيهم وتنبهوا الى ما يراد بهم وقام بعضهم يعانق بعضا .

هذا والأمة المسلمة تتعرض في حاضرها الى مؤامرات يخطط لها الاستعمار الشرقي والغربي ، حتى استطاع بتعاون الصهيونية أن يفرق الأمة الى شيع وأحزاب يضرب بعضهم رقاب بعض ، بقي على المسلمين ان يجيبوا داعي الله الى الاعتصام بحبل الله ، وان يستقبلوا عامهم الجديد بصفاء النفوس وتقوى القلوب مع التوجه إلى السماء وهم يطالعون هلال المحرم ان يكون هلال خير ورشد .

**رئيس التحرير**

حسن مناع




سيظل القرآن الكريم ، كتاب الله الحكيم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ـ مصدر المعارف الانسانية في كل مناحي الحياة ، وهذا جانب من جوانب اعجازه التي لم يصل الى مداها البعيد بلغاء البشر من علماء ومفكرين ، وستظل أنوار إعجازه على الزمن تتلألأ كالنجوم التي لا يحصى لها عدد ، فما من يوم يمر الا ويسطع نجم من نجوم الاعجاز القرآني يبهر المعاندين بله المؤمنين . وجانب الحوار في القرآن نبع تربوي فريد يرسم الخط المستقيم للحوار المنتج العظيم . وينبه إلى الحوار الذميم ، غير المنتج العقيم .

فالحوار بداهة ينحصر في نوعين حسب الركيزة التي يعتمد عليها كل منهما ، أو الخلفية النفسية التي تدفع إلى كليهما . فحوار الحق والحيدة حوار منتج مريح يصل إلى مدى صحيح ، ويدفع إليه باعث إنساني هو نشدان الحق والصواب ، وحوار اللجاج والمكابرة حوار معوج قبيح لا يصل إلا إلى سراب ، وباعثه الخواء الفكري ، والغرور البشري .

**والقارىء لسورة الكهف من كتاب الله الكريم ، قراءة تدبر وإمعان - يجد مشاهد من الحوار تجلى نوعيه الآنفين ، وكأنها تهتف بالقارىء وغيره ممن يعي أن يلتزم حوار الحق في حياته ليحيا سويا سعيدا في كل أحواله ، وأن يتجنب حوار اللجاج والمكابرة ، لأنه - فوق عقمه وذمه - مرهق للأعصاب ، ومربك للفكر ، ومسئم للنفس . ونعيش في رحاب السورة الكريمة : سورة الكهف لنشهد المشاهد الحوارية التي تدعم ما نقول :**

**ولحكمة جليلة نجد السورة الكريمة تبدأ بالتذكير بحمد الله تعالى الذي أنزل الكتاب الكريم قيما لا عوج فيه ، ونقول حتى ما يتضمنه من حوار ينشد به الحق لا عوج فيه ، وكأن القرآن ضمنا ينهى عن كل حوار معوج يبتغى به الكبر والعناد لأن الحوار الانساني السوي لا عوج فيه ، وما فيه عوج هو جانح عن الفطرة البشرية السوية ، يقول بدء السورة : ( الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه )** الكهف ١ / ٢ ولما كان حوار الجدل والمكابرة ملقيا في قلب صاحب الحق ما لا يحتمل من الحزن والألم ، ولما كان ذلك هو ما يحدث من المشركين المعاندين أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم الى عبادة الله الحق وحده - جاءت الآية التالية مسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ، ورابطة على قلبه ، ومقوية أزره تجاه أي حوار جانح عن الحق ، يقول تعالى لنبيه ، ومصطفاه : **( فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا )** الكهف/٦ وتأتي الآية التالية لتبين الخلفية النفسية ، أو الباعث الحقيقي والدافع الأساسي لحوار الباطل ، ذلك الباعث الذي يتركز حول الاغترار بالدنيا وزخرفها ، فذلك الاغترار يطمس على البصيرة طمسا لا يستطيع معه الانسان التمييز بين الحق والباطل فيحركه الاغترار بطاقة شيطانية الى الجدل والمكابرة ، والاشارة الى زينة الدنيا يوحي بأن عمر حوار الباطل قصير ، ومآله الخفوت ثم السكوت ، كزوال بهارج الحياة وزخارفها ، وفي الاشارة إلى تلك الزينة تسلية أخرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : **( إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا )** الكهف/٧ وسرعان ما تزول الزينة ، أو سرعان ما تزايل الأرض زينتها الطارئة وتتركها جرداء قاحلة : **( وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا )** الكهف/٨ فكذلك حوار المعاندين سرعان ما ينطفىء أواره ، وسرعان ما تزايل أصحابه قوتهم ومكابرتهم ، وفي السورة نفسها بعد قليل نقرأ قول الله تعالى : **( واضرب لهم مثل**

**الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا )** الكهف/ ٤٥ ففي الاطار نفسه تدور تلك الآية الكريمة ، فالبهرج يبهر ، ولكنه لا يعتمد على أساس متين ، من ثم سرعان ما يزول كالحباب فوق الماء ، وكذلك حوار العناد والمراء .

ثم تصل بنا السورة الكريمة الى أول مشهد حواري من حوار الحق والصفاء ، ذلك الحوار الذي جرى بين الفتية بعد يقظتهم أو بعثهم ، فهم يمثلون العنصر البشري السوي ، وحوارهم نموذج للحوار الصافي من أدران العناد والاستكبار ، وكأن السورة تقول : هكذا ينبغي ان يكون الحوار ، فعند يقظتهم سأل واحد منهم بقية إخوته : **كم لبثتم في الكهف** ، قالوا : « **لبثنا يوما أو بعض يوم** » ، فلم يعل صوت منكرا هذا القول ، ولم يحدث لجاج وهياج ، وانما أغلقوا باب الحديث ، والتساؤل برتاج يمنع اللجاج ، وأراحوا أنفسهم بأمثل الآراء التي تبقى على المودة والاخاء ، بقولهم : ( .. **ربكم أعلم بما لبثتم** ) الكهف/ ١٩ وانصاع الجميع لهذا القول الرشيد ، واشتغلوا بما هو أهم وأجدى لهم في تلك اللحظة ، اذ ماذا يفيد معرفة مدة لبثهم ، وهم يحسون وخز الجوع ، ولهيب الطوى ؟ فليبعثوا أحدهم ليأتي لهم بالطعام وكأن في سرعة لجوء الفتية الى الحديث في شأن الطعام تنبيها لمن يلجأ الى الحوار أن يمعن النظر في جدواه ليقدم عليه ما هو أهم له في دنياه وأخراه ، فبذلك النهج السليم تحسم كثير من المواقف الحوارية التي تودي بالمتحاورين الى ما لا تحمد عقباه ، تقول الآيات الكريمة في تصوير ذلك المشهد : ( **وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا * إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا** ) الكهف ١٩/ ٢٠ .

نقرأ هاتين الآيتين الكريمتين المصورتين لمشهد حوار بين فتية أوقظوا أو بعثوا بعد اختفائهم في الكهف فرارا بدينهم وعقيدتهم من أذى الجبابرة العتاة ـ فلا نحس صياحا أو صراخا ، ولا نلمس صراعا أو عنادا ، ولا نجد من يكذب أو يدحض ولا نسمع الايمان تصك الآذان ، وإنما نحس الهدوء والصفاء ، والاقتناع والانصياع ، وارجاع الأمر غير البين الى علم الله تعالى ، ثم الاشتغال بما يجدي ويفيد ، وما يفيد الآن هو الحصول على ما يقيم الأود بوسيلة لا يحس بها أحد من اعدائهم ومن يتربصون بهم الويل والنكال ، يذهب احدهم ليشتري لهم الطعام بمال حلال ، وليكن الطعام طيبا لا سحت فيه : « ... **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما** » أي أطهر وأطيب ، وليحسن المجادلة عند الشراء ، وليحذر شعور الأعداء حتى يأكلوا طعامهم في أمن وهناء : « ... **وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا** » فلو شعر بهم الأعداء لقتلوهم ، أو أعادوهم الى ملتهم الفاسدة ، وفي ذلك خسران مبين : « ... **انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم**

**أو يعيدوكم في ملتهم ، ولن تفلحوا اذا أبدا** » ففي هذه الأمور المجدية ينبغي ان يصب الحديث لا في السؤال والجدال حول المدة التي مضت عليهم وهم في كهفهم ، فالله أعلم بها ما داموا لا يتحققونها فليتنا نعي هذا النهج الحواري الرشيد ؛ لنحقق المفيد بعقل مستنير ، ونوصد أبواب الشرور !!

ثم تطالعنا الصورة الكريمة بمشهد اختلاف الناس في عدد أصحاب الكهف ، ويتحاورون ، وتحكي السورة ما سيكون بينهم من حوار ، وتعلم الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمسلمين جميعا المنهج السديد في الحوار ازاء شيء لا يعلم أبعاده الحقيقية سوى الله تعالى ، فترشد الى وجوب انهاء الخلاف ، أو حسم الحوار بارجاع العلم والدراية الى علم الله تعالى ، فذلك صمام أمان يقي المتحاورين الخصومة والشنآن .

تقول الآية في تصوير ذلك المشهد المعلم : ( **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا** ) الكهف/ ٢٢ .

واذا خرج الانسان في حدة الحوار الى قطع وعد بعمل شيء لا يطيقه ، أو ليس في مكنته ـ فيجب ان يتوب ويثوب ، ويستغفر الله تعالى ولا يعود الى إسلاس قياده لحدة الحوار التي تشبه النار تلفح الفكر فينسى الذكر : « **ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا . الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت** .. » ٢٣/ ٢٤/ الكهف .

واذا ركب صاحب حوار الباطل رأسه ، وأغلق منافذ فكره ، وسار وراء تعنته وكبره ـ جاء المشهد الذي يعلم صاحب حوار الحق كيف يصل الى الهدف بأسلوب تربوي منتج ، فما عليه الا ان يبين الحق ويجليه ، ويكشف الباطل ويعريه ، ثم يترك لمن يحاور بالباطل أن يختار بعد إطفاء جمرة الحوار : ( **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** .. ) الكهف/ ٢٩ ومع تجلية الحق ، وتعرية الباطل يجدر ان يذكر المصير والمآل ، فمآل الحق فوز ونعيم ، ومصير الباطل خسران وجحيم ، تقول الآيات التالية للمشهد في بيان المآلين والمصيرين : ( **إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا * أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا** ) الكهف ٢٩/ ٣١ .

ثم نصل الى مشهد حيوي من مشاهد الحوار التي تتكرر بين البشر ما دام الليل

والنهار ، فهو الحوار الذي يحتدم دائما بين من يطغيهم المال والنعيم فيصرفهم عن الحق والمنهج السليم ، وبين من حرموا زخارف الحياة فحمدوا الله ، ورضوا بما قسم الآله : ( **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا . وكان له ثمر** ) الكهف ٣٢/ ٣٤ وهنا يبدأ الحوار ، فيقول صاحب النعيم الذي أطغاه لمن رضي بقسم الله : ( ... **فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا** ) الكهف ٣٤ ثم ينطق أمام صاحبه ليغيظه بعبارة الطغيان والجحود حينما دخل جنته وظنها الخلود : ( **ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن ان تبيد هذه أبدا.وما أظن الساعة قائمة** ) الكهف ٣٥/ ٣٦ وقد دفعه غروره وطغيانه الى حسبان أن الله سيبدله خيرا منها في أخراه ان فنيت في دنياه ، فيقول : ( ... **ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا** ) الكهف/ ٣٦ .

هذا نموذج لمتحاور فظ أغلق النعيم كل منافذ فكره السليم ، فما عاد يفكر فيما يجب عليه تجاه النعيم الذي لديه فاستخفته النعم فنسى المنعم ، وافتخر بالنعيم على صاحبه المحروم ، وكان المتوقع أن يوغر صدره ، ويخرجه عن طوره ولكن قوة ايمانه ، وثبات يقينه وجنانه منعاه ايغار الصدر ، وعصماه من الغل والشر ، فالتزم جانب النصح والتحذير لصاحبه المغرور تقول الآية في تصوير هذا الجانب من ذلك المشهد : ( **قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله** ) الكهف ٣٧/ ٣٩ فهذا نموذج بشري سوي ، لم يخرجه الحوار الداعي الى الغيظ والايغار ـ الى الأسى الموار ، فاعتصم بقوة ايمانه ، ونطق بكلمات تنم عن زهده في نعيم يودي بصاحبه الى الجحيم ، ثم نظر الى صاحبه نظرة السليم الى السقيم ، فصاحبه حقا سقيم ، فارشده الى ما كان ينبغي ان يكون منه تجاه نعمة الله التي لديه بدل الفخر والتطاول عليه : « **ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله** .. » ويستمر المشهد لنرى فيه جانب الايمان بتغير الأحوال عبر الزمان ، وهذا التغير سنة الله في الحياة ، فيقول المؤمن المحاور صاحبه مبينا هذه السنة في الحياة : ( .. **إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا . فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا . أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا** ) الكهف ٣٩/ ٤١ ما صاح وما هاج وما افتخر على صاحبه بنعمة أخرى لديه ، وانما نبهه الى أن الذي اعطاه هو الله ، والله قادر ان يقلب الميزان ، فيغدق الخير على المؤمن المحروم ويحرم الكافر الجاحد المذموم ، ويختم المشهد بحدوث ما توقعه ذلك المؤمن لصاحبه الملحد : ( .. **وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا** . ولم

**تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا )** الكهف ٤٢/٤٣ .

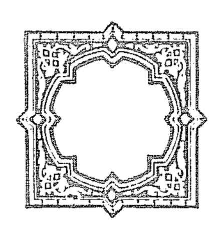
وقد ذكرت آيات ختام المشهد ما توقعه المؤمن للملحد ، ولم تذكر ما توقعه لنفسه من خير حينما حاور صاحبه ، وأرشده الى ما ينبغي أن يكون منه تجاه الخير الذي أغدقه الله عليه : « **فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك** »للاشارة والله أعلم ـ الى أن نعيم الدنيا ليس هو مطمح المؤمنين الصادقين ، وإنما مبتغاهم وقرة عيونهم في ثواب الله ، ونعيمه المقيم في جنات النعيم ، ومن ثم جاءت الآية التالية تبين ذلك وتشير اليه :((**هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا** ))الكهف / ٤٤

وجاء حسم المشهد الحواري بين النموذجين البشريين السابقين في آية تالية تقرر أن زينة الحياة الدنيا مال وبنون ، وتقرر أن رصيد المؤمن من عمله الصالح خير وأفضل عند الله ، والمؤمنون حقا هم الذين يعقلون تلك الموازنة ، فلا يتكالبون على زينة الحياة وينسون ذكر الله ، تقول الآية الكريمة : ((**المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** » الكهف/ ٤٦ من هذا المشهد نرى حوار الحق والايمان ثابت الجنان ، قوي الدعائم والأركان ، وحوار الغرور والبهتان واهي الحجة مؤديا الى الهلاك والخسران ، ومن هذا الحوار ونتائجه يبدو لنا المنهج السوي ، والأسلوب الأريحي في مجالات الحوار الحيوي ، لنسير على هذا النهج ، ونتبع ذلك الأسلوب مصارعين الطبع البشري الذي جبل عليه الانسان من كثرة المراء والجدل ، فقد ضرب القرآن المثل ليحسن الانسان الجدل ، تقول الآيات بعد ذلك : (( **ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلا** )) الكهف / ٥٤ فما سيق المثل في القرآن ـ كمشاهد الحوار في سورة الكهف ـ الا ليتعلم الانسان نهج الله وهداه لتطيب له دنياه ، ويسعد في أخراه :((**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** ))الاسراء / ٩

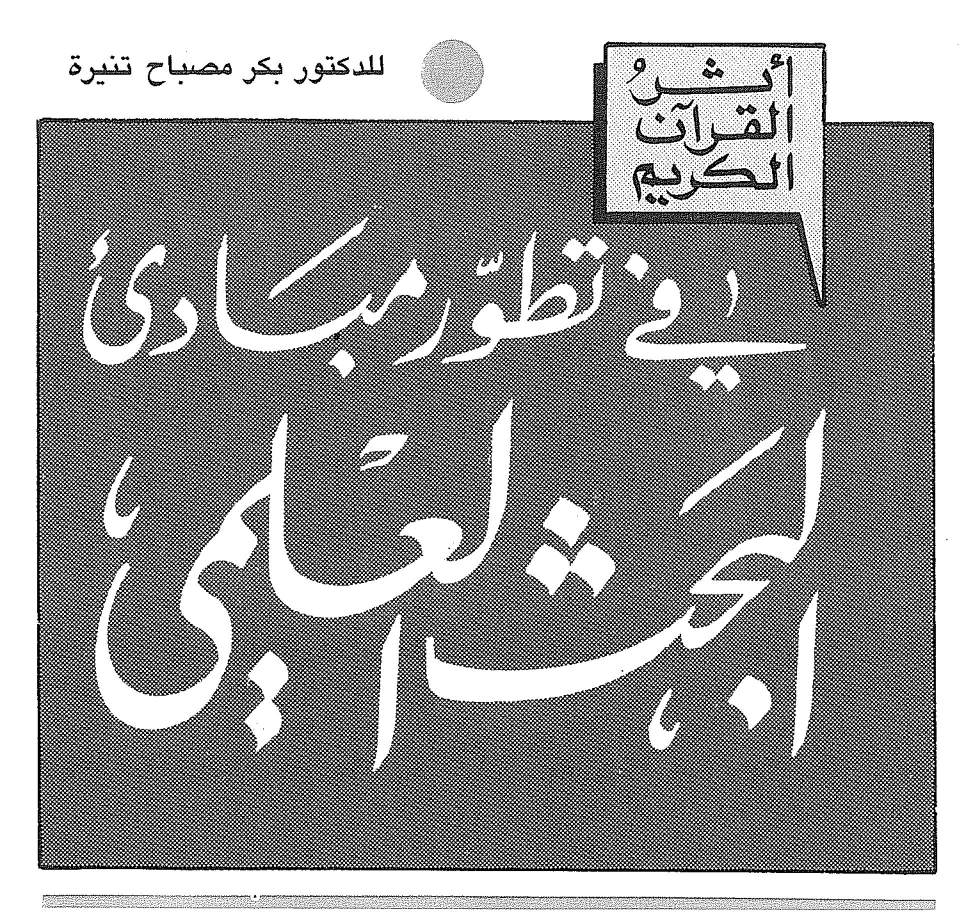
ثم تختم السورة الكريمة ـ سورة الكهف ـ بمثل ما بدأت به فتطالعنا قبيل آخرها بمشهد حواري تتمثل فيه جوانب المثالية الحوارية ، وهو بهذا يمثل النوع الأول من نوعي الحوار ، وهو حوار الحق ونشدانه ، لا حوار العناد وشنآنه ، ذلك هو المشهد الحواري الذي دار بين نبي الله موسى ، وولي الله الخضر عليهما السلام ، فموسى عليه السلام حينما يلتقي بالخضر بعد شأو طويل ، ونصب وتعب ـ يعرض عليه بأريحية وأدب أن يسير معه ويتبعه ليتعلم منه ما علمه الله إياه ، النبي يتعلم من الولي ، ويستأذنه في الجانب الأول من جوانب الحوار ـ في السير معه ، والأخذ عنه ، والتعلم منه :« **قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا** » الكهف / ٦٦ فجانب النبوة وان كان أسمى من الولاية ولكننا لم نلمس منه حينئذ كبرا أو شموخا أو تعاليا ، لأن الله تعالى أوحى الى نبيه موسى عليه السلام أن يذهب الى الخضر عليه السلام ليجد لديه من العلم ما لا يعلم ، فلم

يقل موسى للخضر : أنا نبي وأنت ولي ، كما قال صاحب الجنتين المغرور لصاحبه الفقير : في حوار العناد والاستكبار في مشهده السابق : « **أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا** » ولما رد الخضر على موسى بقوله : (( **إنك لن تستطيع معي صبرا** ))الكهف ٧٢ كان الرد على الرد حوارا ينبعث منه رضا النفس ، وهدوء الطبع ، ونشدان الحق ، إذ قال موسى عليه السلام في رده : (( **قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا** ))الكهف/ ٦٩ . فيتعهد في حواره بكل ما يطلبه الجانب الآخر ليريح نفسه ، ويثلج صدره ، فيختم الخضر منشوداته بقوله الذي ينم عن رضاه وموافقته :« **قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا** » ٧٠ فيسكت موسى عليه السلام دليل الموافقة والرضا أيضا وينتهي المنظر الأول من مشهد الحوار ليبدأ المنظر الثاني الذي يتضمن أعمالا من الخضر لا يطيق السكوت أمامها بشر مهما اوتي من قوة الصبر والتحمل ، كخرقه السفينة للأيتام ، وقتل الغلام ، وبناء الجدار لمن حرموهم الطعام ، فيسأل موسى عليه السلام عن الأسباب في استغراب حواري هادىء ليس فيه سوى الرغبة النفسية الأكيدة في معرفة الجواب ، ويكون الرد من الخضر عليه السلام في كل مرة تذكيرا لموسى عليه السلام بالعهد الذي أخذه على نفسه بالسكوت ، وتذكيرا بقوله له في صدق ويقين :« **إنك لن تستطيع معي صبرا** » وقبيل اشتداد الخلاف واحتدام النزاع يحسم الخضر عليه السلام الموقف بقوله لموسى عليه السلام : « **هذا فراق بيني وبينك** »وحتى لا يتسرب غضب الى النفوس يردف الخضر متعهدا ببيان الاسباب ، وتفسير المواقف التي لم يستطع موسى عليها صبرا :« **سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا** » ثم يأخذ في بيان الاسباب ليزيل الاستغراب وينتهي مشهد الحوار دون لجاج أو جدال مع احتواء المشهد ما يدعو الى اللجاج والجدال وكأن الآيات الكريمة التي ساقت المشهد تهتف بالانسان عبر الزمان أن يلتزم هذا الحوار الذي لا يشعل أوار نار ، ولا يقض المضجع بالليل والنهار ، بل يشرح النفوس والصدور ويقضي على بواعث الشرور .

وبعد ، فلعلنا بعد استعراض هذه المشاهد الحوارية في سورة الكهف الكريمة نكون قد وعينا أمثل أنواع الحوار لنلتزمه في حياتنا لنسعد ونسعد :( **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ))الانعام ـ الآية ٣٨ .



منذ بدء الثورة العلمية في أوائل العصر الحديث في أوروبا ، ساهم في وضع أصولها التجريبية فرنسيس بيكون « ١٥٦١ ـ ١٦٢٦ »، وتبعه غاليلو « ١٥٦٤ ـ ١٦٤٢م » الذي استخدم التجربة لاول مرة كي يثبت كروية الأرض ، واعتبر اكتشافه هذا ثورة عقلية ومنهاجية ضد الفكر الديني المسيحي آنذاك والتقاليد الكنسية التي كانت سائدة . ثم جاء إسحق نيوتن « ١٦٤٣ ـ ١٧٢٧م » ليكتشف قانون الجاذبية الأرضية وتوالى بعد ذلك ظهور الاكتشافات في مختلف مجالات العلوم من فلك وطب وطبيعة ورياضيات وغيرها .



وقد وضع العلماء منذ ذلك التاريخ العديد من النظريات لتفسير الظواهر التي أدركها الانسان على الأرض وفي الفضاء الكوني عموما . وما زال البحث العلمي يتطور باستمرار واطراد ، سواء في مناهج التفكير أو وسائل وأدوات البحث عن الحقيقة . وفي كل يوم إن لم يكن في كل ساعة يتوصل الانسان إلى اكتشاف جديد ، أو اختراع مبتكر ، أو يضع العلماء نظرية مستحدثة قد تنفى ما سبق اثباته من قبل أو تؤكده ، أو يدخل عليها تعديلات .

وفي الواقع فان الانسان ما زال يكتشف ما هو موجود ، ويحاول أن يتعرف على خبايا الوجود ، وأسرار المخلوقات على كثرتها وتباينها من حيث النشأة والتطور والتكوين والسلوك ، ويسعى العلماء دائما إلى وضع القوانين العلمية التي تصوغ العلاقات وتنظمها بين هذه الظواهر المتعددة والمعقدة والمتفاعلة في آن واحد .

وقد وجه الله الدعوة للانسان ، كي يبحث ويتعلم ، فقال تعالى في أول سورة أنزلت من القرآن الكريم :ـ

**( اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم )** العلق/١ ـ ٥.

هذه الدعوة المفتوحة والصريحة للعلم التي وجهها الله الى عباده ، أهملها المسلمون قرونا عديدة ، فتخلفوا عن ركب التقدم والحضارة . وأخذ بها الأوروبيون نصا وروحا وتطبيقا منذ أوائل عصر النهضة عندهم ، فبلغوا ما هم عليه في عصرنا من تقدم علمي وتقني .

فإذا كان المسلمون ، قد نسوا حظا مما ذكروا به فتخلفوا وسبقتهم الأمم ، فذلك لأنهم أساءوا فهم تراثهم العلمي ، وأغلقوا عقولهم عن فهم كل جديد ، وتمسكوا بالتقليد ، وأحجموا عن اقتحام الجديد المبتكر ، وهم يقرأون قوله سبحانه وتعالى :ـ

**( ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على عِلْمٍ هُدىً ورحمة لقوم يؤمنون )** الأعراف / ٥٢.

**( أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها )** محمد / ٢٤ .

**( قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير )** العنكبوت / ٢٠.

**( وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون )** يوسف / ١٠٥.

وعلى العكس مما هو عليه المسلمون في الحاضر ، فقد بلغ المسلمون الأول أوج الحضارة في عصورهم الزاهرة ، عندما حفلوا بالعلم وفروع المعرفة ، وانكبوا بجد واجتهاد يدفعهم الايمان والاخلاص ، والفهم الصحيح لآيات القرآن الكريم ، للبحث في كل شأن من شئون الحياة ، وكل ظاهرة من ظواهر الكون ، فصنفوا المؤلفات ، وجددوا




## تعالى بعد الحياة

مناهج البحث العلمي النظرية منها والتجريبية ، وطوروا النظريات القديمة ، مثلما اكتشفوا قوانين ونظريات جديدة . ومن يطلع على ما أورده ابن النديم في « الفهرست » يدرك ما وصل إليه المسلمون في القرن الرابع الهجري . وذلك عندما كان القرآن هو الجامعة ، التي يتتلمذ فيها الصغير والكبير ، ويتخرج منها العلماء والفقهاء واللغويون والادباء أمثال : مالك بن أنس ، وأبى حنيفة ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وجابر ابن حيان ، والكندي ، وابن سينا ، والجاحظ ، وابن خلدون ، وغيرهم . فقد ادركوا بعمق إيمانهم قوله تعالى :

« **كتاب انزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ) ص / ٢٩.

( **يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا** ) النساء / ١٧٤.

( **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ) النحل / ٨٩ .

وقد نبههم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام إلى جواهر القرآن ومفاتيح علومه فقال :

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

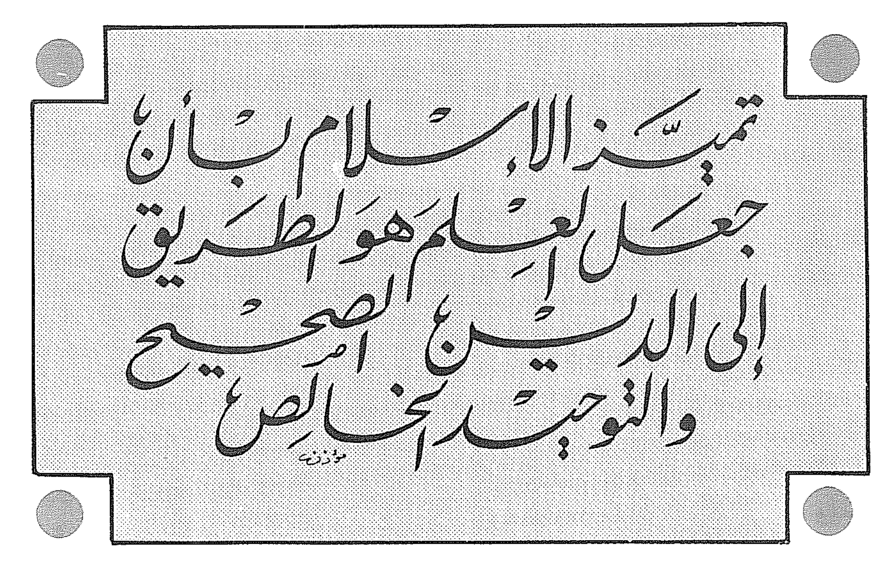
وبقى المسلمون بخير وقوة وسؤدد ، يوم أن تمسكوا بالقرآن ، وحفظوه صغاراً وكبارا ، واهتدوا بهديه في القول والعمل معا واستمدوا من آياته العلم الصحيح والمنهج القويم ، فسادوا الأمم ، وفتحوا العقول ، وارتقوا في مدارج الحضارة ، حتى غدت مدنهم ومساجدهم ، منارات للعلم ، وقبلة لطلابه ، وكانت علومهم ومؤلفاتهم ، تدرس في جامعات أوروبا في روما وباريس ولندن . وصدق فيهم قول الشاعر :

**أقلامهم سايرت أسياف صولتهم**
**للسيف فتح وللأقلام عرفان**

★ ★ ★

### العلم والانسان في القرآن :

العلم هو أول ما أنعم به الله على الانسان بعد الحياة ، وميزه به عن سائر مخلوقاته بما وهبه من قلب واع ، وعقل مفكر ، ولسان ناطق ، وأذن تسمع ، فقال تعالى :




**( وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني اعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون )** البقرة / ٣١ ـ ٣٣.

**(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون )** النحل / ٧٨.

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره :

« هذا مقام ذكره الله تعالى ، فيه شرف آدم على الملائكة ، بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم .»

لذلك تميزت الدعوة الاسلامية عن غيرها من الدعوات السماوية ، بأن جعلت العلم هو الطريق القويم إلى الدين الصحيح ، والتوحيد الخالص ، والهداية الربانية ، ولم تكن الخوارق والمعجزات من وسائلها للايمان بالله وتوحيده وعبادته والعمل بشريعته ، بل خاطبت العقل بالبرهان ودعته الى التفكير والتأمل والاهتداء الى الصراط المستقيم ، ألا وهو الاسلام الحنيف ، فقال جل شأنه :ـ

**( إن في خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار )** آل عمران/ ١٩٠ ـ ١٩١.

يفصل الامام محمد عبده ذلك في « رسالة التوحيد » فيقول :

« جاء القرآن فانتهج الدين منهجاً لم يقم عليه ما سبقه من الكتب المقدسة ، منهجا يمكن لأهل الزمن

الذي أنزل فيه ولن يأتي بعدهم أن يقوموا عليه ، فترك الاستدلال على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة وحصر الدليل في حال النبي مع نزول الكتاب عليه في شأن من البلاغة يعجز البلغاء عن محاكاته فيه ولو في مثل أقصر سورة منه ، وتناول من مقام الألوهية ما أذن الله لنا أو ما أوجب علينا أن نعلم ، لكن لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته ، ولكنه ادعى وبرهن وحكى مذاهب المخالفين وكر عليها بالحجة ، وخاطب العقل واستنهض الفكر وعرض نظام الاكوان وما فيها من الاحكام والاتقان على انظار العقول وطالبها بالامعان فيها لتصل بذلك الى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا اليه »

ولم يدع الله الانسان عند هذا الحد من العلم ، بل بين له المبادىء التي يقوم عليها البحث العلمي ، وقدم له الوسائل والأدوات الحسية والمعنوية ، كل ذلك كي يكتشف بنفسه الحقائق .

**مبادىء البحث العلمي في القرآن :**

من المعروف عند العلماء ، أن للبحث العلمي مبادىء لابد أن تتوفر كي يؤتي البحث ثماره المرجوة منه . وأول هذه المبادىء التي لا يستقيم البحث العلمي بدونها ، حرية التفكير ، وهي أعم وأشمل من حرية البحث ، ولابد من أن تتوفر دون أدنى قيد حتى ينطلق الانسان بما وهبه الله من ملكات إلى رحاب العلم . وحرية التفكير تنبع في الأصل من مصدرين أساسيين ، أحدهما تكوين العقل الانساني نفسه ، والذي تنتشر أدواته المادية في الجسد ، وتشمل أجزاء المخ والحواس المتصلة به وبوظائفه . وقد شاء الله بواسع علمه ودقة صنعه أن يكون هذا التكوين متحررا من أي قيد يحد من حرية تفكيره فيما يشاء . والمصدر الثاني الضوابط الخارجية التي تؤثر على طريقة التفكير عند الانسان ، وقد تكون هذه الضوابط عقائد دينية أو دنيوية ، أو قوانين ونظم اجتماعية ، وما يتولد عنها من مفاهيم وقيم تؤثر بالضرورة على موضوعات الفكر ومنطق التفكير ، ومن ثم مناهج البحث وتعرضها للأشياء .

وهذه أيضا اقتضت حكمة الله ورحمته ان يحرر الانسان منها ، فدعا سبحانه وتعالى العباد في كثير من آيات القرآن الكريم الى التفكير العلمي بحرية ، فيما أبدع جل شأنه في هذا الكون من كائنات حية وسماوات وكواكب ونجوم وبحار وأنهار وجبال وليل ونهار . فقال تعالى :ـ

**( أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الارض كيف سطحت . فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر )** الغاشية / ١٧ ـ ٢٢ .

**( ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون )** القصص / ٧٣ .

**( قل انظروا ماذا في السماوات والأرض )** يونس / ١٠١.

ثم يحدد الله عز وجل الظواهر التي يجب ان يوجه إليها الانسان اهتمامه وتفكيره . ويعتبر تحديد موضوعات البحث مبدأ له أهميته وضرورته ، فقال تعالى :ـ

**( إن في خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون )** البقرة / ١٦٤.

وقوله تعالى

**( ومامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون )** الأنعام / ٣٨.

ويفصل الله خصائص الظواهر كي تكون عونا للانسان في اكتشافها والاستفادة منها ، فقال تعالى :ـ

**( ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار . يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار . والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير .)** النور / ٤٣ ـ ٤٥ .

وقد نهى الله وحذر عباده من أن يخوضوا فيما ليس لهم به علم ، وهذا مبدأ أساسي لا يكمل البحث العلمي الا به ، حيث لا يجوز أن يقوم البحث على الرأي أو الظن أو التخمين دون أن يسند الشيء الى برهان قال تعالى :ـ

**( ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا )** الإسراء / ٣٦.

**( ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين )** لقمان / ٦.

ولا تستقيم الحياة البشرية وتتطور إلا بالاجتهاد لمجاراة سنن التقدم ومتابعة التجديد بمعناه الواسع والارتقاء دائما إلى الأفضل ، كما نهى سبحانه عن التقليد الأعمى وتعطيل النعم التي من بها على الانسان من عقل وحواس وجوارح فقال تعالى :ـ

**( وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون )** التوبة / ١٢٢.

هكذا يقرن الله في محكم آياته الجهاد في سبيله بالاجتهاد في دينه ، وبذلك جمع للانسان العلم والعمل .

ثم ينهي الله عن التقليد والجمود ، ويحذر من عواقبهما ، فيقول تعالى :ـ

**( وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون**

**شيئا ولا يهتدون )** البقرة / ١٧٠ .

ويبين سبحانه العاقبة السيئة التي تنتظر الغافلين ، الذين لا يحسنون استخدام نعم الله عليهم ، وما زودهم به من أعضاء تمكنهم من التفكير والتأمل والبحث فيقول تعالى :ـ

**( ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون )** الأعراف / ١٧٩ .

هكذا يتضح من هذه الآيات البينات ، أن الله عز وجل بعد أن أنعم على الانسان بالعلم فصل له مناهج البحث وبين وسائله وأدواته كي يعرف الحق ويكتشف الحقيقة في هذه الدنيا وفي الدار الآخرة . ذلك أن غاية العلم في الاسلام الهداية الى الطريق المستقيم والارتقاء بالانسان الى أعلى مراتب الحياة المادية والروحية التي تمكنه من تسخير ما خلق الله في هذا الكون من نبات وحيوان وجماد ليؤدي رسالته على هذه الأرض ، يقول تعالى :ـ

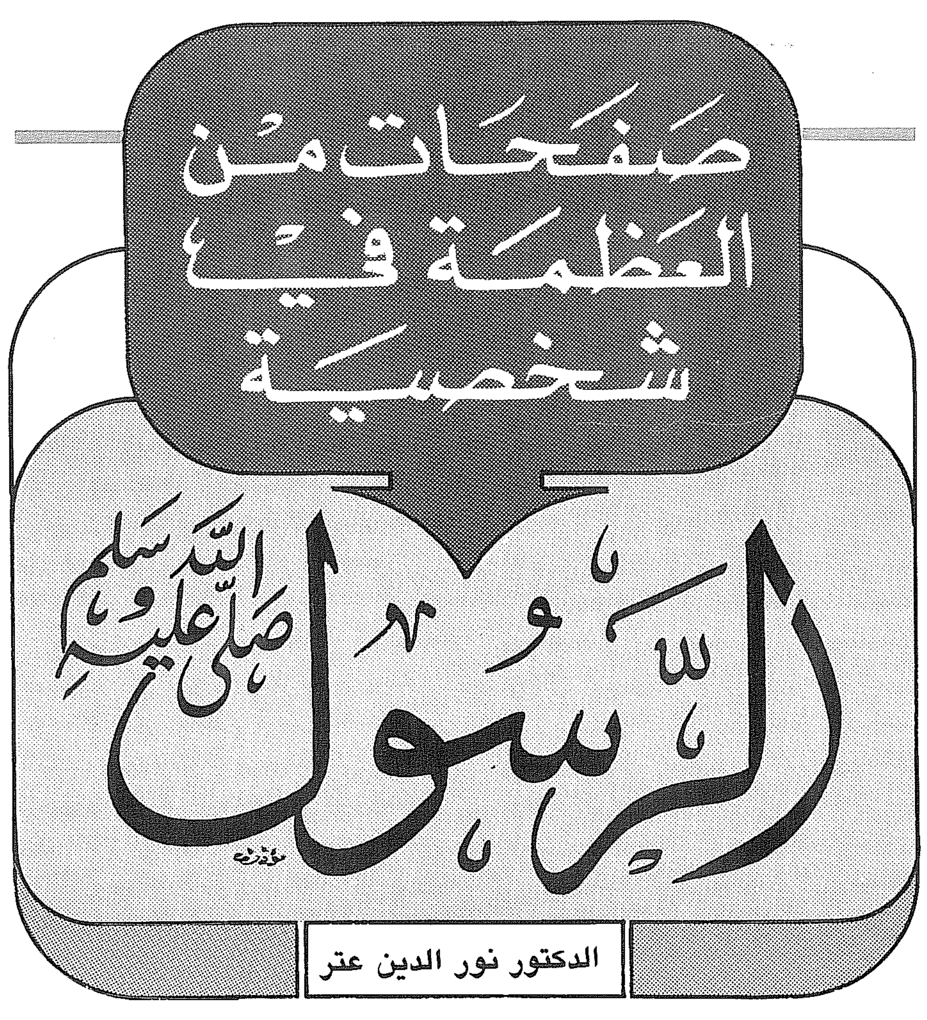
**( ألم تروا أن الله سخرلكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير )** لقمان / ٢٠ .

ونعود فنقول ، لما كان القرآن هو جامعة هذه الأمة ، وكان العلماء أمناء هذه الجامعة ، كانت الأمة الاسلامية هي رائدة الحضارة الانسانية ومعلمة الأمم والأجيال عبرالعصور ، والتراث الاسلامي الخالد يشهد بذلك . ورب قائل يقول إن العلوم تطورت ، وإن التقدم التقني استحدث مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، وهذا صحيح ولكن يبقى لكل بناء أساس يجب ان يقوم عليه ، وأساس ذلك كله القرآن الكريم الذي كان نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبليغه للناس ،

وايمان العرب به ، واجتهادهم وجهادهم في سبيل القيام بهذه الأمانة هو العامل الأساسي الذي فتح العقل وأزال الجمود . وإذا اراد المسلمون أن يجددوا بناء عقيدتهم وحياتهم وحضارتهم ، فعليهم بالأساس المتين وهو القرآن الكريم ، الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

« تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما :. كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم .

« انها ستكون فتن قلت : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء » رواه الترمذي وغيره عن علي رضي الله عنه .




الدكتور نور الدين عتر

دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم هي دراسة للشخصية المختارة التي تكاملت فيها جوانب العظمة أمثل ما يكون الكمال والتكامل في الانسان ، والتي اختارها الله لتكون منارة الهداية الهامة لجميع الأمم ، الشاملة لكافة جوانب الانسان والحضارة ، والخالدة على مدى الأزمان .

## مولده صلى الله عليه وسلم ونشأته :

شهد العام ( ٥٧١ ) الميلادي حادث مولد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في أم القرى مكة المكرمة ، وكانت مكة قد تعرضت في ذلك العام لغزو الحبشة الذين جاءوا لهدم الكعبة ، وتحويل العرب إلى كعبة الأحباش ، فدحر الله الغزاة : **( وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول )** سورة الفيل/٣ ،٥ . وكان لذلك أثره الكبير في نفوس العرب ، وايمانهم بعظمة البيت العتيق ، حتى سموا ذلك العام عام الفيل ، وجعلوه تاريخا تؤرخ به

الحوادث والوقائع ، فقالوا في المولد إنه كان لاثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأول من عام الفيل .

ولد النبي صلى الله عليه وسلم يتيم الأب ، مات أبوه عبدالله وهو حمل في بطن أمه ، وتربى في بيت جده عبدالمطلب ، وكان عبدالمطلب من صميم قريش ومن ذؤابتها العليا ، وان لم يكن معدودا من أثريائها ، وقد رق له عبدالمطلب رقة فاقت شفقته على أولاده ، لما كان يظهر عليه مما يدل على أن له شأنا عظيما .

وعلى عادة أهل مكة فقد عهد عبدالمطلب بحفيده ليسترضع في البادية ، وحظيت بشرف هذا الرضاع السيدة حليمة بنت ذؤيب السعدية من بني سعد بن بكر ، وهي قبيلة مشهورة بالفصاحة ، مقصودة باسترضاع الأولاد ، ومكث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عندها مدة تربو على أربع سنوات .

ثم لم يلبث أن استكمل له اليتم فتوفيت امه آمنة بنت وهب وعمره ست سنين وحضنته أم أيمن ، بركة الحبشية . ولم يلبث عبدالمطلب أن توفي ، فكفله عمه أبو طالب ، وأحله المنزلة التي كانت له عند جده عبدالمطلب .

## الأمية واليتم من كمال عظمته وإعجاز نبوته :

وقد شاءت الحكمة الالهية أن يكون مولده ومبعثه في أمة أمية ، كما وصفها القرآن في قوله تعالى : « **هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** » الجمعة/٢ . لما شاءت حكمته تعالى أن يكون النبي نفسه أميا ، تحقيقا للبشارة التي أعلنها الأنبياء من قبل ، بكونه صلى الله عليه وسلم أميا كما صرح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى : « **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** » الأعراف/١٥٧ .

وكان في هذا الوصف للنبي الكريم حكمة جلى أيضا ، وهي أنه أجلى لآية نبوته ومعجزة رسالته العظمى .

كذلك توالى اليتم بعد اليتم على النبي الكريم ، لحكم جليلة أرادها الله تعالى به ، فإن ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة ـ التي يكون فيها الانسان أتبع شيء لبيئته ـ له دلالته ، والانسان على العموم ابن بيئته لا يستطيع عنها فكاكا ، خصوصا بالنسبة ليتيم حرم أباه وأمه وجده ، مع ما كان عليه قومه من الحمية لآبائهم والتصلب في تقليدهم والتفاخر بهم . لكن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يأت شيئا مما كان عليه أهل الجاهلية قط ، فلم يسجد لصنم أبدا ، ولا شرب خمرا ، ولا أتى شينا ، بل كانت الأصنام أبغض شيء إليه .

### خوضه غمار الحياة أظهر عظمة أخلاقه :

ثم كان على النبي الكريم أن يخوض غمار الحياة ، ويتحمل أعباء السعي للكسب ، فعمل في رعاية الغنم ، كما هي سنة الأنبياء ، وكان يعمل مع عمه أبي طالب في التجارة ، وسافر معه الى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة . وعلى الرغم من قصر الرحلة وسرعتها فقد رئي له فيها دلالات وأمارات .

وكان هذا السعي للكسب خيرا كبيرا ، فقد أظهرت ظروفه أخلاق النبي الكريم وسجاياه ، وأبرزت فضائله المتميزة ، حتى طارت شهرة ذلك بين الناس ، ولقبوه « محمدا الأمين » وصار يؤتمن على أموال التجار يعمل لهم شريكا فيها ، حتى عمل للسيدة خديجة بنت خويلد ، وسافر متاجرا بمالها الى الشام ، وهي رحلته الثانية في حياته . وأدت معرفتها به إلى أن رغبت هي في زواجها منه ، وطلبته للزواج بها ، مع ما هي عليه من الجاه والمنصب في قومها ، وكان ذلك دلالة على كمال عقلها ووفور فضلها ، كيف لا وهي سيدة نساء هذه الأمة ، رضي الله تعالى عنها .

### بدء الوحي وقيامه بالدعوة صلى الله عليه وسلم :

ثم لما قارب سنه الأربعين حبب إليه التحنث وهو التعبد ، فكان يتعبد في حراء الليالي ذوات العدد ، حتى فاجأه الوحي فجأة في تمام الأربعين من عمره ، ونزل عليه الملك جبريل بابتداء الوحي : « **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق** » العلق ١ ـ ٢

وأعلمه جبريل أنه رسول الله إلى الناس ، فأخذ يبلغ دعوة ربه سرا ثلاث سنين ، ثم جهر بها فلقي من العنت والأذى هو ومن تبعه ما لا يحيط به وصف وبيان ، كل ذلك وهو يدعوهم الى عبادة الله وحده ، ويتحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، ثم تحداهم أن يأتوا بمثل عشر سور ، بل تنازل معهم إلى التحدي بأن يأتوا بسورة من مثله .

ثم كانت الهجرة فرقانا بين الحق والباطل ، وواجهته في المدينة معضلات جديدة بعد انفراج الكرب في مكة بالهجرة ، لقد كان هناك النزاع بين القبائل في المدينة ، وكانت اليهود ولهم مكانتهم وقوتهم ، وكانت هناك قوة قريش والعرب ، ثم أهم من كل ذلك إقامة الدولة وبناء الأمة الاسلامية .

فبدأ أولا بتحقيق الأمن للمسلمين ، فعقد عهودا منفصلة مع طوائف اليهود بالمودة وحسن الجوار ، وجاءت نصوص هذه العقود دقيقة ، وعجيبة في صياغتها الحقوقية التي تضمنت إقامة الدولة في المدينة ، وفي إعلانها لأول مرة في التاريخ « الأمة » بالمفهوم العلمي ، حيث جعل المسلمين « أمة وحدهم » .

ثم أخذ يواجه القوة بالقوة ، فقام

بعدة هجمات جزئية على تجمعات للمشركين ، حتى كانت المعركة الضخمة يوم غزوة بدر الكبرى ، التي دوى وقعها في التاريخ ، واستمرت بعدها المعارك حتى كان النصر الأعظم بفتح مكة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا . وكان نشاطا عسكريا مدهشا قام به النبي صلى الله عليه وسلم فقد وجه النبي القائد زهاء مائة معركة ، كان منها خمس وعشرون غزوة أي معركة كبيرة ، اشترك صلى الله عليه وسلم نفسه في أشدها خطورة ، وكان يتقدم جيشه ، ويخترق صفوف العدو بنفسه ، فما يطيق أشجع الناس صنيعه . وتمت تلك العمليات الحربية الضخمة العدد في فترة وجيزة بدءا من السنة الثانية للهجرة إلى الثامنة وهي عام الفتح . حيث خضعت له الجزيرة العربية ، ودخل الناس في دين الله أفواجا .

## لولا شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم لما كانت الفتوحات :

على أن الأمر كان أبعد من ذلك وأعظم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه كان هو المؤثر والممهد لتلك الفتوحات الشاسعة والمترامية الأطراف التي تلت ذلك ، والتي كانت معجزة في حساب التاريخ ، ولولاه لما كانت تلك الفتوحات التي انطلق فيها المسلمون في أرجاء الأرض قط ، بل لولاه لما كان للعرب شأن يذكر ، اللهم إلا ما كانوا عليه من سوء الحال !

هذا كله إلى جوار التنظيمات الداخلية ، التي يتطلبها تشييد دولة منظمة تتسع للعالم ، عوضا عن نظام قبلي بدائي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بنشر العلم ، وتعيين القضاة ، والعمال ( الولاة ) ، والجباة يجبون الزكاة وغيرها ، ويؤدون الأموال من زكاة وغيرها إلى مستحقيها ، وغير ذلك من مرافق التنظيم الاداري التي يصعب حصرها .

ولم يقتصر أثر دعوته على المسلمين أتباعه ، بل أضاء نورها على العالم ، فانتقلت أوربة بفضل الاسلام إلى الحضارة والعلم والمدنية ، حتى شهد المؤرخون الأجانب أنه لولا الاسلام لظلت أوربة في ظلمات العصور الوسطى .

## عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم تغطي كل أوجه الكمال :

ومما تمتاز به عظمة النبي صلى الله عليه وسلم أنه غطى جميع أوجه الكمال بعظمته ، فإذا كان الأفراد القلائل في التاريخ فاقوا ونبهوا في جانب ما فقد كانوا عاديين في جوانب أخرى ، أما عظمته صلى الله عليه وسلم فلا تقصر في جانب منها اطلاقا ، حتى لتجد الكاتبين عن عظمته منطلقين في كل الجوانب ، أمام مادة وافرة وافية الدلالة ، فتجد عندهم مثل هذه العناوين في عظمته : محمد الداعي ، محمد العسكري ، السياسي ، الاداري ، البليغ ، الصديق ، الرئيس ، الزوج ، الأب ، السيد ، العابد ، الرجل ..

## الرسول القدوة في الصبر والمصابرة :

ومما تمتاز به عظمة هذا النبي أنه في كل حياته منذ نشأته ، ثم في شبابه ، ثم في دعوته وجهاده ، كان هو موضع الأسوة الحسنة ، والقدوة المثلى لكل انسان يريد ان ينشأ في هذه الحياة بقوة وكمال ، لما دأب عليه من الصبر والمصابرة ، فكانت حياته مثالا لكل نوع من انواع المجاهدة ، اقتدت به أمته فيها من بعده ، حتى نبغ فيها من مختلف الطبقات والأجناس والألوان بنقاء لم ينبغ مثلهم ومن بيئاتهم في التاريخ .

ومما تميزت به شخصية النبي الكريم بل هي اعظم ميزة انسانية فيه وهي مكارم أخلاقه ، التي أثنى الله عليها بأبلغ وأعظم مدح فقال تعالى : « **وإنك لعلى خلق عظيم** » سورة القلم/ ٤ .

وقد استدلت بذلك السيدة خديجة رضي الله عنها ، عندما قص عليها النبي صلى الله عليه وسلم نبأ مفاجأته بالوحي لأول مرة بغار حراء ، وقال لها : « لقد خشيت على نفسي » فقالت له خديجة رضي الله عنها : « كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق » رواه البخاري .

كذلك نجد هرقل ملك الروم يسأل ابا سفيان وأصحابه من تجار مكة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : ( **فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال** ؟ ) فقال أبو سفيان : لا ، فعلق هرقل قائلا : ( **فقد أعرف أنه لم يكن ليقرر الكذب على الناس ويكذب على الله** ) وكان فيما سأله : ( بماذا يأمركم ) فأجاب أبو سفيان : ( يقول : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ) فعلق هرقل بقوله : ( فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين ) رواه البخاري ومسلم .

## عظمة أخلاقه صلى الله عليه وسلم شاهد على نبوته :

وقد اعتبر المحققون فضائل أخلاقه دلائل على نبوته ، وذكروا مجامع منها تناسب مقالنا هذا ، لما فيها من الايجاز والشمول ، ننقلها عنهم فيما يلي :

● « الأول أن أحدا لم يسمع منه كذبا لا في أمور الدين ولا في أمور الدنيا ولو صدر عنه شيء من ذلك مرة واحدة لاجتهد أعداؤه في نشره وإظهاره . قال الماوردي : ( ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلا على تكذيبه في الرسالة . ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر ألزم ، ومن عصم منه ( يعني الكذب ) في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى أعصم ، وحسبك بهذا دفعا لجاحد وردا لمعاند )

● الثاني : أنه ما فعل قبيحا منفرا عنه لا قبل النبوة ولا بعدها .

● الثالث : أنه لم يفر عن أحد من

أعدائه لا قبل النبوة ولا بعدها ، وإن عظم الخوف مثل يوم أحد ويوم الأحزاب وهذا يدل على أنه كان موقن القلب بمواعيد الله حيث قال له : **( والله يعصمك من الناس )** المائدة/٦٧ . وقال : **( حسبك الله )** الأنفال/٦٤ . وقال **( إلا تنصروه فقد نصره الله )** التوبة/٤٠ .

● الرابع : أنه كان عظيم الشفقة والرحمة على أمته كما قال الله تعالى : **( فلا تذهب نفسك عليهم حسرات )** فاطر/٨ . وقال تعالى : **( فلعلك باخع نفسك )** الكهف/٦ . وقال تعالى : **( عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم )** التوبة/١٢٨ .

● الخامس : أنه كان في أعظم الدرجات في الكرم والسخاء حتى ان الله تعالى علمه التوسط في ذلك حيث قال له : **( ولا تبسطها كل البسط )** الاسراء/٢٩ .

● السادس : أنه ما كان للدنيا في قلبه وقع ، ( وإن قريشا عرضوا عليه المال والزوجة والرياسة حتى يترك هذه الدعوى فلم يلتفت إليهم ) .

● السابع : أنه عليه الصلاة والسلام كان في غاية الفصاحة ( كما قال : أوتيت جوامع الكلم ) .

● الثامن : أنه عليه السلام بقي على طريقته المرضية من أول عمره إلى آخره ، والكذاب المزور لا يمكنه ذلك وإليه الاشارة بقوله تعالى : **( قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين )** سورة ص/٨٦ .

● التاسع : أنه عليه الصلاة والسلام كان مع أهل الغنى والثروة في غاية الترفع ومع الفقراء والمساكين وأهل الدين في غاية التواضع .

● العاشر : أنه كان عليه الصلاة والسلام في كل واحدة من هذه الأخلاق الكريمة في الغاية القصوى من الكمال ، وكان مستجمعا لها بأسرها ، فلم يتفق ذلك لأحد من الخلق فكان اجتماعها في ذاته من أعظم المعجزات .

ونستحسن في هذا المقام هذه الكلمة الموجزة التي أوردها الجاحظ في صدر كلامه عن البيان النبوي في كتابه البيان والتبيين . فقال يصف الأخلاق النبوية :

« وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض ، ويجلس على الأرض ، ويلبس العباء ، ويجالس المساكين ، ويمشي في الأسواق ، ويتوسد يده الشريفة ، ويقص من نفسه ، ويلطع أصابعه ، ولا يأكل متكئا ، ولم ير ضاحكا ملء فيه ، وكان يقول : « إنما انا عبد ، آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد ، ولو دعيت الى ذراع لأجبت ، ولو أهدي إلي كراع لقبلت » .

لم يأكل قط وحده ، ولا ضرب عبده ، ولا ضرب أحدا بيده إلا في سبيل ربه ، ولو لم يكن من كرم عفوه ورجاحة حلمه ، إلا ما كان منه يوم فتح مكة ، لقد كان ذلك من أكمل الكمال وأوضح البرهان . وذلك أنه حين دخل مكة عنوة ، وقد قتلوا أعمامه وبني أعمامه ، وأولياءه وأنصاره ، بعد أن حصروه في

الشعاب ، وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب ، وجرحوه في بدنه ، وآذوه في نفسه ، وسفهوا عليه ، وأجمعوا على كيده ، فلما دخل بغير حمدهم ، وظهر عليها على ضغن منهم ، قام فيهم خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أقول كما قال أخي يوسف : « **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين** » . يوسف/ ٩٢ .

## أسلوبه التربوي العظيم :

ومما امتازت به عظمة النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الأسلوب التربوي الناجح الفريد الذي امتاز به على الناس ـ وهو الأمي في قوم أميين ـ فقد أوجد أمة فاقت الأمم في مجموعها ، كما فاقت في أفرادها ، لقد حول العرب من أمة بداوة وبدائية إلى أمة كانت « خير أمة أخرجت للناس » ، وصنع من العرب البداة الجفاة الأميين قادة عظاما ، وأساتذة معلمين ومربين ، هم مضرب المثل عبر التاريخ في العقل والتحضر والايمان والخلق ، والأمانة ، والقيم ، والثقافة والعلم ، فقاموا من بعده بإدارة الدولة الكبرى التي بشرهم بها أحسن قيام .

## الرسول صلى الله عليه وسلم هو رجل التاريخ الأول :

وبهذا كان محمد صلى الله عليه وسلم : « الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في المستويين الديني والدنيوي » . « وأن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معا ، لما يخول محمدا أن يعتبر أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية » .

إن محمدا صلى الله عليه وسلم عظيم لأنه قدوة المقتدين في المناقب التي يتمناها المخلصون لجميع الناس ، عظيم لأنه على خلق عظيم ، وإيتاء العظمة حقها لازم في كل آونة وبين كل قبيل ، وحسبنا من عظمته أنه عظيم في كل ميزان ، عظيم في ميزان الدين ، وعظيم في ميزان الشعور ، وعظيم عند من يختلفون في العقائد ولا يسعهم أن يختلفوا في الطبائع الآدمية ، والبدهيات المنطقية .

إن عمل الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم لكاف جد الكفاية لتخويله المكان الاسنى من التعظيم والثناء . إنه نقل قومه من الايمان بالأصنام الى الايمان بالله .

بل إنه نقل العالم كله من ركود وجمود إلى حركة وتقدم ونهوض . ومن فوضى إلى نظام ، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة انسانية ، لم ينقله هذه النقلة قبله ولا بعده أحد من أصحاب الدعوات ، وإن عمله هذا لكاف لتخويله المكان الأسنى بين صفوة الأخيار الخالدين .

ونقول أخيرا ـ أسوة بصاحب العبقرية ـ حسبنا من مقالنا هذا أن يكون بنانا يومي الى تلك العظمة في آفاقها ، فإن البنان لاقدر على الاشارة من الباع على الاحاطة ، وأفضل من عجز المحيط طاقة المشير .




○ للدكتور / محمد أحمد العزب

ـ ١ ـ

حين نودع عاما هجريا ، ونستقبل عاما هجريا جديدا ، تتوافد علينا ذكريات عديدة بعضها مؤرق ، وبعضها حافز ، وبعضها يصل بيننا وبين جذور التحول في تاريخ إسلامنا العظيم .

هي ذكريات مؤرقة : لأن الهجرة تعرى جوهر المأساة في موقف قريش من النبى صلى الله عليه وسلم ، وموقفهم كذلك من أصحابه الموادعين .. فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يأخذ بحجزهم عن النار ، وهم يصرون على التهافت فيها كما يتهافت الفراش الأرعن .. وكانت عيناه تمتلئان بالدموع كلما ابعدوا في السقوط ، وكانوا هم يبيتون له المؤامرات ، ويحفرون في طريقه الهوات .. وذلك بعينه كان جوهر المأساة !!

وهي ذكريات حافزة : لأن تاريخ الدعوة والدعاة في مكة ـ قبل الهجرة ـ كان بمثابة اختزان لقوة الدفع التي تفجرت فيما بعد ، فمكنت للاسلام ، وأرغمت الشرك على اجترار هزائمه المتتالية ، وأعادت الصواب الغائب الى حركة التاريخ ، فبدأ هؤلاء الفقراء المطاردون ، القابضون على دينهم ومواقفهم بلا ملال ، يطاردون ليس الذين طاردوهم ، وإنما يطاردون الخرافة في رءوسهم ، وتوثين الاشياء في قلوبهم ، واهتزاز القيم في علاقاتهم ، وانحصار الآفاق في مجرد واقعهم الآني الصغير .. وكان هذا الفعل من هؤلاء المطاردين العقائديين ، دليلا مؤكدا على أن جيلا مؤمنا ما ، يمكن أن يرفض في التاريخ كل ملامح القهر والتدلي والتشويه ، طموحا الى تاريخ مختلف ، يفص

بالبكارة والطهارة وإيمانية القرار .. وهذه بعض قيم الحفز التي تنطوى عليها بعض ذكريات هذا العام الهجري الجديد !!

وهي ذكريات تصل بيننا وبين جذور التحول في تاريخ إسلامنا العظيم ، لأن هذا الاسلام المهاجر لم يقف أمام رعونة البطش بلا حركة فاهمة ، فقد استوعب الحزن والأمل ، وعبر في جسارة رائعة كل أحزانه الكبيرة ، ليؤسس في يثرب أمل الحضارة ، وحضارة الأمل .. وبالفعل لم تمض حقبة خاطفة من التاريخ ، إلا والمسلمون زاحفون على معاقل الوثنية ، ضاربون بالسيف وجه الشرك ، ورافعون في الأرض راية التوحيد ، فمكنوا لهذا التحول التاريخي الذي نقل محور الحركة في حضارة العالم من كل الأرض إلى هذا الموقع من جزيرة العرب بالذات .. وهذا هو المثير لقيم التواصل بيننا وبين جذور التحول في تاريخ إسلامنا العظيم !!

ـ ٢ ـ

وليت الذين يقرأون تاريخ الهجرة ، يقرأون فيه تاريخ قلوب حساسة ، وتاريخ معاناة فادحة ، وتاريخ إصرار فريد ، لا مجرد تاريخ لمجرد أحداث جسام .. فالذين صنعوا هذا الفعل التاريخي كانوا بشرا يعيشون المشاعر الانسانية الحميمة ، وكان رائدهم صلى الله عليه وسلم يتحسس مواطن الحب في قلبه وهو يخرج من مكة ، أحب بلاد الله الى قلبه .. وكانوا بشرا يخوضون بحار المعاناة ، حين قطعوا هذه الفيافي اللافحة الغليظة بين مكة والمدينة ، وهم يتوقعون في كل شبر هوة ، وعبر كل صيحة نذيرا ، ووراء كل حجر عدوا .. وكانوا بشرا يعتصمون بإصرار إيماني يضع الوطن والدفء والسلام في كفة ، وقضية المصير الايماني في كفة أخرى .. فيرفض حتى مجرد التفكير في غير مصيره الايماني ، مهما بذل في سبيل ذلك من تضحيات بلا حدود !!

ولأنهم بشر ، يعيشون حساسية الانسان وإيقاع نبضه الانساني ، فقد مسح نشيد الفرح ولقاء الايثار في يثرب ، كل ما علق بجباههم من تراب الرحلة ، ومخاطر الملاحقة !!

من هنا .. ينبغى أن نقرأ تاريخ الهجرة على انه تاريخ قلوب لا مجرد تاريخ لمجرد أحداث ، حتى نستطيع أن نعطيه حجمه الحقيقي ، الذي يبدأ من حتمية المبارحة للأرض والمال والولد ، وينتهى الى فرضية الشهادة في كل خطوة .. وما أفسح المدى الذي تختصره هذه الرحلة ، بكل هذا الشمول ، بين حتمية المبارحة وفرضية الشهادة !!

ـ ٣ ـ

ولماذا في حدث تاريخي هائل كالهجرة نحشد كل عقولنا في اتجاه تأمل الأشياء البارزة وحدها ، نهمل كل المفردات الصغيرة ، التي قد تحمل في أطوائها بطولة الموقف وطموح التطلع وفدائية الايمان ؟

لا بد ـ بالتأكيد ـ من تأمل أدوار البطولات الكبيرة : في القائد ، والصديق ، وعلى .. وأيضا ملامح الأحداث الهائلة : في بيت محمد ، وفي الغار وعلى أبواب المدينة .. ولكن لا بد كذلك من تأمل عديد من المفردات الصغيرة ، والتي تنطق بكثير من قيم الايمان الفدائي والذكي في آن ، والتي هي جزء صميم من حركة الهجرة وهجرة الحركة !!

عبدالله بن أبي بكر .. وعامر بن فهيرة ـ وأسماء بنت أبي بكر .. وعبدالله بن أريقط وأم معبد .. وشاة أم معبد .. وأوس بن حجر .. وناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

لقد نهض عبدالله بن أبي بكر بمهمة « الاستخبار » وتجميع ما يقال في مكة ، وما يأتمر به الملأ من قريش ، وحمل كل أولئك إلى النبى المهاجر وصاحبه الصديق في الغار ، فكان جزءا من حركة النصر المقدور بما وضعه أمام المهاجر النبى من « معلومات » عرف من خلالها طبيعة العدوانية المناهضة في اتجاهها نحو مزيد من التعطش الى إراقة الدماء !!

ولقد أكمل عامر بن فهيرة ـ مولى أبي بكر ـ هذا الفعل البطولي ، بما نهض به هو الآخر من إراحة غنم أبي بكر على المهاجرين ، واحتلا بها لهم « فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما الى مكة ، أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفى عليه » السيرة النبوية لابن هشام ص ٤٨٦ ، فأمن بذلك رحلة عبد الله من النبى والى النبى ، ثم هو من « أردفه أبو بكر وراءه ليخدمهما في الطريق » نفس المرجع ص ٤٨٧ ولقد أجنت أسماء السر في قلبها البكر .. وجسدت بطولة الفكر في حوارها المرهف مع جدها الذي جاء يسألها إن كانوا يحتاجون لشيء ، فأقنعته بأن لديهم كل شيء .. وشكلت بداية تاريخ « الامداد العسكري » حين حملت الى المهاجرين المحاصرين بقوى البطش ، ما تستطيع من زاد وماء حتى استحقت عن جدارة فائقة رتبة : « **ذات النطاقين** » !! قال ابن إسحاق :« لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه ، قالت ـ يعني أسماء ـ : فدخل علينا جدى أبو قحافة ، وقد ذهب بصره فقال : والله إني لا اراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قالت : قلت : كلا يا أبت ، إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا ، قالت فأخذت أحجارا فوضعتها في كوة البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال ، قالت : فوضع يده عليه ، فقال لا بأس ، اذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم ، ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك » السيرة النبوية ص ٤٨٨ لابن هشام وقال ابن اسحق :« وأتتهما أسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما ، فلما ارتحلا ذهبت لتغلق السفرة . فإذا

ليس لها عصام ، فتحل نطاقها فتجعله عصاما ، ثم علقتها به قال ابن هشام : لما أرادت ان تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر » نفس المرجع ص ٤٨٦ .

ولقد كان عبدالله بن أريقط دليل المهاجرين في ليل المخاطر ، وكان مطالبا بالوفاء بذكاء الحيلة ، واختراق الحصارات ، وتضليل المطاردين ، وتأمين رحلة الوصول .. واستطاع بالفعل أن ينجز فعله التاريخي ؛ وأن يضع عنقه تحت نفس السيف الذي كان يترصد النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق !

ولقد أعطت أم معبد - عن فراسة عربية مرهفة - ما عندها من لبن للمهاجرين العزل ، وتركت في التاريخ أروع لوحة وصفية تحمل لنا الكثير من ملامح التكوينات الخلقية في النبى صلى الله عليه وسلم : لون عينيه .. ومساحات تكوينه .. وايقاع حركته .. ونبض البركة في حلوله على الأشياء والأحياء :« ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه نجلة ، ولم تزره صعلة ، وسيم قسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صحل ، وفي عنقه سطح ، أحور أكحل ، أزج أقرن ، شديد سواد الشعر ، اذا صمت علاه الوقار ، وان تكلم علاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنهم وأحلاهم من قريب ، حلو المنطق ، فضل لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا تقحمه عين من قصر ، ولا تشنؤه من طول ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، اذا قال استمعوا لقوله ، واذا أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند » زاد المعاد ج٢ - ص ٥٤ لابن القيم .

ولعل مما يؤكد تاريخية هذه اللوحة الوصفية أنها تجيء قريبة قربا حميما من اللوحة الوصفية الأخرى التي رواها التاريخ عن علي بن ابي طالب للنبى صلى الله عليه وسلم ، قال :« لم يكن بالطويل الممغط ، ولا بالقصير المتردد ، كان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط ، ولا بالسبط ، كان جعدا رجلا ، ولم يكن بالمطهم ، ولا بالمكلثم ، كان أسيل الخد ، وكان أبيض مشربا بحمرة ، أدعج ، أهدب الأشفار ، ذا مسربة ، شثن الكف والقدمين ، جليل المشاش والكتد ، اذا التفت التفت معا ، واذا مشى يتكفأ تكفؤا ، كأنما ينحط من صبب ، بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو خاتم النبيين ، أجود الناس صدرا ، وأشجعهم قلبا ، وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه فعرفه أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ، ولا يرد الحديث سردا ، يتكلم بكلام فصل ، يفهمه من سمعه » جامع الأصول ج١١ ص٢٢٤ - ص٢٢٥

ولقد وهبت شاة أم معبد ضرعها للنبى صلى الله عليه وسلم ، على

جفاف هذا الضرع ويباسه ، فما هو إلا أن مسحه بيمينه حتى تفاجَّت عليه ودرت ، فدعا بإناء فحلب فيه حتى علته الرغوة ، فشربوا وشرب ، وحلب فيه ثانيا حتى ملأ الاناء، ثم غادره عند صاحبتها وارتحلوا . زاد المعاد ج٢ ص٥٤

ولقد قدم أوس بن حجر للمهاجر النبى صلى الله عليه وسلم ما حمله الى المدينة ، بعد أن أبطأ عليه وعلى صاحبه بعض ظهورهم .. يقول ابن هشام :« فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أسلم ، يقال له : أوس بن حجر ، على جمل له ـ يقال له : ابن الرداء ـ الى المدينة ، وبعث معه غلاما له ، يقال له : مسعود بن هنيدة » السيرة النبوية لابن هشام م ١ ص ٤٩١ ـ ص٤٩٢

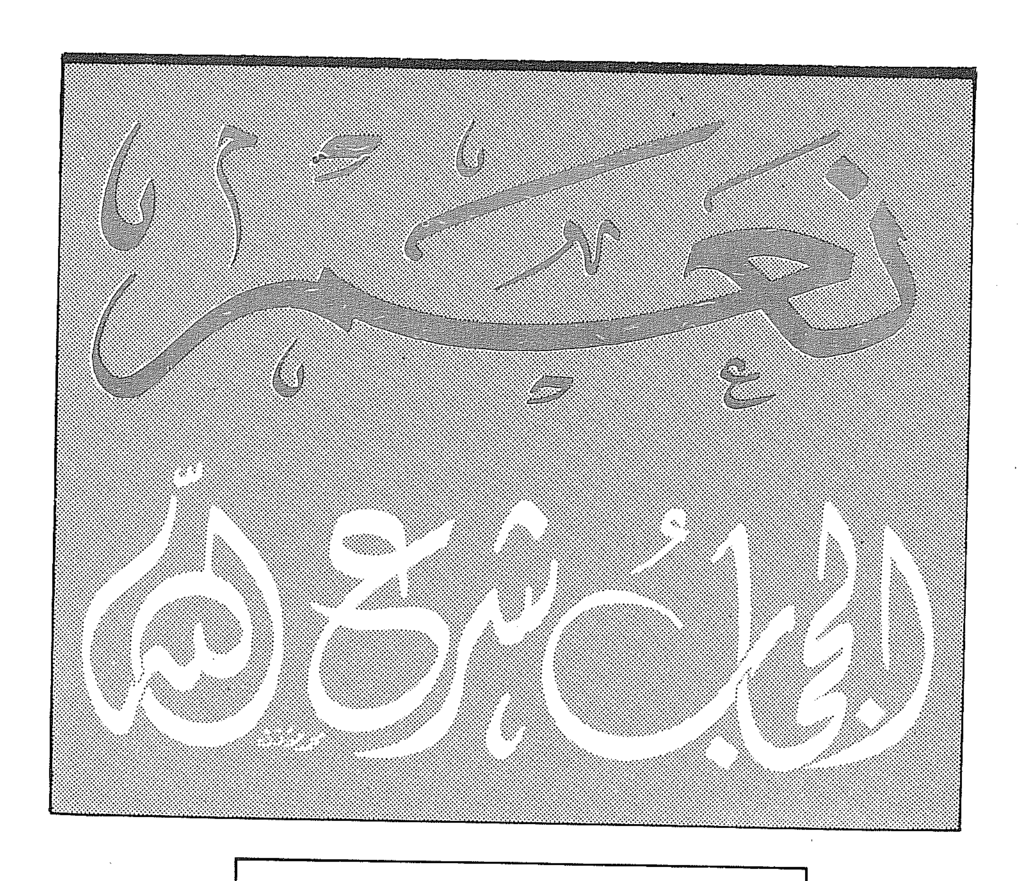
ولقد رسمت ناقة النبى قلب خريطة الدولة الاسلامية الأولى ، ومحور التوجه في خريطة هذه الدولة ، وهو المسجد النبوى .. وحين حاول كل فريق في المدينة تخطف الشعاع ، واستقطابه فيهم ، أومأ إليهم صلى الله عليه وسلم ، وهم يتجاذبون خطام الناقة التاريخية ، قائلا في وداعة وحلم :« خلوا سبيلها فإنها مأمورة » !!

وهكذا نرى أن هذه المفردات الصغيرة التي قد نتخطاها إلى تأمل الخطوط البارزة في الهجرة ، يمكن أن تكون ناطقة هي الأخرى ببلاغة الموقف ، وطموح التطلع ، وفدائية الايمان !!

وليتنا نستطيع أن نعرف عن هذه المفردات الصغيرة وغيرها أكثر مما نعرف الآن ، فهناك ـ ربما ـ عناصر من تاريخ هذه المفردات غابت عن ذاكرة التاريخ ، وإن كان من بعض كمالات التاريخ المسلم بالذات ، إكبابه على استقصاء كثير من جوانب الوجود الخاص والعام معا ، لقائد الدعوة صلى الله عليه وسلم ، ولشكل علاقاته بالأشياء والأحياء ، ولطبيعة استجاباته المتعددة لكثير من مواقف البأس ومواقف السلام !!

تصبح الهجرة ـ من هذا المنطلق ـ تاريخ قائد ودعوة ـ ومنطلق حضارة وأمة ، وشكل علاقات واجتماع ، وذكاء وعي وحركة ، وبداية تحول واحتشاد ، وإطار فعل يشترك في تشكيله الوحي الوضيء ، والقائد النبى ، والقاعدة المؤمنة !!

وهكذا ينبغى أن نقرأ الهجرة ، وأن نستقبل هلالها الطالع ، وأن نرجو فينا بداية هجرة إلى الهجرة حتى نعثر ـ من جديد ـ على ملامحنا المفقودة ، وهوياتنا الضائعة ، وشكل أيامنا الاتية التي نحلم بها مدخلا الى بطولة مجددة ، تستعيد الراية ، وتعطى للفتح سيفه المحمدي الرائع ، ومضمونه القرآني العظيم ، وتعبر بالعالم الاسلامي مناطق احباطاته وانقساماته وهزائمه ، وكل تدلياته التي شوهت تاريخه المعاصر ، وأوشكت أن تعتدى ـ بغلاظة جاهلة ـ على بعض سطوع تاريخه القديم !




للدكتور / عبدالفتاح محمد محمد سلامة

لم تعرف الدنيا كلها تشريعا سماويا أو وضعيا : أنصف المرأة ، وأعلى قدرها ، ورفع من مكانتها ، وبوأها المنزلة اللائقة بها : كما كان من أمر الاسلام الذي حمله إلى الناس جميعا محمد رسول الله .. وذلك بعد عصور ذاقت فيها الأنثى صنوف العذاب وألوان النكال مادية وأدبية ، حيث كانت تسام الخسف ، وترغم على الضيم ، وتتجرع مرارة الاذلال ، وتسقى كؤوس الاحتقار والازدراء ، وتطحنها بين شقيها رحى البغي والعربدة والطغيان !!

أجل !! لقد كانت المرأة في العصور الخوالي قبل الاسلام : مخلوقا غريبا ينظر اليه شزرا ، ومن ثم فقد اعتبرت أحبولة من أحابيل الشيطان ، بل لقد أوصلها بعض الفلاسفة الى درجة المخلوق النجس الذي يجب تحاشيه والنأي عنه ، وكثير منهم زعم أنها تحمل بين ضلوعها روحا خبيثة ، تحرمها شرف الانتماء إلى النوع الانساني !!! وهكذا سارت أودية الوهم بالفكر البشري القاصر ، فراح يتخبط بين نظرية وأخرى ، وينسج الأقاويل المتهرئة ، ليطعن الحقيقة الأنثوية ، التي أبدعها الله فأتقن ابداعها ، وصنعها فأحسن صناعتها ، وصاغها فأحكم صياغتها :

« **صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون** » ( النمل / ٨٨ ) .
وذهبت المرأة ضحية هذا الانفلات الذهني ، وصريعة الشرود العقلي ، بعد أن جنح أتباعه عن المنطق الصوابي ، ورفضوا الاحتكام إلى منهجية الفطرة ، وشفافية الوجدان !!! ومن هذا المنطلق : رأينا الأنثى ـ قبل الاسلام ـ كَمّاً مهملا ، لا رأى لها ولا إرادة ، ورأيناها أَمَةً تُسترق وتُستذل ، وتباع في الأسواق وتشترى ، وإذا منحت الحرية : فهي سفيهة عابثة ، ليس لها أهلية التصرف ، ومن ثم ينبغي منعها من الولاية على نفسها وما تملك !!!
إلى هذا الدرك الدون وصلت المرأة : بل إن أرباب الهوى اتخذوها ملهاة ينفسون بها عن غرائزهم المحمومة ، وشهواتهم المسعورة ، وأصبحت بين أيديهم كالدمية ، يحركونها متى شاءوا ، ويقذفون بها متى أرادوا !!!
وتظل المرأة متردية في تلك الأوضاع المهينة ، حتى تبلغ قمة ما أريد لها من تجاهل ونكران ، وازدراء وإسفاف .. حيث تبلغ الفظاعة أقصاها ، والبشاعة منتهاها ، فاذا بها توضع في التراب حية ، بغضا لها ، وزهدا فيها ، من غير ان تنبض القلوب برحمة ، أو تنبض بعاطفة : وهذا هو الوأد ، الذي أدان القرآن فاعليه ، وأودعهم بسببه قفص الاتهام ، في تجريم مقيت ، وتعنيف غليظ :
( **وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت** ) التكوير / ٨و٩ .
ثم جاء الاسلام ، وصاح في العالمين صيحته الداوية ، فخشع الدهر ، وأنصت الزمن ، ووقف التاريخ يصغي لتلك الكلمات الندية ، وهي تتنزل من علياء السماء ، على قلب محمد النبي الأمي ، لتفجر قضية الوجود الانساني ، متمثلة في « آدم » الذكر وفي « حواء » الأنثى ، ولتعلن ـ للبشرية ـ أنهما من أصل خَلقي واحد ، وأن الناس ـ قاطبة ـ ينتمون إليهما دون تمييز :
( **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** ) النساء / ١ .
( **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ) الحجرات / ١٣ .
( **والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلى . وما خلق الذكر والأنثى** ) الليل / ١ ـ ٣ .
وبهذه النصوص : انجابت الغشاوة عن العيون ، ولم تعد القضية مجرد ظنون ، وغدت الحقيقة في تألقها وإشراقها كالصبح المبين .. فلقد صارت المرأة ـ من المنظور الاسلامي ـ أختا للرجل ، لها ما له ، وعليها ما عليه ، في حدود الأطر الفطرية والخلقية التي زود الله بها كلا منهما ، بلا تنقص أو افتئات : يقول الله تعالى :
( **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة** ) البقرة/٢٢٨ .
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :
« إنما النساء شقائق الرجال .. » رواه أبو داود واحمد :

وفي مجال الحقوق : أعطى الاسلام المرأة ، كما أعطى الرجل :

**( للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلَّ منه أو كَثر نصيبا مفروضا )** النساء / ٧.

وعندما كلف الاسلام أتباعه بالعمل ، لم يحرم المرأة من هذا الشرف ، وجعل العمل قاسما مشتركا بينهما ، فالمرأة صنو الرجل في التكاليف الشرعية ، تثاب على الطاعة ، وتؤاخذ على المعصية :

**( ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا )** النساء / ١٢٤.

وللمرأة ان تطلب العلم مثل الرجل ، من منطلق فرضيته على المسلم ..يقول رسول الله :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم .. » رواه الطبراني ..

وفي النواحي المدنية : منح الاسلام المرأة حقوقا ، ما كانت لتراودها في أي عصر من العصور .. فمن حقها أن تبيع وتشتري وتتملك وَتَهِبُ ، وتمارس من الأعمال ما يتفق .. وطبيعتها الأنثوية ، ولا يتناف مع حيائها وعفتها !! بل إن الاسلام العظيم في هذا المجال : بلغ أرقى مستوى يمكن للمرأة أن تهفو إليه : فأعطاها حق الولاية على نفسها عند إرادة الزواج ، فلها أن تختار من تشاء ، ولا يتدخل الأولياء إلا في نطاق بذل النصح والمشورة : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن .. » رواه مسلم ..

هذه الحقوق التي حصلت عليها المرأة في ظل الاسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان : لم تستطع المرأة الغربية ـ في القرن العشرين ـ أن تحصل على بعضها ، إلا بعد جهد جهيد ، ومحاولات دائبة ، وسعى موصول !!

## دعوة آثمة :

والاسلام في هذا الخضم : لم ينس أن يلفت المرأة إلى طبيعتها الرقيقة ، وما أودعه الله فيها من أنوثة غضة ، قد تطمع فيها ذئاب البشر ، والمتنمرين منهم : فأمرها بالتزام الأدب ، وعدم الظهور أمام الناس إلا في ثياب الحشمة والوقار ، حتى تسد على مرضى القلوب كل منفذ من منافذ الشيطان .. ومن هنا كان أمر الاسلام بالحجاب ، وكانت وصيته للنساء أن يلتزمن به ، ويحافظن عليه ، في أثناء خروجهن ، أو اختلاطهن بالأجانب عنهن ..

واليوم تتعرض المرأة لحملات مسعورة ، ودعوات مغرضة : هدفها اقتلاع المرأة من سور العفة المنيع الذي أحاطها به الاسلام ، عن طريق تزيين الغواية لها ، وإغرائها بالتبرج ونبذ الفضيلة ،وإيهامها أن ذلك كله : مسايرة للتقدم ومواكبة للتفتح والرقي ..

**والحق أقول** : إن موضوع « الحجاب » في القرآن : من الظهور بمكان ، وهو ـ في وضوحه ـ غنى عن التعليق والبيان .. ولكن ماذا نفعل وقد رزأنا الدهر بأقوام

صموا آذانهم وأعموا عيونهم وغلفوا قلوبهم عن حقيقة ثابتة ثبوت الشمس في رابعة النهار ؟؟

وحقا : لقد صدق الشاعر « البوصيري » حين قال :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

فقد نشر الكاتب « حسين أحمد أمين » مقالا في جريدة « الأهالي » المصرية .. شحنه بمفتريات وأباطيل وأغلاط فادحة .. لأنه زعم أنه :

« ليس في القرآن نص يحرم سفور المرأة أو يعاقب عليه » « وأن الرجال يتمسكون بالحجاب ليستبدوا بالمرأة فينفسون عن قهرهم سياسيا واجتماعيا ».

ولست أدري كيف فهم الرجل هذا الفهم الملتوي ؟ ومن أين له هذا التصور الشائه ؟؟ إن كل النصوص القرآنية التي دارت حول السفور والحجاب تدينه وتدمغه !!! يقول الله تعالى :

**( وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى )** الأحزاب / ٣٣ .

أليس في هذا أمر للنساء بالقرار في البيوت وعدم الاختلاط إلا حيث تستدعي ذلك ضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها ؟؟أوليس في النص ـ كذلك ـ نهي للنساء عن التبرج الذي يعني السفور ؟ اذ أن من معاني التبرج إظهار الزينة وإبداء المحاسن !!! أم أن الكاتب تقاصر استعداده اللغوي فلم يدرك ما تشير إليه الكلمات من معان ؟؟ إن كان الأمر كذلك فله عذره ، لأنه لا يعدو أن يكون تلميذا مخلصا مطيعا في مدارس الاستشراق يحمل فكرها ، وينشر سمومها !!!

نعم !! الخطاب في الآية لأزواج النبي الأعظم .. ولكنه ينسحب على النساء جميعا ، لأن خطاب النبي خطاب لأمته ، ما لم تكن هناك قرينة صارفة .. على أنهم قالوا : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب !!! ألا يعرف الكاتب هذه القاعدة ؟؟ أم أنه يعرفها ولكنه يتجاهلها ؟ بيد أن الأمر في كلا الحالين كما نطق الشاعر :

إن كنت لا تدري فتلك بلية ... أو كنت تدري فالبلية أعظم

ثم تعالوا بنا إلى نص صريح لا تأويل فيه لمتأول ، ولا قول فيه لمتقول .. ألم يقل القرآن :

**( يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين )** الأحزاب/ ٥٩

ثم ألم يقل القرآن ايضا :

**( وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن )** النور/ ٣١

هذه النصوص القرآنية : أليس فيها أمر صريح للنساء : أن يلتزمن بالعفة والفضيلة ، ويتحلين بالأدب والخلق ، ويتزين بالوقار والاحتشام ، فلا يبدين المفاتن ومواضع الزينة إلا ما ظهر منها « وهما الوجه والكفان » ، وما عدا ذلك فلا يجوز للمرأة ان تكشف عنه ؟؟

روى أبوداود بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أسماء بنت أبي بكر الصديق : دخلت على النبي الكريم وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها وقال : « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا ، وأشار إلى وجهه وكفيه .. » ..

هل هناك دليل أقوى مما ذكرناه على تأكيد مشروعية الحجاب وتحريم السفور بالنسبة للمرأة ؟

ولكن يبدو ان الكاتب ينشد الشهرة لذاته ، على طريقة « خالف تعرف .. » ..

**أيها الكاتب** : إن كنت تريد تحقيق شهرة لنفسك ، فلا يكونن الطريق إليها جرأة صارخة منك على شرع الله وأحكام دينه ، فإن هذا ليس من سمة العقلاء !!

ثم ماذا يريد « حسين أحمد أمين » بقوله : « إن الرجال يتمسكون بالحجاب ليستبدوا بالمرأة فينفسون عن قهرهم سياسيا واجتماعيا .. » ..

إننا نتساءل : هل علاقة الرجل بالمرأة ـ في منهج الاسلام ـ قائمة على الاستبداد والقهر ، كما يتصور هذا الكاتب الموتور ؟

يا هذا : إن صلة الرجل بالمرأة ـ في منظور القرآن ـ أسمى مما تزعم !!! إنها مبنية على المودة والرحمة والحب والسكن .. ولتقرأ ـ مثلا ـ قول الله في ذلك : **( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة )** الروم/٢١

وبهذه المعطيات القرآنية : أصبحت المرأة بضعة من الرجل ، وهو بضعة منها .. ومن ثم فلن يكون هناك مجال لممارسة أساليب الاستبداد ، التي نظن أن الكاتب يعرفها ، بدليل أنه أشار إليها !! أما الاسلام الصحيح فإنه لا يعرف ـ البتة ـ مثل تلك المفاهيم في العلاقة بين المرأة والرجل ..

ألم يقرأ الكاتب ـ ولو مرة واحدة ـ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استوصوا بالنساء خيرا » رواه البخاري .. وقوله أيضا :

وهل إذا حافظ الانسان على زوجه أو بنته أو أخته ، وطلب منهن مراعاة القواعد الدينية والآداب الاجتماعية ، وعدم التبذل في المظهر ، حرصا عليهن من التردي في مهاوي الفتنة والرذيلة .. هل إذا فعل الرجل ذلك يكون مدفوعا بعوامل من القهر مكبوتة في صدره ، آخذة بخناقه ، لا يجد لها متنفسا ؟؟

ثم لماذا اختار الكاتب الحجاب بالذات متنفسا للرجال عن الهموم الثقال التي تعتلج في صدورهم ، وتنوء بها ظهورهم ؟

إنه لا شيء إلا حياة التمرد والضياع التي يريد بعض الكتاب ـ ومنهم **حسين أحمد أمين** ـ للمرأة المسلمة أن تنزلق إليها !!

ولكن ليطمئنوا جميعا : فإن المرأة المؤمنة أصبحت تدرك جيدا ما ينصب حولها من فخاخ ، فأعدت للأمر عدته ، وتسلحت بخلق الاسلام وآدابه ، وبدأت تصوغ حياتها كما يحب الله ورسوله !! وليمت ـ بعد ذلك ـ غيظا وكمدا من يريد !!

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .




# في الإسلام

للاستاذ / سيد سيد عبد الرزاق

ورد في سورة يوسف قول الله تبارك وتعالى ( **إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم)** يوسف/٥٣ .

فالنفس الانسانية إذن قوية ومتسلطة في أمرها بالسوء حسب قول من أبدعها وهو بها عليم .

والنفس لا تتوانى عن الزج بالانسان في بحار الغي والضلال وكلما تبعها الانسان وسار خلفها ازداد غيا وضلالا وبعدا عن رحمة الله فتكون عاقبته وخيمة ومأواه جهنم وبئس المصير ( **أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** ) آل عمران أية ١٦٢.

وهكذا يظل الانسان سادرا في غيه حتى تملكه نفسه فيكون عبدا لها تتصرف في أمره كيف شاءت حينئذ يكون انسانا ماديا بحتا متقوقعا في ذاته لا يرى إلا المادة ولا يعبد إلا المادة والعياذ بالله .

## من أمراض النفس :

والوساوس التي تمليها النفس على صاحبها أكثر من أن تحصى في هذا

المجال وعلى وجه العموم نستطيع أن نقول : إن كل ما يفعله الانسان من مخالفات لأوامر الله وهو يعلم ذلك مرجعه الى النفس الانسانية بما تمليه على ضمير الانسان ( **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا** ) النساء آية ٧٩. ويتصاعد أمر النفس بالسوء كلما وجدت صاحبها مجترا وراءها مسلسلا بقيودها حتى يصل إلى أعلى درجات السوء والفحش وهو سوء الظن بالله فيقول المولى عز وجل ( **وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية** ) آل عمران آية ١٥٤ ، ونستطيع أن نذكر من أمراض النفس على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر ما يلي :

**١ ـ الكسل والجبن :**

والكسل يورث الغفله ويميت الهمم والعزائم ويبعث الاحباط والتأخر فالانسان الكسول عن أداء واجبه من قول أو عمل دائما هو الانسان الذليل الخاضع الذي لا يستطيع أن يرفع رأسه بين اقرانه وعشيرته هو الخامل الضائع . وفوق ذلك كله يكون عاصيا لربه اذ يقول ( **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ) التوبة آية ١٠٥ ، والعمل هنا عام يشمل العمل بالدين وللدين فالانسان الذي يعمل للدنيا ويقصر في حق دينه أو يستهين بأمر من أموره انسان مقصر في عمله ظالم لنفسه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ». ويقول ( ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده ) رواه البخاري .

أما الجبن فكثيرا ما أضاع على أصحابه فرص الفوز بنعم لا تحصى ولا تعد فالذي يكره ميدان القتال جهادا في سبيل الله ، أي نعيم فاته ؟ وأي خلود تركه ؟ رغبة منه في خلود الدنيا . والكسل والجبن من وساوس النفس رغبة منها في التلذذ والتنعم الزائف وحبا للخلود الدنيوي الفاني ..

**٢ ـ الحقد والبغضاء :**

وهما من أمراض النفس إيثارا لها على غيرها وتعبدا في محراب أنانيتها . وذاتيتها فالانسان الحقود لا يرى إلا ذاته ولا يهمه سوى مصلحته الشخصية والمهم عنده أن يحقق مآربه ولو على رقاب الآخرين . فإذا رأى نعمة الله على إنسان تمنى زوالها عنه وآثر أن يأخذها لنفسه إن استطاع وقد يرتكب ابشع الجرائم لتحقيق مطامع نفسه . ولعمري أين هذا من قول الله تبارك وتعالى في شأن المؤمنين ( **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا** ) الحشر آية ١٠،٩، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم

« لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري ومسلم .

### ٣ ـ الحرص المهلك :

ورغبة من النفس في التلذذ بالنعيم الفاني كثيرا ما تسوق صاحبها سوقا موجها وتلح عليه إلحاحا مرا لينال من المادة . والمادة جسدية ومالية فيميل إلى الاولى بالزنا ومنه زنا البصر ويميل الى الثانية بالسرقة أو باكتسابها عن طريق غير مشروع أو بكنزها ومنع زكاتها وكل واحدة من هذه الجرائم عقوبتها تساوي الدنيا وما عليها يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من آتى الله بقلب سليم .

وهكذا ترى أن كل ما يقع فيه الانسان من الاخطاء بسبب ما تمليه عليه نفسه من وساوس ـ نعوذ بالله منها ومن شرها .

فيخسر بذلك خسرانا مبينا في الدنيا والآخرة ومن وساوسها أيضا ، البخل وسوء الخلق والكذب والرياء والطمع والغرور والكبر ومنها الميل الى العبث واللهو وغير ذلك .

والمفروض على كل مسلم أن يروض نفسه ويربيها ويهذبها حتى تهدأ وتستكين فيكون المرء عبداً لله خالصا يستطيع أن يجاهد أعداءه وأعداء الاسلام خاصة في عصرنا المادي الذي تكالبت فيه الدنيا بأسرها على الاسلام لأن الانسان الذي يسير وراء مطامع نفسه ويتبع هواه إنسان ضائع متهافت لا يستطيع أن يدفع أعداءه عن نفسه ولا يمكن أبدا أن يكوِّن أمة ناهضة .

ومن أراد أن يجاهد نفسه ويتغلب عليها فعليه بالقرآن فهو راحة القلوب والأبدان والعيون والأرواح وهو دستور الدنيا والآخرة الذي يكمل للانسان إنسانيته إذا اهتدى بهديه وسار على قبس من نوره ( **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا** ) الاسراء آية / ٩ .

ولاخلاص ولا نجاة للبشرية جمعاء إلا بالرجوع إلى ربهم الذي قدر فهدى والعمل بالكتاب والسنة فالقرآن يقول ( **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ) الحشر آية / ٧ ، وفي سنته المطهرة وسيرته العطرة والتمثل بأخلاقه صلى الله عليه وسلم ما هو كفيل بتربية النفس وكبح هواها .

### تربية النفس بالصبر ..

والذي يرنو ببصره إلى كتاب الله يرى أن الصبر هو أول الطريق لترويض النفس وتهذيبها على الأخلاق الحميدة وهو الطريق الموصل إلى النجاة بعد الاستقامة ، الطريق الذي يحتاج إلى عزيمة صادقة وإنسان قوى ، فلقد أمر الله عباده المؤمنين بالصبر والتقوى حتى يتغلبوا على شدة الابتلاء في الأموال والأنفس وحتى يتحملوا شدة أذى اليهود والمشركين لهم فقال ( **لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن**

**تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الامور )** آل عمران/ آية ١٨٦.

والصبر هو دليل الايمان بالقضاء والقدر والايمان بحكمة الله وارادته وهو لابد أن يظهر في حالة الشدة لأن النفس أكثر ما تلح على صاحبها في هذه الحال والرسول صلى الله عليه وسلم يمر بامرأة تبكي على ولدها فيقول لها اتقى الله واصبري فتستمر في بكائها وتقول إنك لست تعرف ما بي وكانت لم تعرفه ـ فلما عرفته ذهبت إليه لاستسماحه فقال لها ( إن الصبر عند الصدمة الاولى ) رواه احمد . فالجزع في حال الشدة يعتبر عدم رضاء بقضاء الله وقدره وعدم تسليم لارادته لذا كان الصبر عند الصدمة الاولى .

ونجد في الصبر العفة التي يتحلى بها المؤمن ويترفع بها عن كل الدنايا والصوم ما هو الا نوع من أنواع الصبر وهو الصبر عن تناول اللذات مما تشتهيه البطن والفرج ، والنفس تدعو صاحبها الى هذه الشهوات فان استجاب إليها أول مرة تردى فيها الى ما لا نهاية .

وتقول الشاعرة :

صبرت عن اللذات حتى تولت
وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى
فإن أطعمت تاقت وإلا تسلت

والقناعة والزهد فيما في أيدي الغير يمكن أن يدرج تحت أنواع الصبر على طمع النفس فيما في أيدي الناس واستحواذها عليه حتى ولو بالسرقة والذي يردع نفسه عما في حوزة الناس حقيق بحب الله وحب الناس لذا عندما جاء رجل الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس قال له الرسول ( ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس ) رواه ابن ماجة والحاكم .

والزهد في الدنيا ليس معناه العزوف عن العمل أو عدم الاختلاط بالناس بل معناه العزوف عن دناءة الدنيا ولذتها الفانية بالابتعاد عما يغضب الله والعمل بما يرضيه ويحبه . وعدم الغضب وكظم الغيظ ما هو الا نوع من انواع الصبر . والله يؤيد عباده الصابرين وقد تكرر تأييده لهم في القرآن أكثر من مرة « **إن الله مع الصابرين** » الأنفال / آية ٤٦، ( **والله مع الصابرين** )الانفال / آية ٦٦، وقد بشر الله عباده الصابرين بعد ابتلائهم وأسبغ عليهم نعمته وأفاض عليهم رحمته وذلك في قوله ( **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ) البقرة / آية ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧. عليهم صلوات من ربهم ورحمة ـ أرأيت تكريم الله لعباده الصابرين ؟ ـ هذا هو الصبر وهؤلاء هم الصابرون .

## تربية النفس بالمراقبة ..

والصبر أول الطريق لتربية النفس والمراقبة منتهاه والمراقبة هي مراقبة الله عز وجل في السر والعلن وهي خير رادع للنفس وأمرها بالسوء لذا قرن المولى عز وجل التقوى بالصبر في الآية ( **وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الامور** ) آل عمران / أية ١٨٦ . فالتقوى هنا هي المراقبة وهي الضمير الحي الذي يراقب ربه فيزن الأمور بميزان دقيق لا يبعد عن الجادة ولا يحيد عن الصواب . والمراقبة استحضار عظمة الله تعالى وقدرته في القلب ـ وذلك بالخوف من توعده ووعيده للعاصي والاستحياء منه إزاء ما أسبغ علينا من نعم ظاهرة وباطنة « **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** » ابراهيم /٣٤. وكيف لنا بالعصيان وقد تفضل علينا بنعمه ؟ وكيف نعصيه ولا حول لنا ولا قوة أمام قدرته وعظمته ؟ ذلك هو الغى والضلال واتباع هوى النفس ونعوذ بالله منه .

وفي هذا المقام تحضرني قصة رجل جاء إلى ابراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ فقال له يا أبا اسحاق إني مسرف على نفسي فاجعل لي ما يكون لها زاجرا ومنقذا فقال له : إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك المعصية ولم توبقك لذة .

قال الرجل : هات يا أبا اسحاق ، **قال الأولى** اذا اردت ان تعصي الله عز وجل فلا تأكل رزقه ، قال الرجل، فمن أين آكل وكل ما في الارض رزقه ؟ قال يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه ؟ قال لا . **هات الثانية** يا أبا اسحاق قال : واذا أردت أن تعصي الله عز وجل فلا تسكن شيئا من بلاده ، قال : هذه أعظم من الاولى . يا هذا ، اذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن ؟ قال أفيحسن بك ان تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه ؟ قال : لا **هات الثالثة** : قال واذا اردت ان تعصيه وانت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعا لا يراك فيه فاعصه فيه ، قال : يا ابراهيم ما هذا وهو يطلع على ما في السرائر ؟ قال أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويعلم ما تجاهر به ؟ قال : لا **هات الرابعة** قال : فاذا جاءك ملك الموت لقبض روحك فقل له أخرني حتى أتوب توبة نصوحا وأعمل لله صالحا قال : لا يقبل مني قال : يا هذا انت اذن لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم انه اذا جاءك لم يكن له تأخير ، فكيف ترجو وجه الخلاص ؟ قال الرجل : **هات الخامسة** قال : اذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك الى النار فلا تذهب معهم ، قال : إنهم لا يدعونني ولا يقبلون مني ، قال فكيف ترجو النجاة إذن ، قال يا ابراهيم حسبي .. حسبي ان استغفر الله وأتوب اليه ولزم العبادة حتى فارق الدنيا .

وفقنا الله وسائر المسلمين إلى ما فيه الخير والهداية ، ربنا لا تجعلنا من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

# سنة الزوجية

## بين إعجاز الإشارات القرآنية

كَوَّنَ الله عز وجل هذا الكون ، وشاده وألزمه سننا ضابطة ، وقواعد هادية وقوانين ثابتة ، ومن ثم فهو خلو من الجزاف والخبط والاعتباط ، ومن بين هذه السنن التي ثبّتها الله في هذا الوجود ، وثبت الوجود بها : **سنة الزوجية** ، وهي موضوع تأملنا في هذه السطور التالية إن شاء الله .

لقد حفل الكتاب العزيز بآيات عديدة تفصّل القول وتوضحه في سنة الزوجية ، يقول عز من قائل :

« **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون . والارض فرشناها فنعم الماهدون . ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** »

الذاريات ٤٧ ـ ٤٩ .

ويقول سبحانه :

« **سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ، ومن أنفسهم ، ومما لا يعلمون** » .

فمن الآية الأولى :« ومن كل شيء خلقنا زوجين » نفهم أن سنة الزوجية أو قاعدتها وقانونها ، سنة عامة شاملة لجميع الخلق ، فكل شيء في هذا الكون ـ والانسان شيء ، والحيوان شيء ، والنبات شيء ، والجماد شيء ، وأشياء متنوعة متعددة ، لا يعلمها الا خالقها عز وجل ـ أبدع على قانون أو سنة الزوجية ، وسبحان الخلاق العليم !!. « **سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون** » . يس/٣٦ .

فبناء الكون على قاعدة الزوجية ( الثنائية ) آية من آيات الله تعالى ، القائل :

« **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي**

# وروعة الحقائق العلمية

الدكتور / محمد عبدالله الشرقاوي

أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » فصلت/٥٣ .

فمخلوقاته أو مفعولاته عز وجل ـ فيما يذكر ابن القيم ـ من أدل شيء على صفاته ، وعلى صدق ما أخبرت به رسله عنه ، فالمصنوعات أو المخلوقات شاهدة تصدق الآيات المسموعات (الفوائد لابن القيم ص٢١ ) أي أن ما في هذا الكون ، وهو كتاب الله المجلوّ المصنوع ، من حقائق ثابتة ، يتوافق تماما ويتطابق مع ما في كتاب الله المتلو المسموع ، فهذه آيات الله المصنوعة ، وتلك آياته المسموعة .

ويجيء العلم الحديث . المؤسس على الملاحظة والنظر او المشاهدة العلمية والتجارب ليكشف عن جانب من أسرار هذه المسألة ، فقد اكتشف العلماء في مجال علم الأحياء أو الـ: Biology بقسميها ، أعني ( عالم الحيوان ، وعالم النبات ) نظاما دقيقا يدعو إلى الدهشة ، والوقوف أمام عظمة الابداع الالهي وروعته بكل خشوع وإجلال له سبحانه .

إذ اكتشف العلماء التجريبيون أن كل شيء في هذين العالمين ( الحيوان والنبات ) مبني على أساس زوجي ثنائي ، فيتشابه الانسان والحيوان والأسماك والطيور والحشرات ، وكل الكائنات الحية ، التي أحيط الانسان بها علما ، والنبات بأنواعه وأشكاله في خاصية الزوجية ، فلا يتم التلقيح الجنسي إلا اذا اجتمع العامل أو الجانب الذكري ، بالعامل أو الجانب الأنثوي .

فلا بد من هذا الاجتماع الزوجي ،

إذ الزوجية في عالمي الحيوان والنبات سنة الهية ، والسنن ثابتة لا تتبدل ولا تتحول ، ولقد هيأ الله سبلا شتى ووسائل عدة لهذا الاجتماع الزوجي ، ففي النبات مثلا : تقوم الحشرات والنمل والنحل والفراش بوظيفة هامة جدا في نقل اللقاح واحداث او إتمام التزاوج ، وكذلك الهواء يقوم بنقل اللقاح إلى مسافات ومساحات بعيدة جدا تدعونا إلى الدهشة والاعجاب .

ويسند الخالق المبدع سبحانه هذه السنة الشاملة إلى ذاته الجليلة ، فيقول :

« **وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا . وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى** » النجم / ٤٣ _ ٤٥ .

ويقول سبحانه :

« **أيحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى** » القيامة / ٣٦ _ ٣٩ .

ويقول تعالى

« **والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى، وما خلق الذكر والأنثى** » الليل / ١ _ ٣ .

أما الزوجية في النبات ، فقد جاءت في عدة آيات ، يقول سبحانه :

« **وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى** » طه / ٥٣ .

ويقول عز من قائل :

« **وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج** » ق / ٧ .

ونكتفي بسوق هذه الآيات _ فهي نماذج لمثيلات لها في كتاب الله العزيز _ لأنه ليس من هدفنا _ الاستقراء التام ، وننبه على أن نظام الزوجية يتعدى الحيوان والنبات ليشمل الجماد أيضا :

« **ومن كل شيء خلقنا زوجين** ».

ففي عالم الكهرباء والمغناطيس مثلا ، خلقت الأقطاب الزوجية : السالبة والموجبة ، حيث لا يتم الفعل الكهربي ، ولا يقوم النشاط المغناطيسي ، إلا في ظل الزوجية القائمة على السلب والايجاب ، وكذلك التفاعلات الكيميائية تتم _ كما هو معلوم _ وفق نظام الشحنات الزوجية أيضا !!

هذه إشارات توضح الزوجية في عالم الجماد ، ولا شك أن هنالك جوانب تؤكد وتعمق هذا المعنى ، .. ويكشف عنها العلم تباعا ، وصدق الله إذ يقول :

« **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » فصلت آية / ٥٣ .

وتأمل _ أخي الكريم _ بدء هذه الآية الكريمة بحرف السين ، وهي تفيد الاستقبال ، والاستقبال عملية متصلة دائمة لا تتوقف الى قيام الساعة ، وعلى ذلك يبقى الاستكشاف والتعرف على آيات الله في الكون ، أو رؤية آياته ، عملية موصولة كذلك .

ويقوم هذا الكون _ كما هو في حسبان العلماء اليوم _ على نظام الذرة ATOM ، فهي وحدة بنائه ، وكان المظنون إلى عهد غير بعيد ، أنها الجزء الذي لا يتجزأ ، أو الجوهر

الذي لا ينقسم ، وأنها أصغر شيء في الوجود .

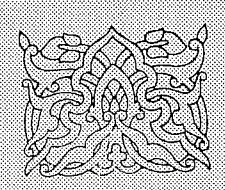
هذه الذرة ، التي هي الوحدة الأساسية لبناء الكون مؤلفة من زوجين : الاشعاع السالب ، والاشعاع الموجب ، يتزاوجان ويتحدان ، وعندما شطرت هذه الذرة أو فتتت وجد أن بها « الألكترونات » التي تطوف حول « النواة » التي تحتوي ـ فيما تحتوي عليه ـ على « البروتونات ». وتحمل الألكترونات السابحة الطائفة : شحنة كهربية سالبة ، وتحتوي البروتونات الساكنة في النواة : شحنة كهربية موجبة ، فيحدث التوازن بين الشحنتين الثنائيتين المتقابلتين ، فلا تنفجر الذرة على نفسها ، وبتوازنها يتوازن الكون كله ، فلا ينفجر على نفسه ، لأن الذرة هي وحدة بنائه كله كما تقدم ، ومعنى ذلك أن الكون كله يقوم على هذه الثنائية .

ليس هذا فحسب ، لكن لاحظ العلماء ألوفا من الثنائيات النجمية .. تتألف من نجمين مرتبطين متزاوجين ، يشد بعضهما بعضا ويرتبط به ويطوفان معا .. « **سبحان الذي خلق الأزواج كلها** .. » يس/٣٦ .

وهذه التسبيحة تنطلق في أوانها .. وفي موضعها .. وترتسم معها حقيقة ضخمة من حقائق هذا الوجود .. حقيقة وحدة الخلق .. وحدة التكوين والقاعدة . فقد خلق الله الأحياء أزواجا ، النبات فيها كالانسان ، ومثل ذلك بقية المخلوقات .. « وان هذه الوحدة لتشي بوحدة اليد المبدعة التي توحد قاعدة التكوين ، مع اختلاف الأشكال والأحجام والأنواع والأجناس والخصائص والسمات في هذا الكون الذي لا يعلم علمه الا الله » .

وهكذا يتجلى اعجاز الاشارات القرآنية الكريمة ـ في مسألة الزوجية ـ مع روعة المكتشفات العلمية الحديثة الصادقة القاطعة ، بعيدا عن الفروض والنظريات التخمينية ، التي قد تصدقها التجارب وقد لا تصدقها .

وهكذا نفيد من الحقائق العلمية الثابتة والمبرهن على صحتها في توسيع فهمنا لكتاب الله وتعميقه ، ولاريب أن كثيرا من المفسرين ـ كما يرى ـ قد فسروا الآيات الخاصة بسنة الزوجية في حدود معارفهم وثقافتهم ، بما لا يستوفي أبرز معانيها وأقرب أغراضها ومراميها






الدكتور عز الدين السيد

يا مانح الخير ألهم نورك الحاني ... قلبي يصغ منه للأمجاد الحاني
أني رحلت مع التاريخ أسأله ... متاع روحي وطرفي الوامق الراني
فدق بابا علاه النور فانفتحت ... لنا مفاتن حسن ذات ألوان
يحار ناظرها في نعت ما جمعت ... مهما ينل حظه من سحر فنان
مآثر الصدق في ( الصديق ) قد عظمت ... جني لجان وإرواء لظمآن
يا أول الصحب اسلاما يدي انبسطت ... لأول الصحب تبكيرا بإيمان
بها أحيي أبا بكر ومن بطلا ... أولى ببسط يدي في دمع عرفان
من سابق عظم الوهاب منزله ... وزاده رفعة في دار رضوان ؟

دعاه للحق خير الخلق فانبعثت ... تكبيرة الحق من اعماق وجدان
كأنما جاءه جبريل يلهمه ... صوت المجيب بوحي صادق ثان!
اعطى العهود واعطى الروح يبذلها ... للدين نصرا على كفر وأوثان
وهو العليم بما يلقاه من عنت ... من شاء بث الهدى في عقل سكران

★ ★ ★

لله مال ابي بكر فما كسبت ... كفاه في كف حان، للعلى بان
فاسأل بلالا به تسأل اخا ثقة ... اذ سامه القوم تعذيبا بطغيان
من فك جيدك والأطواق تثقله ... وصان ظهرك عن بيد وكثبان
تلقى طريحا على الرمضاء محرقة ... والصدر بالصخر يلقى حقد غضبان
هذا أبوبكر الصديق مذ بزغت ... شمس الرسالة حمالا لاشجان
مع النبي وعين الشر راصدة ... تبيت غرثى توالي مكر شيطان
يحدو خطاه حفيا في مسيرته ... بأصدق الحب لم يعدل باقران

★ ★ ★

دعاه للهجرة الغراء فانفرجت ... منه الأسارير لم يحفل بأوطان
ولا بمال له في الناس خلفه ... ولا بشيخ كبير عاجز فان
ابا قحافة مافي الصدق من كذب ... والبر أودية فاصبر لحرمان
غدا ستبكي حنانا اذ ترى رجلا ... سلطانه الدين يعلو كل سلطان
دعاه والهول مثل الموج مصطخب ... يرغي ويزبد في شطآن اضغان
اذ يمكرون وعين الله شاهدة ... ما بيت الكفر من كيد وعدوان
فأحكم الأمر واجتاز الفلا ثبتا ... والليل وسنان يغشى عين وسنان
يا ثاني اثنين في الغار الأمين هنا ... من آية الله ما يدعو لاذعان
ما كان اخشاك للباغين لو نظروا ... أمام أقدامهم من عين امعان
حرصا على الدين لا جبنا ولا خورا ... حاشاك عنها. صفات الخالف الواني
لقيت من سيد الأبرار آبدة ... من حكمة الحق صارت لحن ركبان
ردت عليك أمان القلب في ثقة ... واصبحت آية في نظم قرآن
ظللتما ما اراد الله في دعة ... من زاد أسماء زيدت بر حنان
ذات النطاقين للأحباب تحمله ... لم تخش في الله حينا شرمختان
والشاء تأتيكما بالدر حانية ... والأمن يغشاكما في حرز ديان
حتى دعا هاتف الرحمن فانطلقت ... مسيرة النصر عن آفاق عصيان
حللت طابة صديقا يعانقه ... شوق المحيطين من شيب وفتيان
مقدما غير محسود احب الى ... اهل المدينة من أهل وجيران
حبا لحب رسول الحق انت به ... بر وبرك غطى كل حسبان
بذلت في طيبة الغراء ما شهدت ... أم القرى من جهاد الكاسب الغاني
كما جادك الرزق من حل فتنفقه ... في بر دينك للمسكين والعاني

قسمته في وجوه الخير واحدة | للأهل رزقا كفافا قسم وزان
وتسعة جهزت جيشا لمعركة | وانقذت من هلاك روح غرثان
فلليتامى ثمال انت تسعدهم | وللأرامل كهف محصن دان
وهبت عمرك للاسلام محتسبا | بذلت مالك سمحا غير منان
لا تعرف الزهو الا انه كرم | من التواضع ما يمني بنكران
حلبت للحي كالراعي لسيده | بقلب راض ببذل الخير مزدان
وما تخليت عن جار ولا ألم | دعاك في ليل هم منه دجيان
الا جلوت عن المكروب كربته | فنال ما يبتغي من عون معوان

★ ★ ★

يا فارس الحرب في بدر وفي احد | ما ان تخلفت عن غزو بميدان
تحمي الوطيس تثير النقع مشتعلا | يخشاك كل جريء القلب طعان
درع الرسول وكم لي فيك من عجب | ماذا تصوغ من الأمجاد أوزاني

★ ★ ★

يا واجف القلب في الأسحار من وجل | وباكي العين ما لم تبك عينان
شجى صوتك بالقرآن مختنقا | هز الضلوع على الذكرى وأبكاني
ما كان يبكيك من خوف وقد ضمنت | لك السعادة في آيات فرقان
مبشر انت بالجنات كم غرست | يداك أشجارها في خير بستان
ويوم جاءوا ببهتان لعائشة | صديقة الطهر لا مست ببهتان
عذرت منها فؤادا حم من حزن | وعشت تطوى بهم شهرا بأحزان
والأهل يبكون والأفكار كاسفة | ولاذع الجمر يكوي قلب صفوان
وعصبة الافك في سخط لما ارتكبوا | فرهبة الحق تغشى وجه حسان
ومسطح في عناء من كبيرته | وأمه قلبها في لفح نيران
كان ابتلاء أزال الله غمته | براءة انزلت من عرش رحمان
جبريل جاء بها من عند بارئه | فارتجت الأرض من تسبيح لهفان
إذ أنزل الله في الأحزاب آيته | تتلى على الدهر ما جد الجديدان

★ ★ ★

كذا عرفنا أبابكر ومنزله | في صادق العزم سباقا لشجعان
بها أهاب رسول الحق اذ قربت | وفاته ببيان أي تبيان
ان يقدم الناس مرضيا امامته | كي يعرفوا حقه في كل ابان
فما تولى امام المسلمين الى | دار البقاء فأبكاهم بهجران
الا وهامت قلوب كاد يفقدها | فراقه الوعي من وجد وتحنان
فسكنت حكمة الصديق روعتها | وكفكفت من غزير الدمع هتان

وفي السقيفة أمضوا عقد بيعته     خليفة .. حاملا عبئا كثهلان

لم يكرموه بها بل كان أكرمهم     بحملها في محيط جد غيمان

ففي اليمامة يصليها مسيلمة     حربا على الدين راقت قلب نشوان

وقادها الأسود العنسي في يمن     بخدعة زفها في سجع كهان

والشام فيها ذوو الصلبان في فرح     قد قابلوا الخطب في اعياد صلبان

وفي العراق يقيم الفرس شوكتهم     ليصرعوا العرب ان هموا بعدوان

كانت خلافته عبئا تقلده     فكان للعزم منه خير برهان

قضى على الردة المشئوم باعثها     لم يرض عن دحرها رأيا لانسان

فرد للدين في الأعراب حرمته     وللخلافة رهب الحاكم الباني

وعلم الفرس درس الخوف من بطل     لا يعرف الخوف الا محض خسران

رمى بخالد المرمى فاغلقه     على العداة كما يرمي ببركان

مزلزلا رعبه كسرى فلو بقيت     للجند غايتهم من بعد اعلان

لداست الخيل مقصورات عزته     واستلت الملك من تاج لايوان

لكنه رد سيف الله في مدد     للجيش في الشام يلقى جيش رومان

فكان فتحا مبينا دونه منحت     من خيرة الجند روما شر قربان

وجاءه الحق يدعو ان هلم الي     دار الخلود وخل العالم الفاني

فزفها بعد ان قرت الى عمر     كلاهما في اقتحام الهول صنوان

وقال ردوا لبيت المال قطعته     من القطيفة .. لا تلفى بميزاني

ولقحة وغلاما ليس بي بهما     حق يدوم .. ولا تغلو بأكفاني

حسبي الغسيل فان الأرض موئله     تبلى الجديد ولا ترثى لجثمان

وأسلم الروح مرضيا لبارئها     لم يختلف في معالي قدره اثنان

عامان والنصف من عام كأنهما     قرن من الدهر في تدعيم بنيان

يا صاحب المصطفى في الغار هأنذا     ارثي كبار المعالي بعد ازمان

فمن لردتنا من بعد عزتنا     وغربة الدين تشكو جرأة الجاني

وقومنا كل يوم رهن فرقتهم     وارضنا كل حين رهن نقصان

برئت لله من عصر نعيش به     غرقى محيط بلا قاع وشطآن

الطير ترقب فوق الماء اروسنا     وتحته نحن في أفواه حيتان

وما يبالي بنا من كان لو صلحت     قلوبنا كاشف البلوى بغفران

يامن لقومي بايمان يعيد لهم     ما طوح الدهر في اكفان نسيان

مجدا بناه جهاد الراشدين على     ارض سقاها دم مستبسل قان

انا ورثناه ميراث السفيه فما     أبقت على حرزه كف لصوان

واليوم نحن بلا مجد سوى أمل     في قبضة الغيب لا يرثى لقطعان

مشردات بلا عزم ولا جلد     الا على بعضها في حقل ذؤبان

صحابة المصطفى اعطيتكم قلمي     ولست املك الا دمع ولهان

ان كان في الدمع سلوان وتعزية     ففي بكائي عليكم بعض سلواني

لعل دمعي يواسي من يماثلني     ومن يرى وجده وجدي فيرعاني

فنرفع الصوت على الله يبلغه     الى قلوب ولاة الأمر والشان

صلى عليكم بدار الحق مانحكم     أجر الهداة وجازاكم باحسان




للأستاذ / راتب السعود

تمهيد :

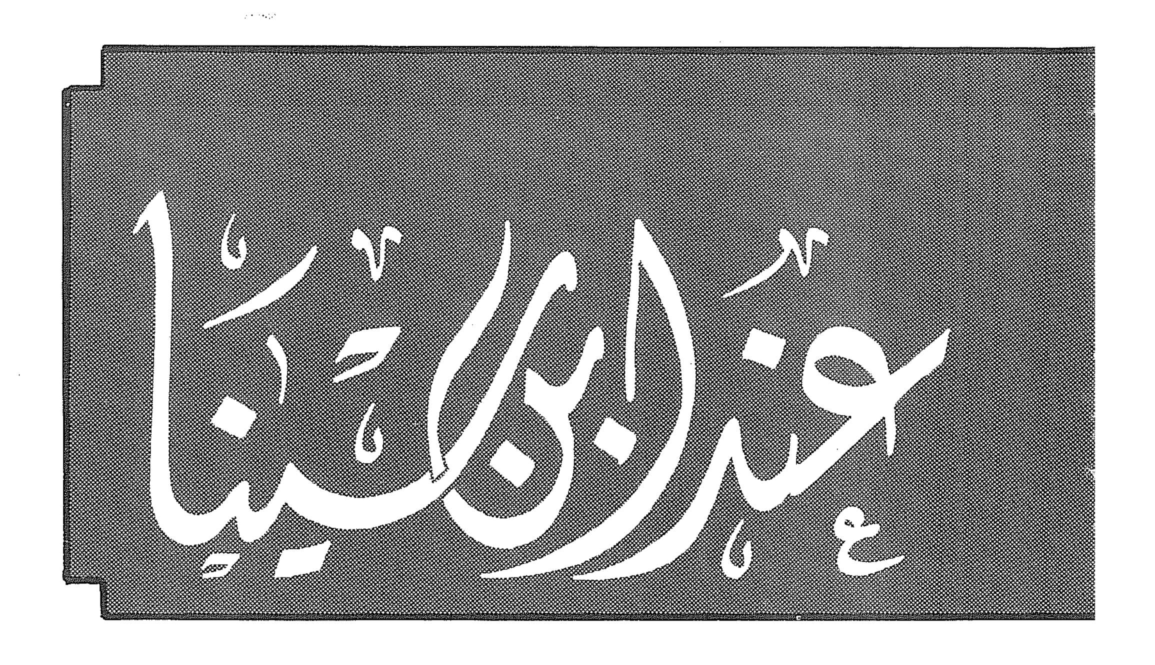
ليس من شك حول المقام الذي يجب ان يوضع فيه امثال العلامة ابن سينا ، والذي كان واحد عصره وعلامة زمانه ، فقد ذاع صيته في الشرق والغرب وترجمت كتبه الطبية الى اللغة اللاتينية ، كما ترجمت كتبه الفلسفية واتخذ كتابه « القانون » عمدة للاطباء ومرجعا لمعرفة أسباب المعالجات . وما قدمه في مجال الطب كان جزءا من مساهمته في مجالات المعرفة الاخرى كاللغة والآداب والشعر والفلسفة وعلم النفس والطبيعيات وغيرها .

ولقد كان لابن سينا فكر تربوي خاص ، ولو انه لم يول الاهتمام الذي وليت به افكاره في ابواب اخرى للمعرفة ومع ذلك فان دراسة آرائه في التربية تبرز ما لهذا الرجل من سمو عقل وجلاء ذهن وقوة فكرة حتى اننا لنجد ان كثيرا من آرائه تتفق ونظريات علم النفس التربوي ونظريات التعلم في العصر الحديث ، بحيث اننا نستطيع اعتباره مدرسة تربوية عصرية .

ولا لقاء الضوء على الفكر التربوي عند العلامة المسلم ابن سينا كان هذا البحث الموجز والذي جاء تحت بابين رئيسيين : -

**الباب الاول** : ويوجز حياة ابن سينا

**الباب الثاني** : وبه عرض لآراء ابن سينا في التربية واكتساب العلوم ، مع مناقشة لتلك الآراء والافكار في ضوء




معطيات النظريات التربوية الحديثة وانجازات مختبرات علم النفس في مجال التربية والتعليم .

## حياة ابن سينا :

« ولد ابو علي الحسين بن عبدالله ابن سينا في افشنة ، على مقربة من بخارى عام ٩٨٠ م الموافق ٣٧٠ هـ ، حيث اتى ابوه الى بلاد بخارى في زمن نوح بن منصور ، وقد كان يسكن قرية قريبة من بخارى اسمها « خرميثن » حيث كان يزاول مهنة الصرافة وقد تزوج امرأة من افشنه فرزق منها ولدين كان فيلسوفنا اكبرهما وبعد ولادة هذين الولدين انتقل أبوه الى بخارى . ( ١ : ٢٤٦ ) ولما كان ابن سينا صبيا وكل الى معلم ليتعلم القرآن ومبادىء الأدب ، ولما بلغ العاشرة من سنيه اتفق له من التقدم ما كان يثير به العجب فحوالي هذا الزمن جاء بخارى دعاة من الاسماعيلية بمصر كانوا يعلمون نظرية مذهبهم في النفس والعقل فاعتنق والد ابن سينا هذا المذهب ، اما فيلسوفنا فيقول لنا ، « وكانوا ربما تذاكروا بينهم وانا اسمعهم وادرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي » .

وكذلك كان هؤلاء الدعاة يعلمون العلوم الدنيوية كالفلسفة اليونانية والهندسة والحساب مما اتاح لابن سينا مجالا لتعلم الحساب على يد رجل اسمه محمود المساح وتعلم الفقه على يد ابي محمد اسماعيل بن

الحسيني ( الزاهد ) وبعد ذلك اتى بخارى رجل اسمه ابو عبدالله الناتلي الذي كان يدعى المتفلسف ، وبلغ ابو ابن سينا من الولع بالعلوم ومن الحرص على تقدم ابنه ما انزل معه هذا الرجل داره ، وذلك رجاء ان يتعلم ابنه الفتى منه شيئا« كثيرا » ، وكان له ما اراد فقد تعلم ابن سينا من المتفلسف هذا مبادىء المنطق غير ان هذا الرجل كان غير عالم بجزيئات هذا العلم فكان كلما عرضت مسألة حلها التلميذ خيرا من استاذه . ثم درس ابن سينا بنفسه علم الطب دراسة عميقة اتاحت له ان يصبح اشهر اطباء عصره ، كما اشتغل بالمعالجات المقتبسة من التجربة ، وتذهب بعض التراجم الى انه درس الطب على يد ابي سهل المسيحي وابي منصور الحسن بن نوح القمرى .

وابن سينا قد تتلمذ على الفارابي في كتبه ، خاصة كتاب « اغراض ما بعد الطبيعة » ويقول انه لم يفهم الالهيات الا بعد قراءة مصنفات الفارابي وهذه القراءة قد اثرت في خطته الفلسفية وحددت الى حد كبير وجهة تفكيره الفلسفي .

« ولما كان في السابعة عشرة من عمره مرض امير بخارى وهو السلطان نوح بن منصور ، ويدعى ابن سينا ويشفيه باذن الله ، ويصير ابن سينا من المقربين اليه بعد ذلك ، فأذن له بالدخول الى المكتبة مما جعله يطالع الكثير من كتب الاوائل ويظفر بفوائدها ويعرف مرتبة كل رجل في علمه ، وما ان بلغ الثامنة عشرة حتى كان قد فرغ من هذه العلوم وبذلك ألم بكل معارف عصره الماما عجيبا ليبدأ بعدها بالتأليف والتصنيف ولما بلغ الثانية والعشرين من سنيه فقد أباه وتغير وضعه وذلك انه دخل باب الحياة السياسية وقلده السلطان شيئا من اعماله » . ( ٢ : ٣٤ )

ثم اضطر الى الارتحال من بخارى فذهب الى« كركالج » وتنقل في بلدان كثيرة كان منها اصفهان التي دخلها متنكرا وحضر مجلس علاء الدولة حيث صادف في مجلسه الاكرام والاعزاز الذي يستحقه مثله ، وفي اصفهان ألف كتاب « النجاة والعلائي والانصاف » .

ثم بعد ذلك مرض ابن سينا مرضا شديدا لم ينفعه العلاج لعدم تحفظه ولعدم الاقتصاد في اللذات والشهوات من الاكل والشراب ، ثم قصد الى « همذان » مع علاء الدولة وعلم ان قوته سقطت وان العلاج لن ينفعه فاهمل مداواة نفسه وبقي على هذا الحال عدة ايام حتى توفي بهمذان ودفن بها عام ٤٢٨ هجرى ، ١٠٣٧ م بعد ان قضى من العمر ثمانية وخمسين عاما .

## طرق اكتساب الانسان للعلوم :

في باب الطرق التيبواسطتها تكتسب النفس الناطقة للعلوم ، ويقصد بها النفس الانسانيةتمييزا لها عن النفس الحيوانية والنفس النباتية يرى ابن سينا ان التعلم سواء حصل من غير المتعلم او حصل من

نفس المتعلم فإنه متفاوت فان من المتعلمين من يكون اقرب الى التصور لان استعداده اقوى ، فان كان ذلك الانسان مستعدا للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد القوى حدسا ، وهذا الاستعداد قد ينتشر في بعض الناس حتى كأنه يعرف كل شيء من نفسه ، وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد ( ٣ : ٦٧ ) .

ان ابن سينا وهو يضع بين ايدينا هذه الاراء التربوية الفذة ليتفق مع نظريات علم النفس التربوي الحديثة والتي تقول بوجود استعداد متفاوت عند المتعلمين للتعلم ، ثم كأنه يريد القول بأن نسبة ذكاء الافراد متفاوتة وبالتالي يوصي المعلم بضرورة مراعاة التفاوت في الذكاء والاستعداد عند المتعلمين فلا يهمل الاطفال ذوى القدرات الاقل من زملائهم .

ويسمي ابن سينا الاستعداد القوى بالحدس ، والمعرفة الحدسية تقتبس في نظره من العقل الفعال وهي نوع من المعرفة يفوق المعرفة الاستدلالية اذ انها تدرك مباشرة بعض الحقائق المطلقة للعقل ، وهذا قريب من قول ديكارت في إدراكه المباشر للحقيقة التي شيد عليها فلسفته( اني اشك اذن انا افكر اذن انا موجود . )

## التربية عند ابن سينا :

لقد اودع ابن سينا اراءه في التربية والتعليم في رسالة له سماها « رسالة السياسة » وهذه الرسالة لم يكتب لها كغيرها من أثار هذا الفيلسوف حظ الذيوع والاشتهاره وقلما يوردها المصنفون مع جملة آثار ابن سينا ، وقد قسم ابن سينا مضامين رسالته هذه خمسة فصول هي : ـ

**الفصل الاول** : في سياسة الرجل نفسه

**الفصل الثاني** : في سياسة الرجل دخله وخروجه

**الفصل الثالث** : في سياسة الرجل اهله

**الفصل الرابع** : في سياسة الرجل ولده

**الفصل الخامس** : في سياسة الرجل خدمه

والرسالة بفصولها الخمسة لا تعدو احدى عشرة صفحة والفصل الرابع في سياسة الرجل ولده هو الذي يهمنا في مجال أراء ابن سينا التربوية ، ولا بد من الاشارة هنا الى ابن سينا قد حذا في تسميته رسالته حذو سلفه الفارابي فان له رسالة سماها السياسة ايضا اودعها آراءه في التربية الخلقية وقسمها اربعة فصول هي : سياسة المرء مع رؤسائه ، سياسة الرجل مع اكفائه وسياسته مع من دونه ، وسياسته لنفسه .

تعني السياسة عند كليهما تدبير الامر وتصريفه بالحكمة والمصلحة واصلاح الفاسد والخلل . وقد تطور مدلولها في هذا العصر فصارت تطلق على الاشتغال بقضايا البلاد العامة والمسائل الوطنية والشؤون والعلاقات

الدولية وما يتصل بها ، أما السياسة عند فلاسفة اليونان فتعني الادارة الاجتماعية أو ادارة المدينة ، ولما كانت التربية الاجتماعية او ادارة المدينة ادارة صالحة تتوقف على تربية الفرد وتوجيهه كانت السياسة شاملة لاعداد مواطن صالح في الوقت نفسه الذي تشمل شكل الحكم ودساتير الحكومة .

## آراء ابن سينا التربوية :

تناول ابن سينا في الفصل الرابع من رسالة السياسة تربية الولد من مولده حتى خروجه الى ميدان العمل والكسب ، فاشار الى اهم ما يؤخذ به الناشيء من انواع التربية الجسمية والخلقية والعقلية ، ولتأثره بفلاسفة اليونان والرومان ومذاهبهم في الاخلاق والنفس ممن عرفوا في عصره واشتهروا ، نجده يتفق في طائفة من فلسفته الاخلاقية معهم مثل ارسطو وسيشرون وكونتليان .

## التربية في مرحلة الرضاعة :

« يرى ابن سينا ان من حق الولد على والديه حسن تسميته أولا ثم اختيار ظئرة ( مرضعته ) وذلك بألا تكون حمقاء ولا ورهاء ولا ذات عاهة ، فإن اللبن يعدى كما يقول ( ٤ : ٣٣٧ ) وفي هذا نجده يتفق مع الامام الغزالي حيث دعا الى العناية بتربية الطفل منذ ولادته ، والا يوكل لحضانته الا لامرأة صالحة متدينة ، كما نجده يتفق مع الفيلسوف الروماني كونتليان( ٣٥ - ٩٥ م ) الذي يرى ضرورة اختيار المرضع من الصالحات الفصيحات حتى يقتبس الطفل منها ما هو صالح في اللسان والافعال . ولما كانت فترة الرضاعة تقضي في البيت وبرفقة الوالدين وجدنا ان ابن سينا يحملهما العبء الاكبر في تربية وتهذيب طفلهما ، وهو بهذا يتفق مع الفيلسوف روسو الذي يقول « ان الاب هو المعلم الطبيعي كما ان الام هي المربية الطبيعية وهذان المربيان مكلفان بتربية ابنهما في اثناء هذه المدة » .

## التربية الخلقية بعد الرضاع :

يرى ابن سينا بان يبدأ بتأديب الطفل ورياضة اخلاقه بعد فطامه ، وذلك قبل ان تهجم عليه مساوىء الاخلاق وذميم الصفات ، فتتمكن منه فيصعببعد ذلك انتزاعه منها ، اذ تصبح عادة راسخة .
وهو في هذا يتفق مع الكثيرين من فلاسفة التربية القديمة والحديثة .

## وسائل التربية الخلقية :

يرى ابن سينا ان خير الوسائل لابعاد الطفل عن مساوىء الاخلاق وذميم الصفات ( انما يكون بالترغيب تارة ، والترهيب اخرى ، وبالايناس حينا وبالايحاش حينا آخر وبالاعراض عنه والاقبال عليه وبالحمد والتوبيخ ، فان لم تجد هذه

الوسائل لم يحجم عن الاستعانة باليد ، بالضرب القليل الموجع بعد الارهاب الشديد وبعد اعداد الشفعاء لان الضربة الاولى اذا كانت موجعة ساء ظن الصبي بما بعدها ، واشتد خوفه منها ، والعكس ) ( ٤ : ٢٣٨ )

أما الوسيلة الاخرى وهي العقوبة البدنية ، او ما يدعى بسياسة العصا في التربية فان معظم قدماء المربين وجميع المربين المحدثين ينكرونها ولا يقرونها وهو في هذا يتفق مع الفيلسوف الروماني شيشرون الذي يرى انه لا يلجأ الى العقوبة البدنية الا اذا لم تنجح كل وسائل التأديب الاخرى على الا يكون العقاب مذلا للصبي ، ماسا بكرامته .

والتربية الحديثة تحاول ما امكن وقاية الولد من سوء السلوك بأن تزيل من امامه الاسباب التي تؤدي أو قد تؤدي الى ذلك ولكنها لا تضمن وقاية جميع الاولاد من الاتجاهات الخاطئة في مختلف الظروف والاحوال فلا بد اذن في الحالات الضرورية من الاستعانة بالطرق العلاجية كالقصاص قال تعالى « **ولكم في القصاص حياة يا اولى الالباب** » **البقرة / ١٧٩** ، وإذا قرن الولد الالم الناجم عن القصاص بسوء تصرفه فانه قد يمتنع عن مثل هذا التصرف في المستقبل ، وكذلك اذا ايقن ان عملا من الاعمال المذمومة يعقبه القصاص لا محالة فانه قد يبتعد عن ذلك العمل ويعمد الى غيره مما لا حرج فيه ، ومهما يكن من نوع القصاص الذي يفرض على الولد فان له غرضا جوهريا واحدا وهو العلاج والاصلاح من هنا كانت هناك قواعد اساسية يجب على المعلم مراعاتها في العقوبة ، وهي :

**أولا** : ان يتحقق المؤدب من وقوع الذنب

**ثانيا** : ان يشعر المؤدب الولد ان ذنبه يستوجب القصاص وان يحمله على قرن القصاص بالذنب .

ثالثا : ان لا تظهر على المؤدب امارات الغضب عند ايقاع القصاص ، فليس موقفه موقف غضب وانما هو موقف حزن واسف .

رابعا : ان يكون القصاص من نوع الذنب الذي يتبعه كما لو كان نتيجة طبيعية له .

خامسا : ان يكون القصاص مع ايلامه خاليا من الاذي الجسمي .

سادسا : ان يكون القصاص سريا ومما يتلائم مع طبع الولد ومزاجه ( ٥ : ٨٥ )

وعليه فاننا نجد ابن سينا يحدد لنا متى تستعمل العقوبة ، فحين لا تفلح القدوة ولا تفلح الموعظة فلا بد اذن من علاج حاسم يضع الامور في وضعها الصحيح والعلاج الحاسم هو العقوبة .

وبعض اتجاهات التربية الحديثة تنفر من العقوبة وتكره ذكرها على اللسان ، ولكن العقوبة ليست ضرورة لكل شخص ، قد يستغنى شخص بالقدوة وبالموعظة فلا يحتاج في حياته كلها الى عقاب ، ولكن الناس ليسوا سواء ، ففيهم من يحتاج الى الشدة مرة او مرات .

وليست العقوبة أول خاطر يخطر

على قلب المربي ولا أقرب سبيل فالموعظة هي المقدمة والدعوة الى عمل الخير والصبر الطويل على انحراف النفوس لعلها تستجيب ، والموعظة وسائل مختلفة ولكن الواقع المشهود ان هناك اناسا لا يصلح معهم ذلك كله او يزدادون انحرافا كلما زيد لهم في الوعظ والارشاد وليس من الحكمة ان نتجاهل وجود هؤلاء او نتصنع الرقة الزائدة فنستنكر الشدة عليهم .

ان التربية الرقيقة الحانية كثيرا ما تفلح في تربية الاطفال على استقامة ونظافة واستواء ، ولكن التربية التي تزيد في الرقة واللطف والحنو تضر ضررا بالغا لانها تنشيء كيانا ليس له قوام » . ( ٦ : ٢٣٤ ) .

## التربية العقلية :

« يرى ابن سينا أن يؤخذ بمبادىء التربية العقلية متى اشتدت مفاصل الصبي واستوى لسانه ووعى سمعه ، وتهيأ للتلقين ، وأول ما يبدأ به من ذلك تعلم القرآن ، فتصور له حروف الهجاء ويلقن مبادىء الدين ، ويروي الشعر ، ويختار له من بحوره ما خف وزنه كالرجز والقصير ، مما يعين في التأدب والتهذيب وفيه بيان فضل الأدب والحث على البر وعمل المعروف وكل ما فيه من مكارم الأخلاق » ( ٤ : ٣٣٩ )

وهذه المرحلة من التعليم تكون المرحلة الأولى في الثقافة العامة وتكاد تكون طابع التربية الابتدائية في العصور الاسلامية على اختلافها ولا يكاد ابن سينا يختلف فيها عن غيره من فلاسفة المسلمين كبير اختلاف لأن تعليم القرآن والتروي من آداب العرب هما أهم مصادر الثقافة العربية الاسلامية .

ويرى بعضهم تأخير مدارسة القرآن وحفظ آياته الى ما بعد هذه المرحلة من التعليم اذ يكون الصبي أكثر فهما لما يقرأ ، وتدبرا لما يحفظ ، وهو يتفق مع الامام الغزالي في بعض هذه الآراء ، اذ يرى الغزالي ان يعلم الطفل في المكتب القرآن وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار لينغرس في قلبه حب الصالحين وان يصان من الشعر الذي فيه العشق واهله .

كما نجده يتفق مع الفيلسوف الروماني كونتليان وشيشرون ايضا ، في تحفيظ الطفل في هذه المرحلة مختارات من أقوال الشعراء والحكماء المأثورة شحذا لذاكرته وتقوية لملكة الحفظ عنده وهذا ما يراه فردريك فروبل (١٧٨٢ - ١٨٥٣م) من كبار المربين المحدثين ، وان تقوى في رياض الأطفال المشاعر الدينية ويحفظوا أقوالا في الدين وأناشيد يرتلونها في حياتهم .

وبصدد تعليم حروف الهجاء وصوره فان كافة المربين يرون أنه من الخطأ ان تحفظ للأطفال أسماء الحروف الهجائية غير المقرونة بصورها ، اذ متى عرف الطفل الحروف اخذ بكتابتها .

ويقول بستالوزي ، من المربين المحدثين بضرورة ربط دراسة اللغة بالملاحظة واستعمال الحواس ،

وكذلك يرى فروبل مثل هذا .

## التعلم الجمعي أو الصفي :

وفي هذا المجال فان ابن سينا يرى فضل التعليم الجمعي على الفردي لأنه أدفع لسآمة المؤدب وملل الطفل معا ، ولأن اختلاط الصبي بأقرانه أدعى الى انشراح عقله وتفتح فهمه بالمحادثة والمرافقة وما في ذلك من اثارة المحاكاة والمساجلة والمباراة ، وما فيه تحريك هممهم ، وابتعاث نشاطهم » (٤ : ٣٤٠)

وقد نص على فضل التعليم الجمعي معظم رجال التربية قديما وحديثا حيث يرون ان للتعليم الجمعي محاسن عديدة أهمها :

**أولا** : يحقق مبادىء الاقتصاد اذ يحتاج لأقل عدد من المدرسين بعكس التعليم الفردي .

**ثانيا** : يربي في التلاميذ روح المناقشة ويحملهم على الدخول في ميادين المناقشات العلمية .

**ثالثا** : ينفث في الأطفال روح الجماعة ويساعد على تربية كل فرد منهم تربية اجتماعية حقيقية .

**رابعا** : يوجد بين التلاميذ الألفة والمحبة كما انه يعودهم على النظام والتعاون .

**خامسا** : والمدرس المتوسط يفضل التعلم الصفي على التعلم الفردي اذا كان الصف جيدا وهذا لأن طبيعة هذا التعليم تساعد على النشاط وبذل الجهد فيذوب التعب الذي يلاقيه المدرس .

## التعليم الثانوي والتوجيه بحسب الاستعداد :

« ويرى ابن سينا بعد فراغ الصبي من المرحلة الأولى ان ينظر الى ما يراه ان تكون صناعته ، فيوجه بحسب ذلك ، فان اريد به الكتابة مثلا اضيف الى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومساجلات الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك ، وان يعلم الحساب ويدخل به الديوان ويعني بخطه ، وان اريد به وجهة أخرى أخذ فيها » (٤ : ٣٤٠)

ويرى ان على المؤدب في هذه المرحلة ان ينظر الى استعداد الطالب وما يصلح له من الصناعات والأعمال فيوجهه بحسب ميوله واستعداداته وهو يضرب لنا الأمثلة في تباين الملكات واختلاف المواهب وان الذي لا يعينه استعداده على صناعة من الصناعات أو علم من العلوم يتعذر توجيهه اليه مهما بذل في سبيله من جهد وانفق من مال .

وهذا ما دعت اليه التربية في القديم والحديث ويقول جان جاك روسو من المربين المحدثين ان التربية الصحيحة ما قامت على معرفة غرائز الانسان أو ميوله وعلى ذلك يجب ان يخرج الانسان في صناعة من الصناعات .

ان ما قصده ابن سينا في هذا المجال هو ما نسميه اليوم بالتوجيه المهني والذي يهدف الى توجيه المتعلم الى المهنة التي تناسب امكانياته وتكون له في ممارستها لذة حقيقية ،

ولما عرفنا ان ابن سينا يضع هذا العبء على المعلم ، فما ذلك الا لأنه من أقدر الناس معرفة للمتعلم .

## الغاية من التربية :

« يرى ابن سينا ان الغاية من التربية هي العمل واستثمار المعارف في الكسب والارتزاق ليتذوق الناشيء حلاوة الكسب بالصناعة ويعتاد طلب الرزق بالجد ، ولا يركن الى ما لأبيه فيجد فيه المقنع والكفاية لأن في ذلك مفسدة له » (٤ : ٣٤١) .

وفي الحقيقة ان هذا ما ترمي اليه فلسفة التربية اليوم ومن قبل ولعل ابن سينا يبدو متأثرا في هذا من مصدري التربية الاسلامية وهما القرآن والسنة النبوية ، وفي الحض على العمل تبعا لقوله سبحانه وتعالى : « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » (الجمعة / ١٠) .

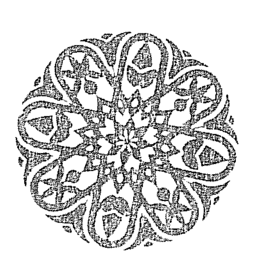
وفي هذا المعنى يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل الناس فيعطوه أو يمنعوه » وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يديه » صدق رسول الله . (رواه مسلم) .

## خاتمة :

ابن سينا من الفلاسفة الذين يتميزون بغزارة الانتاج واذا حاولنا تتبع مؤلفاته والوقوف عليها وجدناها كلها تتفق على أن ابن سينا قد تميز بهذا الجانب من كثرة التأليف وكثير من المؤلفين قد اتفقوا على انه كان نادرة عصره في علمه وذكائه ، ففي كل اتجاه كان له الباع الطويل يتضح لنا هذا أكثر ما يتضح في مجال الطب والفلسفة وعلم النفس والأدب والشعر واللغة والتربية .

ان ابن سينا بعد ما عرفنا مساهمته في هذه العلوم بمصنفاته التي تفوق المئتين يحق لمعشر المفكرين في أرجاء العالم شرقا وغربا ومفكري العرب والمسلمين بشكل خاص ان يفخروا به كأحد الفلاسفة والعباقرة العظام .

لقد كانت كتبه الكثيرة وما فيها من عمق دليلا على نبوغه وذكائه برغم ما حدث له من أمراض ورحلات قسرية وتنقلات مفاجئة ، على ان هذه كلها ما كانت لتقف وتفت في عضده أو تضعف من عزيمته على متابعة نشاطه العلمي واطلاعه الذي يفوق حد الوصف حتى استوعب كل ثمار الثقافة المصرية والفارسية واليونانية في عصره ، وقدم لنا مادة غزيرة في كل مجال من مجالات المعرفة بدرجة تحار أمامها العقول .






للأستاذ : عاطف شحاته زهران

منذ سنوات والجدل لا ينقطع حول مشكلة تحديد النسل . وطالب البعض باتخاذ اجراءات وقائية رادعة تحد من الزيادة السكانية المطردة في بعض الاقطار الاسلامية . تتمثل هذه الاجراءات في قوانين تحرم الأسر التي تنجب اكثر من طفلين اوثلاثة من ميزات مادية كثيرة . وذلك لما فشلت الحملات الاعلامية في الدعاية لمواجهة الانفجار السكاني المزعوم . وبين هذه الدعوات كانت تنطلق دعوات اهدأ وأقرب للتصور مطالبة باستثمار هذه الثروة البشرية بما يعود على الأمة بالخير . فهي نعمة من الله تستحق الشكر لا نقمة . ومن الممكن ان تكون مصدرا للخير في البلاد التي تئن منها لا سببا في تخلفها وشقائها .

وخلال هذه المناقشات كان يطلب ـ احيانا ـ من الدعاة المسلمين ان يشاركوا فيها بالفتوى بما يتفق وهذه الدعاية . ويحثوا الناس في المساجد والمحافل الدينية على ضبط النسل او تحديده . اعتمادا على اخبار ضعيفة او احكام مرجوحة . يلتقطها بعضهم من هنا او من هناك ..

وسأحاول في هذه الدراسة العجلى ان اعرض للقضية من الجوانب الثلاث الدينية والطبية والاقتصادية .. مستندا على آراء علماء متخصصين في تلك المجالات حتى تكون موضع تقدير ..

## ** رأى الدين :

يقول الدكتور عوض الله حجازى رئيس جامعة الأزهر السابق :
الدين يحث على الزواج ، وغاية الزواج النسل والعفه وعمارة الكون ، قال صلى الله عليه وسلم : « تزوجوا الودود الولود » رواه ابو داود والنسائى .. وقال : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث « وعد منها » ولد صالح يدعو له » رواه مسلم عن ابى هريرة .

فالولد مطلوب لعمارة الكون وليدعو لوالده بعد وفاته ، ويساعده في الحياة عند كبره . اما من ناحية الكثرة او القلة فالامر يرجع لارادة الله ( يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير ) الشورى ٤٩ ـ ٥٠ ..

والاولاد مطلوبون ايضا لانهم زينة الحياة الدنيا ..
والشارع لا يمنع من تنظيم النسل بان يكون بين المولود واخيه سنتان او اكثر حفاظا على صحة الأم وصحة الاولاد وتوسعة على الاولاد ايضا ..

اما التحديد فلا يجيزه الشرع . فالرزق مكفول من الله لكل حي على وجه الارض ، والارض الموجودة لو استغلت لكفت .
وعلى سبيل المثال :

كانت المملكة السعودية صحراء جدباء ، لا تنبت فيها زراعات الا القليل الذي ينبت على الامطار ، اما الآن فقد حدثنى بعض طلبة العلم بأن شمال نجد ظهرت فيه الينابيع المائية التي انساب ماؤها . وبدؤوا يزرعون بها الموالح والاعناب والخضروات التي تملأ اسواق الرياض ومكة والمدينة في هذه الايام .

## ** حجة واهية :

احيانا يقع البعض على رأى ضعيف فيجد فيه ضالته ، فيرفعه ويجعله قاعدة شرعية من باب ( لا تقربوا الصلاة ) ويغفل كل رأي يعارض ذلك الرأي ولو كان أرجح وسنده أصح . لأن ذلك يخدم غرضه .

وهذا ما يحدث بالنسبة لموضوع ضبط النسل .. فقط ، استند بعض المحبذين له بمقولة للامام الغزالى رضى الله عنه أفتى فيها بجواز منع الحمل ( ان خيف على جمال المرأة او صحتها ) .. وهم بذلك يفتحون الباب على سعته امام كل امرأة لتحد من الانجاب . لأنه ما من امرأة الا وتخاف على صحتها او جمالها او كليهما .. ونسوا او تناسوا ان الإمام لم يطلق الامر . وانما اباح ذلك في حالة العزل فقط . والخوف المحقق ـ من الطبيب الثقة ـ من التأثير على الصحة او الجمال ..

وهو الذي قال في الاحياء عن افساد النطفة اذا وصلت الرحم بانه جناية فقال : ( اول مراتب الوجود ان تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة .. وتستعد لقبول الحياة ، وافساد ذلك جناية .

ثم ذكر حديثا صحيحا اجاب فيه النبي صلى الله عليه وسلم على سؤال عن العزل فقال : « ذاك الوأد الخفى » وتلا قوله : « واذا المؤودة سئلت » رواه مسلم فماذا يقول هؤلاء جوابا على هذه المقولة ؟ .. ففي الحديث بيان حكم العزل عن الحرائر في غير الضرورات القصوى التي تفرض على الرجل ان يعزل عن امرأته خوف المرض المهلك لها بسبب الحمل ، او خوف انتقال مرضها الوراثى الى الطفل . فالاسلام يبغى نسلا قويا ـ لا ضعيفا ـ يخدم اسرته وامته لاعالة ، فالمؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف ..

ومن ذلك يظهر اباحة التنظيم وعدم اباحة التحديد الا لضرورة ملحة . ولكن ما هي افضل الوسائل للتنظيم او التحديد في الضرورة ؟ ذلك ما يجيب عليه الطب ..

## ** العزل او الاعتزال :

هناك اذن فرصة لينال الطفل حظه من الرضاعة ( حولين كاملين ) . ولكن بعض النسوة لديهن استعداد للحمل بعد الوضع بعدة اشهر . وهنا يجوز للأم ان تنظم ولكن كيف ؟

يقول الدكتور علي مطاوع عميد كلية الطب الاسبق بجامعة الازهر :
تنظيم النسل لا يمنعه الدين لقوله تعالى : « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة « البقرة ٢٣٣ » ...
كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ارضاع الطفل اذا حملت امه . لأن ذلك يؤثر على الرضيع تأثيرا سيئا مما يجعله ضعيف البنية . ولو اتبعنا هذا الهدى لوجدنا المسافة بين الحمل والآخر تستغرق ثلاث سنوات ، وهي مدة كافية لتنظيم النسل واعطاء الفرصة للام لاستعادة صحتها ، وللوالد لتنظيم حياته الاقتصادية ، اما حين تحمل الام بعد اربعين يوما فهي تخالف الطب والدين .
وافضل وسيلة للتنظيم هي ملاحظة « الدورة الشهرية » وتجنب الفترة التي تكون فيها الخصوبة اكثر ما يمكن . وهو اليوم السابع عشر ، وتستمر قابلة للاخصاب لمدة اسبوع فاذا اعتزل الرجل امرأته في هذه الفترة كان ذلك مانعا للحمل . ويسمى ذلك - ( اعتزالا ) تفرقة بينه وبين العزل الذي مارسه بعض الصحابة مع الاماء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده ، وهو أي العزل لا يستخدم مع الحرائر الا باذنهن .
وبهاتين الطريقتين - العزل والاعتزال - يمكن للمرأة في الضرورة ان تستغني عن الوسائل المستحدثة .
وقدرة الله لا يغلبها غالب ، فاذا اراد الله ان يهب لزوجين مولودا فلا راد لمراده وايماننا بهذا ييسر علينا امور حياتنا ، فقد يحدث الحمل بالرغم من استخدام وسائل المنع المختلفة .

## ** اضرار الوسائل الحديثة

تعترف الاوساط الطبية بان الوسائل المستحدثة لمنع الحمل لها اضرار على من يتعاطونها . وذلك نتيجة ابحاث كثيرة خرجت بهذه النتائج .
وحسبي هنا ان اشير الى بعض هذه النتائج ليقف المرء على جلية من الامر ولا يخدع بما يقال - بقصد الدعاية - عن تلك الوسائل ..
فقد نشرت مجلة العربي في عدد ( ٢٠٦ ) تقول : إن تعاطى حبوب منع الحمل يزيد من احتمالات التعرض للنوبات القلبية المميتة فيمن تجاوزن الثلاثين من العمر وبخاصة فيمن تخطين الاربعين . ولقد نقلت هذه النتيجة عن المجلة الطبية البريطانية . ونشرت في عدد ( ٢١١ ) تقول : نقلت وكالات الانباء خبر موت احدى السيدات البريطانيات نتيجة لحبوب منع الحمل ، فقد ظلت تتناول حبوب ( فالدان ) طيلة ثماني سنوات ، ثم استبدلت صنفا

آخر هو ( مينو فلار ) ـ بدلا منه . وذلك بتوصية طبية ، ومرضت بعد اسابيع مرضا شديدا مما اضطرها لملازمة الفراش . ثم انهارت صحتها بعد ايام ولما نقلت الى المستشفى اثبتت الفحوص ان سبب الوفاة المباشر هو ( الانسداد الرئوى ) أي حبوب منع الحمل التي كثيرا ما تسبب هذا المرض ..

وفي عدد ( ٢٢٠ ) نشرت نفس المجلة تقول عن وسيلة اخرى غير الحبوب وهي « اللولب » .. اللوالب وما اليها من وسائط منع الحمل التي توضع داخل الرحم قد تكون سببا في تشويه الأجنة . فقد وضع الدكتور ( هربرت برى ) تقريرا وافيا حول هذا الموضوع نشر بمجلة الطب البريطانية . ويشرح في تقريره حالتين ولد فيهما طفلان باطراف قصيرة ومشوهة . وكلاهما كان فاقدا لعظام الساق .

والسبب في ذلك هو ( اللولب ) الذي لجأت الأم اليه بقصد منع الحمل ، هذا واللوالب لا تمنع الحمل تماما . وتقدر نسبة من يحملن بالرغم من اللوالب ١ : ٥

وهذه التقريرات اوردناها منسوبة الى مصادرها . وهي لجهات طبية لا تبغي تأييد وجهة نظر ، او معارضتها ، بل تبحث عن الحق لتعلنه ، انصافا للحقيقة وذلك حتى لا يخدع نسوتنا بالدعايات الخلابة عن تلك الوسائط فينا لهن الضرر

## ** رأي الاقتصاد :

بقى ان نعرف رأي الاقتصاد في هذه القضية . وهو المشجب الذي نعلق عليه دعوتنا ، وبسببه ينادي المنادون بالحد من السكان . حتى يتوقف ما يسمى بالانفجار السكاني والذي يلتهم موارد البلاد ، فهل حقا في الزيادة السكانية خطر على الاقتصاد ؟ ام انها مجلبة خير لاي قطر ينعم بنسبة عالية من المواليد ؟

وبداءة نقول : إن هناك دولا تعاني من قلة الانجاب . وقلة السكان بالنسبة لما تتطلبه من أيد عاملة ومن ارض فسيحه تحتاج للعمران . وتبذل في سبيل زيادة السكان كل سبيل من شأنه ان يضاعف عدد المواليد . ولكن اراد الله ان يجعل البشر قسمة ورزقا كما جعل المال والارض قسمة ورزقا .

وهؤلاء بمحاولتهم لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . ضعف الطالب والمطلوب فكيف يوسعون فيما قدره الله ، سبحانه مقسم الارزاق ، لامانع لما اعطى ولا معطى لما منع ..

يقول د. سعد العشماوى : استاذ ورئيس قسم ادارة الاعمال بكلية التجارة جامعة الازهر .

من الواضح ان زيادة معدل السكان ترتبط على المستوى العالمي بالمستويات الاقتصادية ، فكلما ارتفع المستوى الاقتصادي قلت نسبة السكان وهكذا ، حتى ان بعض الدول الغنية المتقدمة مثل المانيا وفرنسا والسويد تشجع زيادة النسل باساليب متعددة - مادية وادبية ..

والاطفال يعتبرون مصدر رزق للابوين حين يبلغون العاشرة من اعمارهم ، كما انهم يمثلون تأمينا للابوين على الحياة عندما يبلغان الكبر ، ومن الأجدى بدل ان نوجه جهدنا لتحديد النسل ان نوجه هذا الجهد والاعتمادات المخصصة له لرفع مستويات التعليم ، وتدريب العمال غير

المهرة ليصبحوا اكثر مهارة وهكذا . كما ينبغي الاتجاه لفتح مجالات اقتصادية جديدة تعطى عائدا اكبر ، حيث انه توجد هنا وهناك مشروعات عديدة تعاني من انخفاض الانتاج لعدم توافر الايدي العاملة بالمستوى المناسب ..

وما يقوله الدكتور عشماوى نرى له امثلة في غالب الاقطار الاسلامية : نقص في اعمال بذاتها يصل لحد العجز خاصة في الاعمال الحرفية . وزيادة تصل لحد الفائض في اعمال اخرى . وذلك دليل على سوء تخطيط لا يوازي

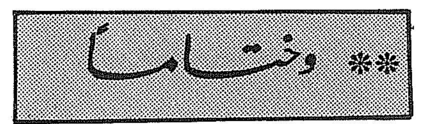
بين الطلب والعرض . ولقد اصبح العامل الحرفي ( نجار ، سباك ، نقاش ، خراط .. ) يتقاضى اجرا خرافيا على عمله .. وما ذلك الا نتيجة للتوجيه الجزافي العشوائى في التخطيط والتعليم ..

ولقد نادى الاستاذ محمد زكى عبد القادر برأي يؤيد الاستفادة من هذه الثروة بدل النقمة عليها . فقال على صفحات جريدة الأخبار القاهرية ..
ما اجدرنا ان نصحو ، وان نعرف ان ثروتنا البشرية هي اساس تقدمنا ورفاهنا اذا احسنا العناية بها واستغلالها وفتح المجالات امامها للعمل والابداع والتطور والفهم والاقتداء بغيرنا ..

وفي البلاد الاسلامية اقطار فيها المشروعات والمجالات والاعمال وليس فيها العمال مما يضطرها لاستيراد العمالة من خارج البلاد حتى من اسيا واوروبا لتنفيذ العمران والتمدن في هذه الاقطار . وهناك اقطار اخرى فيها زيادة سكانية تئن منها ولا تملك المال لبناء المصانع التي تتسع لهؤلاء او ايجاد اعمال لهم تعود عليهم وعلى الوطن بالرقي ، وقد اراد الله للمسلمين ان يكونوا كالجسد الواحد . فماذا لو استفاد هؤلاء من سكان أولئك واستفاد

هؤلاء السكان من اموال الاغنياء التي حصلوا عليها اجورا لاعمالهم فاستفادوا منها وافادوا فالله لم يخلق شيئا عبثا . ولكنه يعطى هنا ويأخذ من هناك ليستمر الإخاء الانساني بين المسلمين فلا يستغنى قطر عن قطر .. ذلك يترع في النعيم وذاك يكاد يموت جوعا .

ولو اننا حكمنا فينا الاسلام لما شكا قطر من الحاجة الماسة للعمالة . وآخر يشاركه في الحدود واللغة والدين من زيادة العمالة وقلة الموارد . فالله خلق الناس اخوانا ولن يضار الناس الا بخلل في تطبيق شريعة الاسلام احكامها واخلاقياتها السهلة السمحاء .





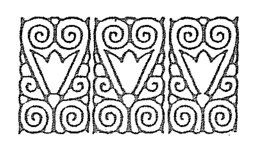
ينادي البعض بحماس شديد للحد من الإنجاب ، وبعض الجهات تنفق اموالا طائلة على هذه الدعاية . وليتنا نعمل بنفس الحماس لاستثمار هذه الطاقة كمنحة من الله فضلنا بها وليست بلاء ابتلانا به . فقد يفضل الله بعض الاسر او الدول بالمال ويفضل غيرها بالعيال وهم مصدر المال .

ليتنا نجد ونصبر ليجد الناس الارض التي يزرعونها ، والآلات التي يعملون عليها ، والمياه التي تساعدهم على غزو الصحراء لتوسعة الرقعة الخضراء ، بدل ضياع المال والوقت في دعاية لا تجدي ولا تعود على المسلمين بأدنى خير ..

واختتم حديثي بهذه الابيات التي قالها شاعر مسلم يفند دعوة المنادين بتحديد النسل تحت شعار الأزمة الاقتصادية ..

يقولون تحديد فقلنا خرافة ... وكيف نحد الخير يأتي به الرب !؟
فقالوا بأن الربّ قد شح رزقه ... فياويحكم اين المطاعم والشرب ؟!
وإين عناقيد الكروم التي لها ... جمال وأين النحل والتين والقضب ؟!
وأين جنان الزيت تشفي قلوبكم ... ويا ويلكم أين الفواكه .. والأب ؟!
جنيتم على الدنيا بباطل زعمكم ... فشح كما قلتم وضاق بنا الكرب ؟!

فاللهم اعطنا ولا تحرمنا .. وزدنا ولا تنقصنا .. آمين ..






للاستاذ : أحمد العناني

## تمهيد ولمحة تاريخية :

لم تعرف الدنيا من بداية الوجود البشري على الأرض وحتى الانقلاب الصناعي الذي ضخم الانجاز البشرى منذ قرابة قرن ونصف ، حاضرة بلغت من الاتساع والازدهار ، وعدد السكان ، وخدمات المياه الواصلة إلى البيوت ، ونظافة الشوارع والميادين ، وخطط البناء المنسق ، وتوزيع الأحياء التجارية على أصحاب الصنائع المختلفة في شوارع متخصصة ، ورسم المسافات بين البيوت وطبيعة أحجامها في كل موقع ومدى ارتدادها عن الشارع كما كان في حاضرة عبد الرحمن الناصر الخالدة ، جوهرة الدنيا كما كانت تسمى قرطبة .. لقد ناف عدد سكانها على المليونين ، وكان بها من الجامعات والمؤسسات ونقابات العمال المنظمة ما لم يتحصل نظيره لأي مكان آخر ..

# المسلمون جعلوا قرطبة منارة العلم والتدريب الفني والتنسيق العمراني

وإنه لمن أسباب افتخار الشرقيين أن أول من بنى قرطبة في موضعها على نهر الوادي الكبير هم الفينيقيون .. أما الذين جعلوا منها محط رحال طلبة

العلم ، والتدريب الفني ، والتنسيق العمراني المذهل فهم المسلمون الذين دخلوها مباشرة بعد انتصارهم ،في معركة شريش الحاسمة ومقتل قائد القوط لذريق وهو من مواطني قرطبة .

ويقتضينا الحق القول إنها كانت عندئذ بلدة كبيرة رائقة الضواحي الخضراء ، وبها عدد من الكنائس الكبيرة ، ذلك بأنه لم يكن ممكنا لبلد



قصر الحكم الأموي بعد أن صار يدعى قصر الايسكوبال

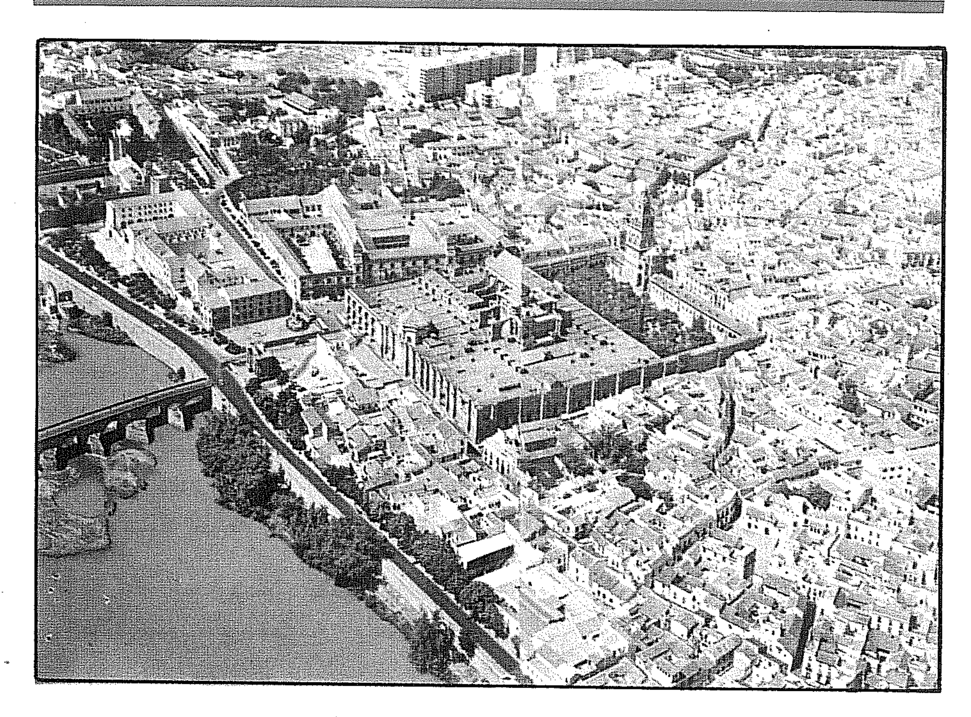
يتوسط الاندلس ، ويقع على نهر الوادي الكبير الصالح للملاحة .. إلا ان يكون كذلك ، ففي هذه المنطقة المعتدلة المناخ حيث يلتقي السهل والجبل ، وتتصل الملاحة بين لشبونة البرتغالية على المحيط الاطلسي وقرطبة العاصمة الداخلية بفضل النهر الميمون الصالح للملاحة الذي اعطاه المسلمون اسمه الأبدي « الوادي الكبير » . نقول في مثل ذلك الموقع وتلك الأحوال لابد من وجود مدن كبرى أهمها أشبيلية التي تحدثنا عنها من قبل ، وهذه الحاضرة التي حولتها حضارة الاسلام الى جوهرة الدنيا ، وكذلك ظلت تدعى منذ رفع عبد الرحمن الناصر من شأنها ..

ومنذ الفتح الاسلامي عام سبعمائة وأحد عشر للميلاد الموافق لحوالي السابع والثمانين للهجرة ، خلال حكم الوليد بن عبد الملك في دمشق وإلى مدى خمسة واربعين عاما حين سقطت الدولة الاموية عام سبعمائة واثنين وثلاثين للميلاد الموافق لاثنين وثلاثين ومئة للهجرة ، ظلت قرطبة ضمن ولاية الاندلس التابعة لدمشق .. ثم اجتازت بعد سقوط الدولة في دمشق فترة عصيبة من الاضطراب والغثيان الشديد الناتجين من فراغ السلطة وحالة الغموض والتنازع المؤسف بين قبائل القيسية واليمانية الذي امتد لهيبه إلى الاندلس نظير امتداده في الشرق إلى ما وراء النهر في بلاد الافغان .. إلى أن قيض الله جل جلاله ذلك الأمير الاموي الفار من وجه المسودة من ثوار آل البيت في حوض الفرات ، والذي ظل متخفيا والطلب وراءه حتى في صميم بلاد البربر ، إلى أن مكن الله له عبور جبل طارق إلى الاندلس ، ونجاحه والفئة التي ساندته ..

كان ذلك هو عبد الرحمن الداخل الذي لم تكن فترة حكمه في الاندلس فوق هزاهز المنازعات القبلية سهلا بحال من الاحوال ، ولكن الفتى الاموي الحازم العازم ثبت أركان ملكه بالسيف والدهاء والمال معا .

### عصر الناصر الذهبي :

لكن عبد الرحمن الداخل تحاشى إعلان نفسه خليفة مع وجود الخلافة العباسية في بغداد وعبثا حاول صقر العباسيين في الشرق أن يفترس صقر الامويين في الغرب فأقر بالهزيمة وقبل الواقع واثنى على رجولة خصمه ، فيما أخلد الداخل ايضا إلى الامر الواقع . لكن مدته لم تطل ، كما قاسى حكم الامويين من ضعف ابناء الداخل بحيث تضخمت المشكلات ، واستفحلت ثورة المولدين من أبناء الامهات الاسبانية بقيادة عمر بن حفصون بحيث ضيقوا أنفاس قرطبة وما حولها من قلعتهم المنيعة في بوبشتر إلى أن قيض الله للاندلس فتى الامويين الخالد عبد الرحمن الثالث الناصر الذي ينقسم حكمه الى فترتين : فترته الاولى : حيث انطلق كالشهاب ينقض على اعداء الدولة والمنشقين عليها والطامعين بحكمها وآخرهم عمر بن حفصون الذي أعيا على سائر الامويين من قبل فما زال



منظر عام لقرطبة يبدو فيه الى الشمال جانب من الجسور على النهر

عبد الرحمن الناصر يضيق عليه الخناق حتى سحق قواته واستولى على حصنه الجبار فسواه بالأرض .. واما الفترة الثانية : فهي فترة العمران وبناء ضاحية الزهراء . ويختلف الرواة فيما وصل له عدد السكان ويقدر العارفون ذلك في بداية الازدهار من القرن الرابع للهجرة ( العاشر للميلاد ) بمليون نسمة ظلوا يتكاثرون لا سيما بعد ضعف المسلمين في شمال ايبيريا ونزوح الكثيرين الى عواصم الجنوب بحيث وصل السكان في القصبة والضواحي إلى مليونين لم يكن أحد منهم يشكو انعدام السكن المزود بالمياه .

**رجالات الخلود :** ـ وإذا كان الحديث يطول جدا عن عمران قرطبة وهذا ما نعرض له لاحقا إلا أن الانسان يظل أعظم قيم الارض جميعا ، وفي هذا المجال تتيه قرطبة بنفر كبير من أبنائها هم من ألمع نجوم التاريخ الانساني ، منهم الشاعر الفذ الذي يتوهج خيالا ويذوب رقة ورهافة حس ، كابن زيدون ومنهم الاديب الناقد اللامع ، والشاعر الفذ كابن شهيد ، ومنهم الفقيه الجرىء العالم الذي لا يشق له غبار ، ولا يجرى معه في مضمار كالفقيه المفكر العظيم ابن حزم الذي يضعه كثيرون جدا

بل وحتى من غير

المسلمين بين ألمع العقول القادرة على توليد المعانى وأجراء القياس في

تطبيقات شرعية غاية في الذكاء ، ومنهم الرياضي والفلكي والطبيب الفذ ، وعالم الاحياء والنبات والمؤرخ والاديب والفيلسوف بحيث لا يتسع المجال لاستعراض ولو عناوين كتاب المجد القرطبي الضخم في الاسلام .. والمهم في رجالات قرطبة أنهم يشكلون حالة وسطى بين أفكار القرون وآراء الشعوب ، ولذلك فإن بعضهم أثار نقمة عظيمة كما كسب أنصارا متحمسين جدا ، ولعل ابن رشد هو ابرز افراد هذه المدرسة التي يعتبرها البعض مثالا لسعة الافق

فيما يحمل عليها طائفة من النقاد حتى اليوم متهمين اياها بما اتهم به الفارابي مثلا في الشرق من الميل الى الفلسفة الاغريقية الوثنية . وليس ثمة أدنى شك في أن العلم القرطبي هو الذي شق مجاهل افريقيا ودخل أمريكا بغض النظر عن جنسيته كولمبوس أو غيره ، فالنظريات والتعليم والرسوم والخرائط ووصف الرياح وتيارات المياه ونظريات الفلك وتطبيقات علم المثلثات والجبر في شئون الجغرافيا ، كل ذلك قرطبي إسلامي وفي قرطبة كان علية نصارى أوروبا يكتسبون أهمية كبرى بأية علاقة لهم بجامعة البلد ورجالاته المسلمين ومفكريه .

ولاشك بأن حكم المرابطين والموحدين قد كان إلى حد ما صدمة لتلك الحركة الفكرية الزاهرة ، إلا أن الكارثة الحقيقية وقعت بنهاية الثلث الأول من القرن الثالث عشر الميلادي عندما سقطت حاضرة الاسلام في الاندلس بأيدي نصارى ايبيريا . ومع كل الاضطهاد الذي لقيه المسلمون الذين قبلوا عهود الامان واستسلموا ، وكل الظلمات التي حاقت بالحاضرة العظمى ، لكنها ظلت الى فترة مصدر الاشعاع لغربي أوروبا باستمرارية الدفقة الحضارية العظمى التي شهدتها في عهد عبد الرحمن الناصر .

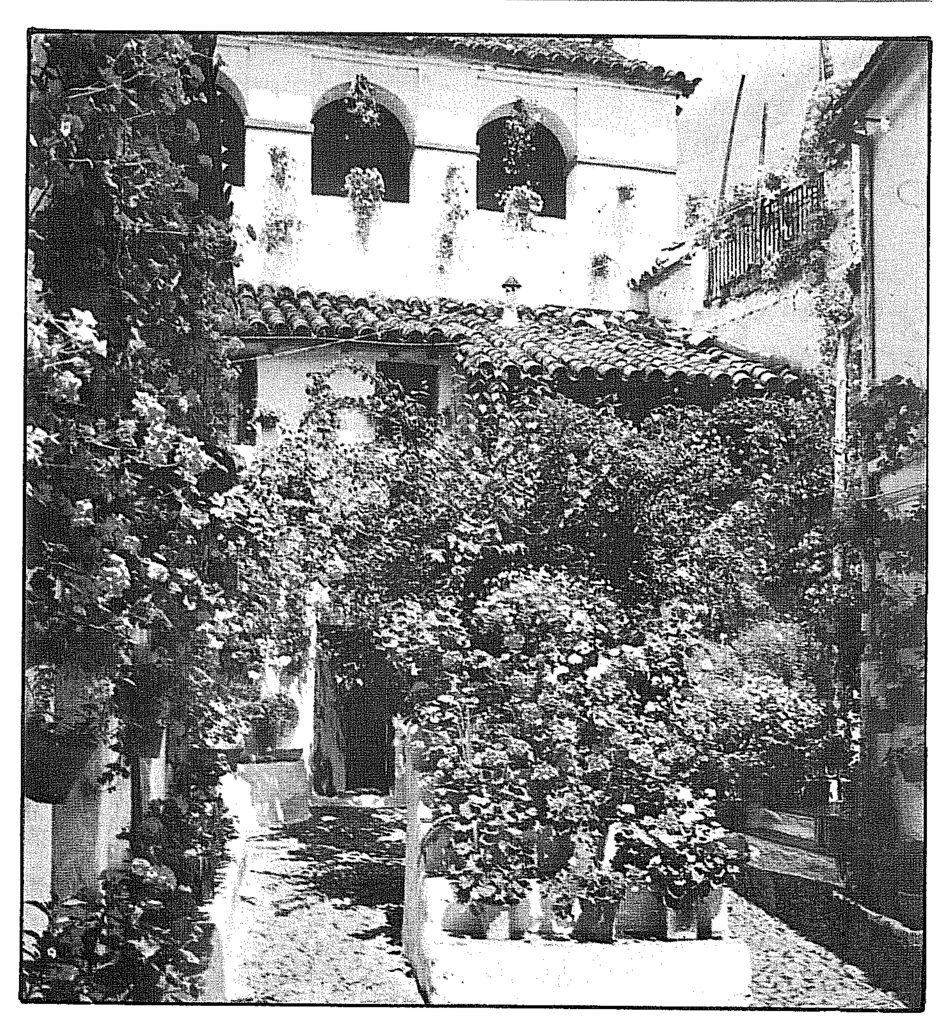
### تكوينات بارزة في قرطبة :

أول ما يواجه المقبل على قرطبة الجسر الروماني الهائل على نهر الوادي الكبير ، وهو جسر اعتنى المسلمون به وبترميمه وقواعده ، وهو يرد في شعر ابن زيدون وغيره ورود جسر بغداد في أشعار أهل المشرق .. كشعر علي بن الجهم

وكائن غدونا مصعدين على الجسر
الى الجوسق الغربي بين الربى الخضر
بحيث هبوب الريح عاطرة النشر .. الى آخر الموشح .

والربى الخضر تفضي في امتدادها الى ضاحية الزهراء التي جنى عليها النهابون واللصوص ، وأناخت عليها يد الزمان فأصبحت لسوء الحظ ( أو بالاحرى الباقي منها ) دون مستوى الاخبار عنها ، وتلك ارادة الله في كل شيء .

وحيث أن قرطبة تنقسم إلى قسمين : وكلاهما محاط بسوره الهائل وتحصيناته كان لابد في معظم الحالات أن تكون الطرق ضيقة ومع ذلك فهي لا



العلالي المطلة على جنات الدنيا البديعة ..

تشكو أي شكل من أشكال القذارة بفضل تجاوب الناس مع توجيهات ادارة السياحة .. وحين يطوف بك السائحون في تلك الأزقة والزنقات فإنك طول الوقت تستنشق عبير زهور تنتشي لها النفس . وهم يشيرون بافتخار إلى أن قرطبة هي بوتقة التسامح التي تجاور فيها المسلم والنصراني واليهودي لكنهم قليلا جدا ما يشيرون إلى دين الحق والتسامح الذي ختم الله تعالى به رسالات السماء ، والذي استطاع - أن يصون أي أقلية من طغيان أية أغلبية ، وأن ينزع الحقد والتمييز ضد أي انسان بسبب دينه أو لونه أو أحواله أيا كانت ..

وفي عبادة الله الواحد الأحد أنشأ عبد الرحمن الناصر هذا الجامع القرطبي الذي لا نظير له في الدنيا سعة وأبهة وجمالا وكلفة بناء وسعة أبهاء ، ونفاسة رخام وخشب ومواد بناء ، وبدائع نقوش وزخارف تبهر الألباب ..

## الجامع القرطبي :

مسجد الجمعة ، أو المسجد الجامع أو مسجد الناصر ، بلغت به روعة الصنعة وخوارق الآيات الفنية المذهلة ، ما جعل أيدي الكاثوليك المتعصبين تتوقف دون إدخاله جميعا في الكنائس المتعددة التي اقتطعوها منه ..

ان أي بربري في الدنيا ، وأيما متعصب أو مختل للشعور لا يمكن ان يبلغ به الحمق ما يجعله يمد يد التخريب أو النهب إلى مثل هذه السقوف التي تعيا الرقاب برؤوس أصحابها وهي مرتفعة تراقب النقوش الخارقة ، ونفاسة الصناعة المكملة ، ودقائق وتفاصيل تلك العجيبة الخالدة من عجائب الدنيا .. إن الذين غفلوا عن مسجد الناصر في قرطبة ارتكبوا أكبر الأخطاء في تعداد عجائب الدنيا السبع .. فهنا تستخذي العجائب جميعا وتتوارى كسوفا وحياء ..

وقفت بالمسجد المحزون أسأله
هل في المصلى أو المحراب مروان
وقفت فما عرفت وضوحا لفهم هذا البيت من شعر أبي الطيب كما فهمته امام مقدمة المحراب التي تظهر هنا .. والى جانب المحراب تمثل الطريق المسقوفة التي كان يخرج منها الخليفة الاموي الاندلسي من المحراب إلى حديقة قصره وبيت المتنبي هو :
والهم يخترم الجسيم نحافة
ويشيب ناصيته الصبي ويهرم
لقد مددت يدي الى فودي رأسي والدموع تناثر من عيني وإني لأحسب أن كل شيبة في رأسي أصبحت ألف حربة ..

## وقلت لقلبي :

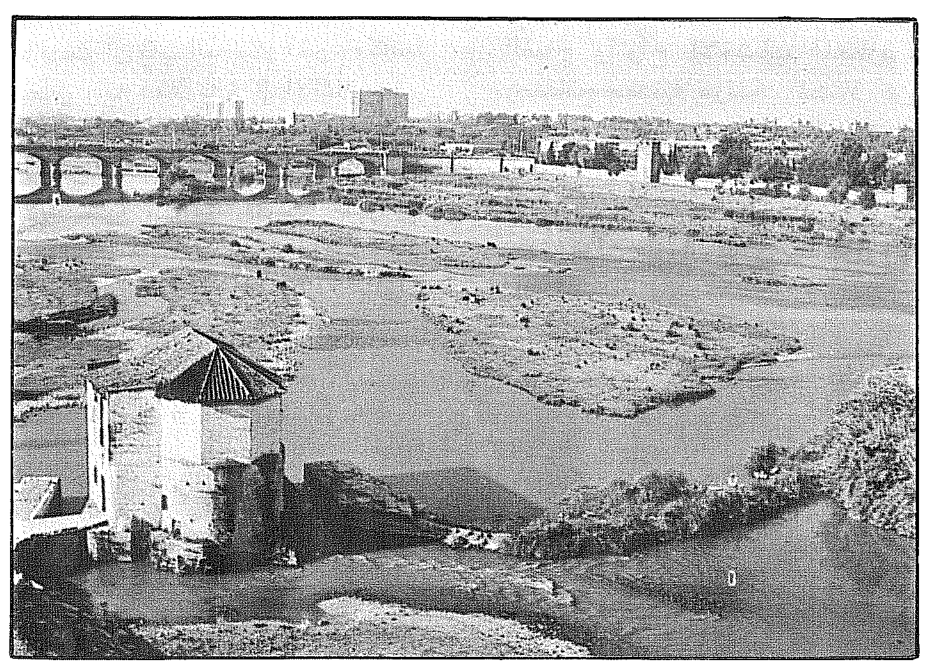
وقلت لقلبي بعد ان تجاهلت صوت دليل يريد أن يوقفني عن صلاة ركعتين في المحراب .. آه يا قلب .. ههنا يريك الله كم يصل الناس بالاسلام وكم تصبح حالهم بتركه .. نحن أهل هذا كله ، والآن يقال لنا لا صلاة الى ان يتم تأجير مصلى الى المسلمين رسميا وقلت لقلبي : ههنا أيها القلب في هذا المحراب وقف العالم المؤمن الذي يحترم حقيقة علمه قاضي قرطبة المنذر بن سعيد يقول لعبد الرحمن الناصر في أول جمعة تصلى بالمسجد : كيف أبحت لنفسك يا أمير أن تنفق من مال الجهاد والزكاة في هذا الزخرف ، وراح يذكره بقول الحق جل جلاله .. في سورة الشعراء : **( أتبنون بكل ريع آية تعبثون ○ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ○ وإذا بطشتم بطشتم جبارين )** ١٢٨ _ ١٣٠ .

وقيل إن وجه عبد الرحمن الناصر

في أول الأمر تمعر وغشيه ظل قاتم ثم ما لبث أن ثاب اليه فكر آخر ، وكأنما أحس بأنه فعلا بالغ في الانفاق حتى بذر لقد قضت الركبان سنوات تحمل إلى قرطبة من أطراف شبه الجزيرة الاسبانية ، كما قضت المراكب سنوات تنقل من جهات متعددة من وراء البحار الرخام المجزع ذا الألوان المتميزة والصفاء النادر وخشب الساج وأنواع الاخشاب المعطرة ، وصفائح معدنية مرققة ، فضلا عن الصناع وأهل الزخارف والفنون وغيرهم ، أعدادا لم يسبق لها في الاندلس نظير ، ودام الحال سنوات بعد سنوات قبل أن يؤذن بالدخول إلى ذلك المسجد المعجزة ..



**الشرفات العوامر بنور الزهور**



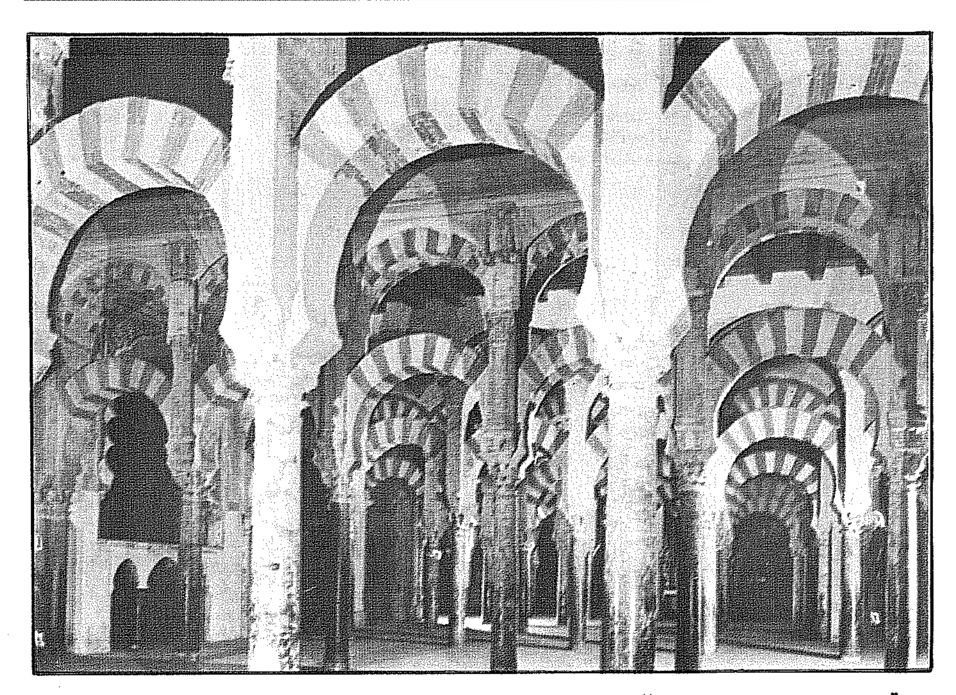
عند مدخل قرطبة من طريق اشبيلية ويبدو جانب من الجسر الروماني الذي كان جزءا من الطريق العظيمة المسماة بطريق أوغسطا ومعظم الجسر يعتمد حتى اليوم على دعاماته الاسلامية سوى ما جرى مؤخرا من ترميمات اضطر القوم لها فغطت جانبا من روعة التصميم الهندسي الاسلامي .

وسمع عبد الرحمن من المنذر بن سعيد ، وجمع نفسه على أن يتقبل قائلا يقول له « اتق الله بدلا من أن يقول له أحسنت وأدهشت يا ملك الملوك مثلا » لكن الذين جاءوا من بعد الناصر كان يصعب عليهم أن يراجعهم مراجع في حق أو باطل . ونظرة إلى سقف المحراب يستخذى عندها اللسان ، ويسكت البيان .

الكتابات الكوفية المحفورة بصرة السقف مقروءة بغاية السهولة . الجامع يكاد يكون مدينة بكاملها لولا اقتطاعات الكنائس جوانبه واجنحته الاساسية والحديث عنه وحده يقتضي كتابا بكامله ..

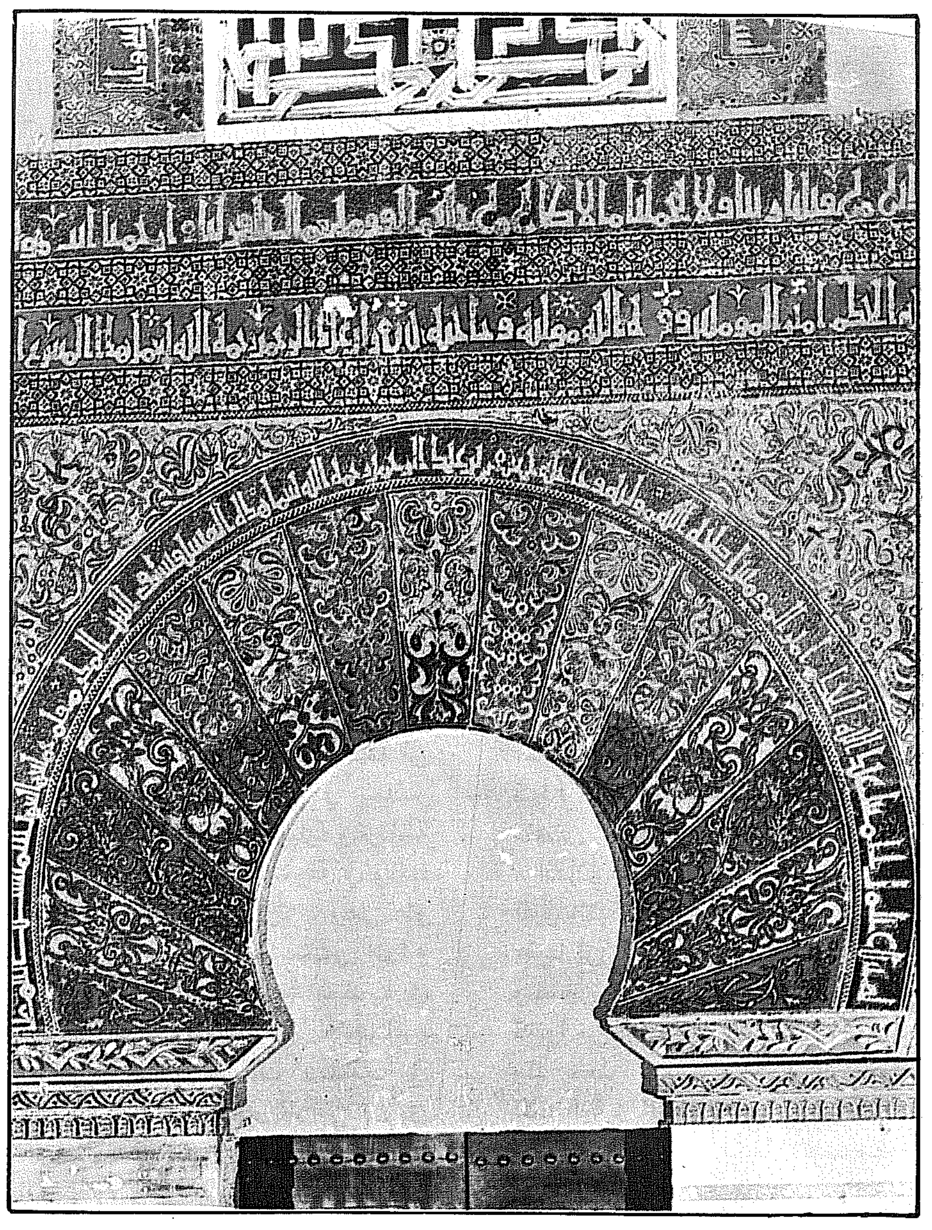
أين القصور يا قرطبة :

كل شيء في المدينة ما يزال ينم عن اسلاميتها ، ويسخر من كل محاولات التغيير التي استحدثت فيها ، وما يزال من أبرز معالم المدينة قصر الحكم الاموي بعد ان صار يدعى قصر الايسكوبال فهنا لا يمكن لأحد ان ينسب هذه الهندسة العمرانية الى غير المسلمين ، والواقع ان كل ما في المدينة القديمة يحمل في شبه إجماع روح



قسم من توسعة الخليفة الحكم للجامع القرطبي

الطراز العمراني الاسلامي ، كما أن نظام البيوت يماثل ما في سائر المدن الاخرى كإشبيلية وغرناطة مثلا حيث الساحة المكشوفة في وسط الفناء الأرضي ومن حوله ، وعلى علو الجدران وامتداداتها تنتشر انواع النباتات والزهور البديعة بعضها في أصص صغيرة وظريفة الاحجام ، وبعضها مداد مهذب ومشذب في أشكال يسر لها خاطر الرائي ، ومن حول الميدان توجد حجرات الاسرة الكبيرة ، والواقع أن انتشار الزهور وشدة العناية بها هما أبرز ظاهرات المدينة القديمة التي تبدأ من حول الجامع الاموي الكبير ، ثم تذهب عميقا في كل اتجاه من المدينة القديمة المسورة . وسواء أكان البناء ضخما كهذا المواجه هنا أم ساحة عامة تنهض حواليها بيوت من نوع « العلالي » ذات الصبغة الشعبية الرومانتيكية في المشرق العربي .. فإن علينا أن نتذكر دائما أن جنود دمشق وحمص وحماة وقنسرين والاردن كانوا من السباقين في سكني الاندلس وقد حملوا معهم مختلف الظاهرات الجمالية في البلدان التي قدموا منها ، وعلينا أن نذكر الشأو الحضاري الذي وصل إليه تفاعل العقل العربي المسلم المميز بمنهجية العلم الاسلامي وعلوه فوق الاوهام والأساطير مع الخصائص التنظيمية للعقل الآري الاوروبي فضلا عن البربر والصقالبة



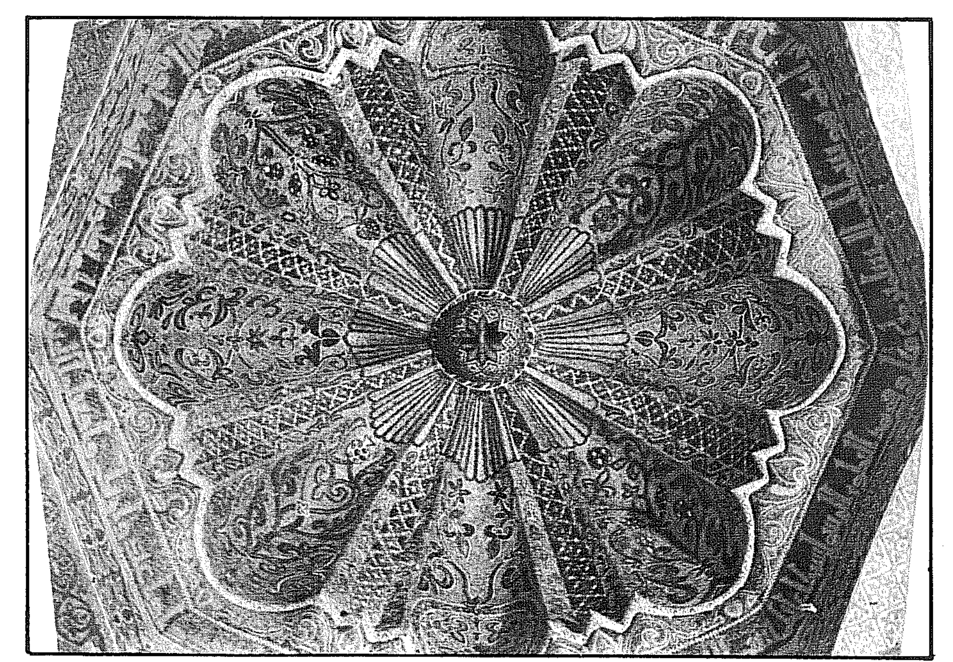
مقدمة المحراب الأعجوبة

**كل ما في قرطبة القديمة يحمل روح الطراز العمراني الاسلامي**

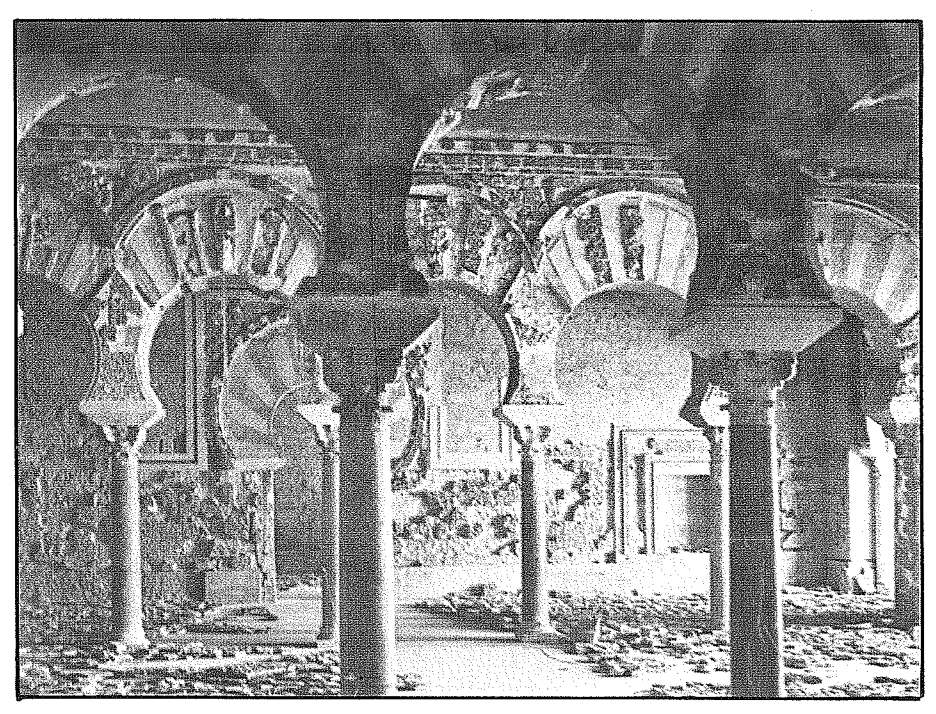
وخلفاء الفينقيين والرومان في شبه الجزيرة الايبيرية ، التي كانت دائما محط أنظار الغالبين من شعوب الله في الارض إن المرء ليخجل حقا حين يتحدث له الأدلاء الاسبان عن الأعداد الخرافية للزهور والنباتات التي ميزها المسلمون من أمثال البتاني ودرسوها في الاندلس وكتبوا عن مختلف أحوال نموها .. إن الزراعة لم تصل إلى بداية القرن الحالي ذلك البعد الذي أوصلها له المسلمون في اسبانيا سواء في السهول أم في الجبال .

واذا صح ان ينازع المسلمون في بعض جوانب من العمران القرطبي فضل العظمة والابداع ، فإن ذلك غير حاصل على الاطلاق في ضاحية كالزهراء لم يضف لها احد غير المسلمين شيئا ، بالعكس فقد سرق وهدم منها ونهب الكثير من آثارها .

لقد كانت الزهراء هي الضاحية التي شادها عبد الرحمن الناصر لتكون مثوى روحه كلما نشد السلام والراحة ، وعلى المرء اليوم أن يسافر لها مسافة ملحوظة قد تبلغ أكثر من عشرة أميال فإذا ما أطل عليها من عل ادرك كم اصابها من التدمير والنهب والتخريب ومع ذلك فإن البقية الباقية ، وما نقل الى متاحف قرطبة كفيل بأن يبلور صورة المجد الذي تمثله الزهراء .. لقد صاغها المهندسون المسلمون لتكون دارة سعادة وأمن لملك عظيم استطاع أن يعيد كلمة الاسلام في كل شبه جزيرة



الكتابات الكوفية القرآنية

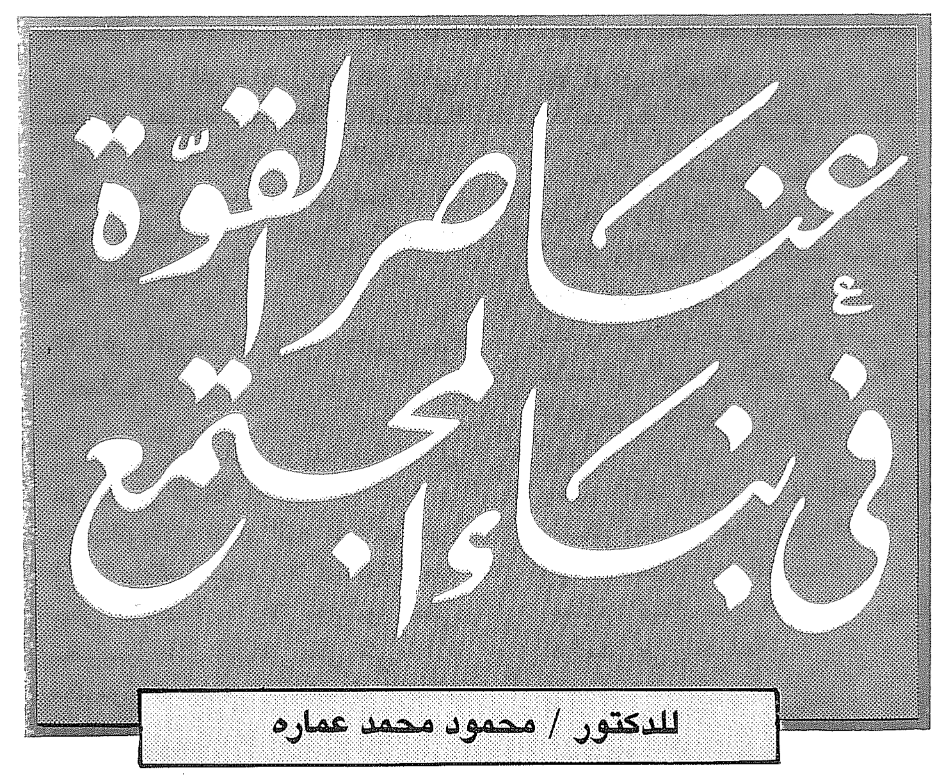


منظر من « دار الملك » من آثار مدينة الناصر « الزهراء » ضاحية قرطبة على مسافة ملحوظة من قرطبة

ايبريا وان يقضي على فتنة ابن حفصون الرهيبة ، ويطهر سائر المناطق الجبلية من عصابات المجرمين والقتلة .

ومما يشهد به الاسبان بإعجاب واعتزاز أن المسلمين لم يمسوا الصوامع والأديرة ومواقع النسك القائمة في ضواحي قرطبة قريبا من الزهراء في احضان جبال **السيرة** ويقول لي اسباني مثقف ودمعات الشكر تملأ محجريه لقد كان الاسلام مفخرة التسامح وسعة المذهب . والله انها لانسانية لا اعرض منها ولا اوسع .. آه لو ان البشر الذين يبلغون رسالة الحق في الدنيا يظلون على مستوى رسالتهم ولا يفلتونها من ايديهم .

قلت له دعك من هذا الآن ، إني ليعجبني هذه القيثارة الحنون التي تصحبك فلا تبخل على ببعض العزف .. وفيما كان اللحن ينساب حتى يذوب في الروابي الخضر ، كنت أحس ان بعض الهم الضاغط على قلبي قد بدأ ينزاح فينتشر مع بداية السحب في يوم يتهيأ لمطر مقبل ، وقلت : عسى الله جل جلاله المبدىء يبدىء ويعيد فيعطينا بداية جديدة لمجد الاسلام إنه عزيز حميد .




روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : ( حق المسلم على المسلم ست :

قيل : وما هن يا رسول الله ؟
قال : اذا لقيته فسلم عليه . واذا دعاك فأجبه . واذا استنصحك فانصحه . واذا عطس فحمد الله فشمته . واذا مرض فعده . واذا مات فاتبعه ). جـ ١٤/١٤١ .

اذا فرض الاسلام على الفرد حقوقا ازاء أسرته ضمانا لنمائها وبقائها .. فانه ولتظل الأسرة مستمرة - يريد لهذه الحقوق أن يتسع مداها .. لتشع في كل اتجاه خيرا وبرا عليه وعلى الآخرين من أفراد المجتمع .. ليصبح المسلمون في ظلها اخوة متحابين .. على ما يقول الشاعر :

وقلت أخ . قالوا : أخ من قرابة ؟
فقلت لهم ان الشكول أقارب
صديقي في حزمي وعزمي ومذهبي
وان باعدتنا في الأصول المناسب

● مغزى السلام :

اذا بادرت أخاك بالسلام فقد : بدأته بالفضل .. وأعطيته الأمان من نفسك .. فامتد بينك وبينه جسر من مودة تزيدها اللقاءات عمقا .. وان نفسه التي آنستها بتحيتك لتنعطف اليك انعطافا هو انعكاس لسروره بك .. وما يترتب على ذلك كله من فرص التفاهم .. والتعاون .

من أجل ذلك يتفضل عليكما الحق سبحانه بجزاء هو غفران ذنوبكما ( **إن المسلمين اذا التقيا . وتصافحا . وضحك كل منهما في وجه صاحبه . لا يفعلان ذلك الا غفر الله لهما** ).

## ● الى الجنة عن طريق السلام :

واذن : فالسلام هو الخطوة الأولى على طريق الجنة !

وذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ( والذي نفسي بيده : لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا .. ولا تؤمنوا حتى تحابوا .ألا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ افشوا السلام بينكم ) رواه مسلم فانظر كيف كان السلام طريقا الى الحب . الذي هو عصب الايمان الواصل بك الى جنة الرضوان .

وانظر أيضا كيف كان التخويف .. وترويع المسلم الآمن سبيلا الى غضب الله تعالى :

( لا يحل لمسلم أن يروع مسلما ) رواه أبو داود .

لايروعه حتى بمجرد النظرة المريبة : ( من نظر الى مسلم نظرة يخيفه فيها . بغيرحق . أخافه الله يوم القيامة ) رواه الطبراني .

فاذا طور المسلم وسيلة تخويفه استعدى على نفسه الملائكة التي تلعنه : ( من أشار الى أخيه بحديدة . فان الملائكة تلعنه حتى ينتهي . وان كان أخاه لأبيه وأمه ) رواه مسلم .

## ● آداب السلام :

من الذي يبدأ بالسلام ؟

قد يكون المسلم في مكان أمكن من زميله .. وقد يكون في وضع يبعث على الزهو والخيلاء .. وحينئذ فمن كان هكذا فهو أجدر أن يبدأ بالسلام .. ما دام زمام المبادرة في يده .. وفرارا من مشاعر الزهو المفسدة اذا بدأ الأضعف بالسلام .. فزاد القوى زهوا :

يسلم راكب البعير . على الفارس

ويسلم الفارس على راكب الحمار ..

ويسلم الماشي على القاعد ..

ويسلم النازل على الطالع .. ويسلم الواحد على الجماعة ..

## ● واذا دعاك فأجبه :

ويتقدم الاسلام بالمسلم خطوة أخرى على طريق الأخوة .. بحيث لا يكتفي في علاقاته بالآخرين بالتحية العابرة ..

إن التحية إمساك بالخيط .. ومنه تتدرج الصلة في مدارج الرقى .. فاذا دعاك فأجبه .. فرصة تتأكد فيها وشائج القربى ..

## ● صور من دعوة الأصدقاء :

لم تكن دعوة الصديق الى سياحة تنحل فيها الروابط ..ويضيع بها الوقت .. وانما هي الدعوة التي تتنامى بها عواطف الأخوة في ظل الايمان :

( عن ابي قلابة قال : التقى رجلان في السوق ، فقال أحدهما للآخر : تعال

نستغفر الله في غفلة الناس ! ففعلا .. فمات أحدهما . فلقيه الآخر في النوم . فقال : علمت أن الله غفر لنا عشية التقينا في السوق ) ابن أبي الدنيا .

## دعوة تتباهى بها الملائكة :

( عن أنس بن مالك : كان عبدالله ابن رواحة اذا لقى الرجل من أصحاب رسول الله قال :تعال نؤمن بربنا ساعة ـ أي نذكر الله ـ فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل . فجاء النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله : ألا ترى الى ابن رواحة يرغب عن ايمانك الى ايمان ساعة ؟! فقال النبي : يرحم الله ابن رواحة . انه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة ) رواه احمد الطبراني .

## واذا استنصحك فانصحه :

اذا كانت النصيحة بذلا .. واذا أحضرت الانفس الشح .. فانها لا شك صعبة على قائلها : فقد يمنع منها : خوف . أو مجاملة . أو حسد ! لكنها في نفس الوقت أصعب في سمع المنصوح لأنها : دليل على أنه : ناقص .. فهو محتاج .. فهو ضعيف .. تابع لغيره ؟!

فاذا تخطى المنصوح هذه الحواجز وطلب النصح فقد وجب عليك ذلك... وسيظل في دين الانسان ثلمة اذا هو أعرض ونأى بجانبه فلم يوجه غيره الى الخير .. قال جرير بن عبدالله رضي الله عنه : ( أتيت النبي صلى الله عليه وسلم . فقلت : ابايعك على الاسلام . فشرط علي : والنصح لكل مسلم فبايعته على هذا ).

## أهمية إخلاص النصيحة :

ما معنى أن يطالبك أخوك المسلم بالنصيحة ؟ انه يضعك في المكان الأعلى .. فيمنحك ثقته الكاملة .. واذن .. فقد رفعك الى مكان التوجيه والارشاد .. فلتكن عند حسن الظن به ناصحا أمينا ..

وقد يستغل انسان ثقة المنصوح به .. فيغشه .. فيما لا يكلفه الا مجرد ابداء الرأي . فينزل بارادته عن مكان الصدارة الى درك الخيانة .. لقد دفعه الحسد الى ارادة الشر بالغير .. وحمله البخل على منعه من حقه في الارشاد .. وزين له الكذب اخفاء الحقيقة .. بل وتزيين الباطل بما لا يحقق مصلحة المنصوح . وبذلك تفقد الجماعة أهم عناصر بقائها وهو الثقة .. التي يحاول الاسلام تثبيت قواعدها .. والتركيز عليها دائما ..

## كيف كانوا يتناصحون :

( قال ابن عباس : ما انتفعت بشيء بعد النبي صلى الله عليه وسلم انتفاعي بكلمات كتبهن الى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه . قال :

كتب الى : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فان المرء يفرح بادراك ما لم يكن ليفوته .. ويغتم بفوت ما لم يكن ليدركه ! فاذا آتاك الله من الدنيا شيئا فلا تكثرن به

فرحا . واذا منعك منها فلا تكثرن عليه حزنا . وليكن همك لما بعد الموت . والسلام )

### ● رسالتان بين الفارسي وأبي الدرداء :

كتب سلمان الفارسي الى أبى الدرداء رضى الله عنهما رسالة : أما بعد : فإنك لن تنال ما تريد . الا بترك ما تشتهي . ولن تنال ما تأمل . الا بالصبر على ما تكره . فليكن كلامك ذكرا . وصمتك فكرا . ونظرك عبرا . فان الدنيا تتقلب . وبهجتك تتغير . فلا تغتر بها . وليكن بيتك المسجد والسلام . فأجابه أبو الدرداء برسالة قال فيها : سلام عليك . أما بعد : فأني أوصيك بتقوى الله . وأن تأخذ من صحتك لسقمك . ومن شبابك لهرمك . ومن فراغك لشغلك . ومن حياتك لموتك . ومن جفائك لمودتك . واذكر حياة لاموت فيها . في إحدى المنزلتين : إما في الجنة . وإما في النار . فانك لا تدري لأيهما تصير ) النقول من بعض المجلات الاسلامية .

### ● واذا عطس فحمدالله فشمته :

والعطاس .. أحد المجالات التي تتأكد فيها الأخوة الاسلامية ..والتي ينبغي ان تذكر النعمة فيه وتشكر شكراً يتنادى به العاطس والذين معه ..وقد ( كان اليهود يتعاطسون عند النبي صلى الله عليه وسلم يرجون أن يقول لهم : يرحمكم الله . فيقول : يهديكم الله ويصلح بالكم ) سنن الترمذي . فلو قال لهم : يرحمكم الله .. لاستغلوها . وقالوا للمسلمين : لو كنا ضالين لما دعا لنا بالرحمة !

### ● وجه النعمة :

أ ـ بالعطاس تخرج من الدماغ أبخرة ضارة حبيسة ..
ب ـ يضطرب الجسم اضطرابا يفقد به توازنه :
جـ يخرج الجسم عن سننه الطبيعي .. وبخاصة : وضع الرأس .والوجه . والعنق ..

وحمدالله هنا : لخروج هذه الأبخرة الضارة .. ولعودة الجسم الى وضعه الطبيعي ..والذي كان من الممكن ان تظل هكذا مضطربة كما أحدثها العطاس !

ويتدخل السامع فيدعو لأخيه العاطس بالرحمة تجاوبا معه .. ومشاركة له أن تخطى اللحظة الحرجة بسلام ..

ولا يستحق العاطس هذا الدعاء الا اذا حمد الله تعالى .. فأحس بنعمة الواهب سبحانه .. وكان بالحمد على الخط الاسلامي .. الذي يستدعي تجاوب اخوة له على نفس الطريق .

### ● واذا مرض فعده :

زيارة المسلم بعامة أدب عال من أداب الجامعة المسلمة .. وزيارة المريض بالذات أدخل في الأهمية .. شريطة أن يتم ذلك كله .. لوجه الله تعالى : وعنه صلى الله عليه وسلم عن

ربه عز وجل : ( قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي . وقد حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي . وقد حقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي . وقد حقت محبتي للذين يتصادقون من أجلي ) رواه احمد الطبراني .

فاذا تم هذا النشاط الانساني في اطار الاسلام . بعيداً عن الأغراض .. فان لفاعله عند الله الحسنى بالاضافة الى الفوز بمحبته : ( من عاد مريضا . أو زار أخا له في الله . ناداه مناد : بأن طبت . وطاب ممشاك . وتبوأت من الجنة منزلا ) رواه أبو داود .

● وفي الأثر :

اذا دخلت على مريض فمره فليدع لك . فان دعاءه كدعاء الملائكة . وفي ذلك : رفع لروحه المعنوية باشعاره بان ذنوبه مغفورة .. وأن دعاءه لذلك صار مجابا ..

وبذلك تحقق الزيارة ثمرتها الرابطة بين قلوب المسلمين .. وتبطل في نفس الوقت ما يفعله بعض الزائرين من عادات قد تزعج المريض .. أو تحزنه .. فتؤجل فرص الشفاء .

ان المريض يعيش لحظة من لحظات ضعفه .. وواجبنا أن نقف الى جانبه .. حتى يعود الى الصف معافى .

● واذا مات فاتبعه :

وان في ذلك لعبرة لبعض الذين يثيرون الشغب والجنازة ماضية الى ربها .. ومشهد القبور يملأ ناظريها ويتساءلون :

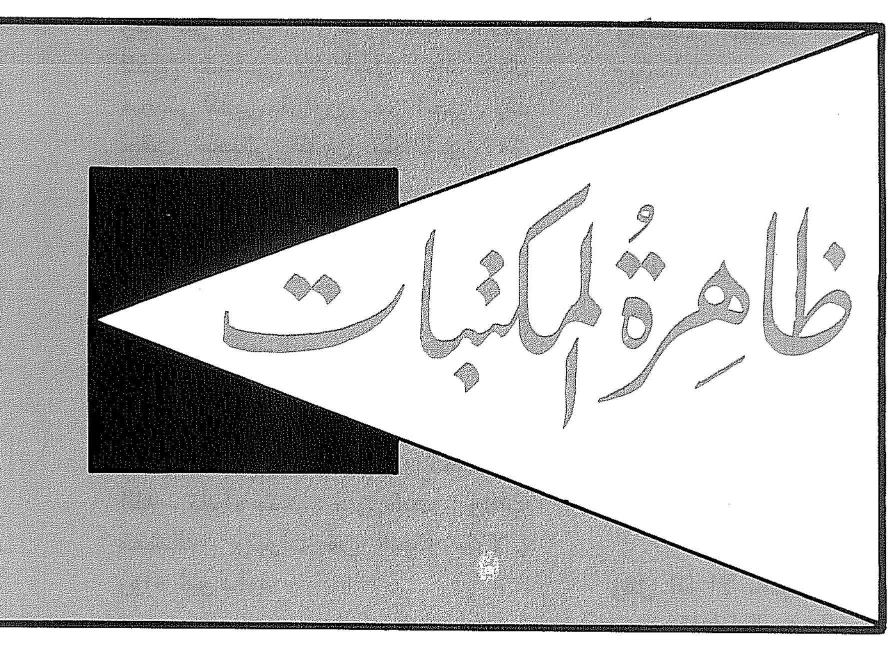
هل نمشي خلفها ؟ أم نمشي قدامها ؟ وتغيب العبر .. وتهرب الأسئلة التي تتراكض في الذهن لحظة الوداع تبصرة وذكرى : ماذا كان ؟ وكيف أصبح ؟ أين الذي كان ملء السمع .. وملء البصر ؟ ذهب الى حيث لا يعود الذاهبون ..وعلينا أن نستعد .. فنحن من ورائه على الطريق .. وتلك عبرة الساعة التي صاغها شاعرنا القائل :

أؤمل أن أحيا وفي كل ساعة
تمر بي الموتى تهز نعوشها
وهل أنا الا مثلهم .. غير أن لي
بقايا ليال في الزمان أعيشها ؟!

**وبعد** : ويبقى على المربين والدعاة حقوق أخرى ـ الى جانب كونهم مسلمين ـ يشير الحديث الى بعضها :

فلم يشأ صلى الله عليه وسلم أن يسوق المعاني جاهزة مفاجئة .. لكنه أجملها أولا في ست .. فتحول الذهن الراكد .. الى عقل راكض وراء هذه الحقوق .. وهو مشوق اليها .. فمقبل عليها .. فلما نشط المستمعون وتساءلوا :

ما هن يا رسول الله .. حانت الفرصة للتفصيل في أنسب أوقات التحصيل .. فلما وجدوها ستا مع أنها أكثر .. علموا وعلمنا أنه المربى العظيم : يختار من المعاني والقضايا : ما يناسب المكان والزمان .. وما يستعد لتلقيه الانسان .. وذلك يسر للمعلم .. وأدعى لقبول المتعلم .

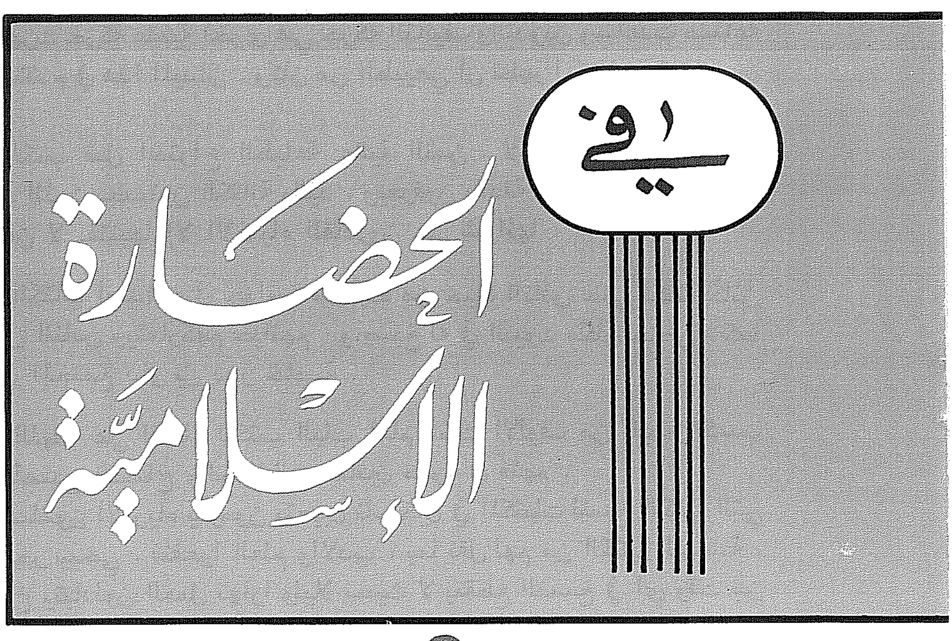



من أبرز الظواهر في حياة الامة الاسلامية ، ومن أبرز المعالم في التاريخ الاسلامي ظاهرة القراءة ، تلك الظاهرة التي كانت أثرا من آثار الوحي بالقرآن الكريم ، حيث جاء قوله تعالى :( **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم** ) العلق / ١ ـ ٥. فكلمة « **اقرأ** » تعني الحركة والحيوية والحضارة والعلم والمعرفة

والأمر في « **اقرأ** » **يفيد القصد والاستمرار فيه ، والقصدية والاستمرارية التي وجدت في كلمة** « **اقرأ** » ـ والتي كانت أول كلمة يسمعها الرسول من وحي السماء ـ لم تتوفر في كلمة « اعلم أو تعلم » لأن العلم يعني الوقوف عند المعلوم بخلاف كلمة « **اقرأ** » فهي أكثر دلالة على العلم والمعرفة ، وما يدفع إليهما ، وما يدور حولهما .. ولهذا تلا كلمة « **اقرأ** » انتشار ظاهرة القراءة وتعلم الخط والكتابة ..

ولقد كان ذلك وما أعقبه من توسع وانتشار ، ونمو وازدهار ، استجابة واضحة لهذا الوحي ، الذي ابتدأ بالامر بالقراءة ، ونوه بشرف القلم الى درجة القسم به وبما يسطره الكاتبون فقال تعالى :( **ن والقلم وما يسطرون** ) القلم / ١.

لقد صبغت ظاهرة الوحي حياة الأمة بصبغتها ، وتلتها ظاهرة القراءة ، ثم ظاهرة الكتاب ، حين تجسد ذلك الوحي المقروء المكتوب المطبق في حياة الأمة ، القائم في واقع الناس ، برزت علوم ، وأحكام ، وقواعد ، تلقاها الناس علما وتعلما وتعليما ..





للاستاذة / فتحية محمد توفيق

وكان إقبال المسلمين على التعليم بعد ظهور الاسلام أمرا طبيعيا ، لأن العلم والتعليم أمر طبيعي في كل عمران بشري

يقول عبدالرحمن بن خلدون:« إن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة ». ولذا فقد كان طبيعيا ان تعظم بواعث النهضة ، وأن تشتد الحاجة الى العلوم والاحكام والقواعد منذ بداية الدولة الاسلامية نظرا لاتساع أمرها ، وتعدد الاقطار والبقاع الداخلة في حوزتها ، وقد كان لكثير من هذه الامم والشعوب المقبلة على الاسلام والمندمجة في الدولة الاسلامية علو في الحضارة والصناعات والعمران . وكل هذه العوامل جعلت من الضرورات الحافزة للمسلمين في هذا العصر أن يعنوا بالعلم والتدوين عناية فائقة ، حتى يسدوا حاجات العصر والمجتمع فيما تعوزه إليه الضرورة من شتى نواحي المعرفة ، وألوان الثقافة في الفنون والآداب والصناعات .

وبمرور الوقت أقبل المسلمون على قراءة كل ما يقع تحت أيديهم من كتب عربية وغير عربية ، فقد ترجموا مئات الكتب في شتى الموضوعات والعلوم ، ونشطت حركة الترجمة نشاطا ملحوظا ، حيث كانت رافدا فكريا يصب في معين الحقل الاسلامي الذي كان تواقا إلى المعرفة ، متطلعا إليها ، ومن ثم لم يلبث الحقل العلمي الاسلامي إلا قليلا حتى أضاف إلى معلومات هذه الأمم وارتقى بعلومها وهذبها وحفظها في أتم صورة وأدقها .

وبهذا ظهرت حركة علمية أخرى هي حركة التأليف والتدوين وساعدت صناعة الورق على التقدم في هذا الميدان . وكان من الطبيعي أن تظهر المكتبات وتنتشر بين الناس ..

وكانت الكتب قبل اختراع الطباعة غالية الثمن ، لأنها مخطوطات يكتبها الناسخون ، الذين يحسنون الكتابة باليد ، ويعرفون بالدقة في النقل ، والأمانة في العمل ، فكان لا يقتنيها إلا الأغنياء القادرون على شرائها .

ثم أخذ الكتاب امتداده في جوانب متعددة من حياة الناس حتى لكأنه كائن حي ، يعايش الناس ويشاركهم حياتهم ، وأصبح له في البيوت مكان خاص ، كما أصبح له في المجتمع دار بل دور خاصة .

وفتحت اللهفة على اقتناء الكتب الباب أمام مئات الألوف من البشر لكسب عيشهم ، فأصبح النساخ والخطاطون فنانين مهرة في فنهم .

وكان المسلمون الأثرياء يقومون بتعيين ناسخين في المكتبات لنسخ الكتب التي يريدونها بأجر سخي ، فنفعوا العلم والأدب ، بما نقل لهم من الكتب النفيسة ، وكان النساخ يتبادلون العمل نهارا وليلا بحيث لا ينقطع النسخ في أي وقت من أوقات النهار أو الليل .

وانتشر منتجو الورق بطواحينهم في سمرقند وبغداد ودمشق وطرابلس ، وفي فلسطين والاندلس ، وتبعهم المجلدون ، يعدون غلافات رائعة للكتب .

وكم رزم من الاوراق ،وليترات من الحبر ، استهلكتها الأيدي الدائبة على الكتابة في كل عام .

وكم من جلود امدتهم بها صغار الغزلان والماعز قد استنفدت في هذا الغرض .

وكانت المكتبات وحوانيت الوراقين تتخذ للتجارة في الكتب وبيعها وشرائها كما تتخذ للقراءة والاطلاع والمناقشات العلمية والأدبية والدينية بين العلماء والأدباء والفقهاء الذين يجتمعون فيها كل يوم للبحث والدراسة والجدل والنقاش .

وقد تعددت تلك المكتبات التجارية في عواصم البلاد الاسلامية وكثرت كثرة كبيرة ،دلت على إقبال المسلمين على العلوم والآداب والبحوث الدينية ونشر الثقافة والتربية والتعليم .

وكان بائعو الكتب في معظم الأحيان مثقفين ثقافه علمية يشاركون العلماء والادباء والفقهاء في بحثهم واطلاعهم وتأليفهم ونقاشهم .

وكان الجاحظ في مقدمة الذين هاموا بالكتب حبا ، يكترى حوانيت الوراقين ، ويبيت فيها للنظر والبحث والقراءة والاطلاع على ما فيها من كتب متنوعة ، وقد مات من أثر سقوط الكتب على رأسه وهو نائم ..

وفي حوانيت الوراقين استقبل ابن النديم زبائنه ، وتعرف بهم وكان ابن النديم تاجرا للكتب ، وكان هو نفسه عالما فذا له شهرته ، وهو مؤلف « الفهرست » الذي يحوي أسماء جميع الكتب والترجمات التي ظهرت باللغة العربية ، حتى ذلك الحين ، وقد ذيل اسم كل كتاب بشيء عن مؤلفه ، وكان أغلب ما كتبه عن المؤلفين وليد خبرته ومعرفته الشخصية بهم كتاجر للكتب .

وكان ابن النديم كأغلبية زملائه من تجار الكتب ، قد تلقى تربية علمية واسعة ، فسمع محاضرات الاعلام من فلاسفة عصره ، وزار منازلهم وتعرف بالأوساط العلمية التي انتشرت على شكل جماعات ومدارس في كل انحاء المملكة الاسلامية في القرن العاشر ، وكان ابن النديم صديقا مقربا لعلي بن عيسى ـ أشهر أطباء العيون في العصور الوسطى ـ ولغيره من أئمة العلماء الذين كان يقضي معهم السهرات الطوال في المناقشات العلمية المثمرة ، ولم يكن هذا الرجل المثقف تلك الثقافة العالية الا نموذجا للكثيرين من زملائه ناشري العلم والمعرفة في تلك العصور .

وان ابن الطقطقي الأديب الشاعر المؤرخ يروي قصة طريفة يقول فيها :

أرسل أحد الخلفاء في طلب بعض العلماء ليسامره ، فلما جاء الخادم إليه وجده جالسا وحواليه بعض الكتب ، فلما ابلغ رغبة الخليفة قال للخادم : قل لأمير إن عندي بعض الحكماء أحادثهم ، فاذا فرغت منهم حضرت ، فعاد الخادم إلى الخليفة يعلمه بما كان من أمر الحكيم العالم . فقال الخليفة : ويحك ، من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده ؟ قال : والله ما رأيت أحدا عنده يا أمير المؤمنين ..

قال : أحضره الساعة كيف كان ..

فلما حضر العالم ، قال له الخليفة : من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك ؟

قال : ياأمير المؤمنين :

لنا جلساء ما نمل حديثهم ... أمينون مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... ورأيا وتأديبا وأمرا مسددا
بلا علة تخشى ولا خوف ريبة ... ولا نتقي منهم بنانا ولا يدا
فان قلت هم أحياء لست بكاذب ... وان قلت هم موتى فلست مفندا

ويرى العلماء الباحثون : أن هذا الحكيم العالم لم يكن الا الشاعر الكاتب كلثوم بن عمرو العتّابي ، فلقد كان هو صاحب الأبيات ، كما كان مغرما بالكتب غراما شديدا ، وله مكتبة غنية بمحتوياتها من نفائس الكتب .

ومحمد بن يسير الرياشي البصري الذي آثر البصرة دار اقامة وآثر الكتب أصدقاء ومؤنسين ، يقول في الكتب وأنسهم :

هم مؤنسون والاف غنيت بهم ... فليس لي في أنيس غيرهم أرب
لله من جلساء لا جليسهم ... ولا عشيرهم للسوء مرتقب
لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم ... ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
أبقوا لنا حكما تبقى منافعها ... أخرى الليالي على الأيام وانشعبوا

| | |
|---|---|
| فـأيمـا أدب منهم مـددت يـدي | اليـه فهـو قـريب من يـدي كثب |
| إن شئت من محكم الآثار يرفعها | إلى النبـي ثقـات خيـرة نجـب |
| أو شئت من عـرب علمـا بـأولهم | في الجـاهليـة أنبتني بـه العـرب |
| أو شئت من سير الاملاك من عجم | تنبى وتخبـر كيف الـرأي والادب |
| حتى كأني قد شـاهدت عصـرهم | وقد مضت دونهم من دهرهم حقب |

ومن الطريف في هذا المقام : ان الشاعر الرياشي ، وقد كان محبا للكتب شغوفا بالتعلق بها ، قد رزىء بجار يقتني شاة ، كثيرة العبث ، تدخل إلى بيته بغير اذن ، وتدلف الى مكتبته بغير سابق انذار ، فتعيث في كتبه فسادا ، وتوقع بأوراقه ضرا وتمزيقا ، الامر الذي جعل هذا الشاعر الظريف يهجو هذه الشاة وصاحبها :

| | |
|---|---|
| قـل لبغـاة الآداب مـا صنعـت | منـهـا إليكـم فـلا تضيـعـوهـا |
| وضمنـوها صحف الـدفاتـر بـالـ | حبـر وحسن الخطـوط أوعـوهـا |
| فـان عجـزتـم ولـم يكـن علـف | تسيـغـه عنـدكـم فبيـعـوهـا |

ويقول الجاحظ في تقدير ما في الكتاب من العلوم والآداب والمعارف والآراء والتجارب والافكار :« لا أعلم ما جاء في حداثة سنه ، ولا قرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، وامكان وجوده ، يجمع بين السير العجيبة والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، والتجارب الحكيمة ، الاخبار عن القرون الماضية ، والبلاد النازحة ، ما يجمعه كتاب ، ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غبا ، وإن شئت لزمك لزوم الظل ، وكان منك كما كان بعضك ».

ويذكر الجاحظ :« أن الكتاب صامت ما أسكته ، وبليغ ما استنطقته ، مسامر لا يبتديك في حال شغلك ، ويدعوك في أوقات نشاطك ، ولا يحوجك الى التجمل له والتذمم منه ، وهو جليس لا يطريك ،وصديق لا يغريك ورفيق لا يملك ، ولا يخدعك بالنفاق ، ولا يحتال لك بالكذب ».

وكان المسلمون يقدرون الكتب كل التقدير ، ويعجبون بها كل الاعجاب ، فقد اعتكف محمد بن عبدالملك الزيات فترة من الزمن ، ونوى الجاحظ أن يزوره في بيته ، وفكر في شيء يهديه إليه فلم يرقه شيء كما راقه كتاب سيبويه ، وتسلم ابن الزيات الهدية قائلا للجاحظ « والله ما أهديت لي شيئا أحب إلي منه ».

وكان علماء المسلمين يفضلون الجلوس في مكتباتهم الغنية بالكتب للقراءة والاطلاع على أن يتولوا اعظم المناصب والمراكز ، وكانوا يرسلون من يجوبون البلاد لشراء الكتب العلمية والأدبية من البلاد البعيدة ليزودوا مكتباتهم بالكتب النادرة ، والنفيسة والجديدة .

وقد سمع الحكم صاحب الاندلس بكتاب الاغاني ، فأرسل الى مصنفه ابي الفرج الاصفهانى ألف دينار من الذهب ، فبعث اليه نسخة منه .

تقول الكاتبة الالمانية الدكتورة سيجريدهونكه : « ورب إنسان يقول إن هذا ليس بالشيء العجيب الذي يسترعي الانتباه ، فلقد وجدت في كل عصر من العصور تلك الحفنة من العلماء التي تهتم بالكتب هذا الاهتمام وإن لم يكن بهذا القدر مثل العرب ، ولكنا نرد على هؤلاء بأن عشق الكتب لم يكن وقفا على حفنة من العلماء فقط ، بل كان هواية العرب على اختلاف طبقاتهم ، فكل متعلم من أكبر كبراء الدولة إلى بائع الفحم ، ومن قاضي المدينة إلى مؤذن المسجد ، هو زبون دائم عند بائع الكتب ، إن متوسط ما كانت تحتويه مكتبة خاصة لعربي في القرن العاشر ، كان أكثر مما تحويه كل مكتبات الغرب مجتمعة ، ولم يكن المرء ليحسب من الأثرياء ، ما لم يكن يملك مجموعة من الكتب النفيسة النادرة ».

وقد روى المقريزي عن الحضرمي أحد علماء الاندلس حادثا طريفا أغضب الحضرمي ، وقع له في سوق باعة الكتب ، قال : « اقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء ، الى ان وقع ، وهو بخط جيد ، ففرحت به اشد الفرح ، وجعلت أزيد في ثمنه ، فيرجع إلى المنادي بالزيادة علي ، إلى أن بلغ فوق حده ، فقلت له : يا هذا ، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لايساوي ؟

قال : فأراني شخصا عليه لباس رياسة ، فدنوت منه وقلت له أعزك الله مولانا الفقيه ، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك ، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده ..

فقال لي :

ـ لاأدري مافيه ، ولكن أقمت خزانة كتب ، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين اعيان البلد ، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب ، فلما رأيته حسن الخط ، جيد التجليد ، استحسنته ، ولم أبال بما أزيد فيه ».

ومما يروى انه كان لبعض الأدباء نسخة من كتاب « الجمهرة » لابن دريد بن عتاهية ، وكانت النسخة بخط ابن دريد نفسه ، وكان هذا الأديب قد أعطي في هذه النسخة ثلاثمائة مثقال فأبى فاشتدت به الحاجة فباعها بأربعين مثقالا ، وكتب عليها هذه الأبيات :

| | |
|---|---|
| أنست بها عشرين عاما وبعتها | وقد طال وجدي بعدها وحنيني |
| وما كان ظني أنني سأبيعها | ولو خلدتني في السجون ديوني |
| ولكن لعجز وافتقار وصبية | صغار عليهم تستهل شئوني |
| فقلت ولم أملك سوابق عبرتي | مقالة مكوي الفؤاد حزين |
| وقد تخرج الحاجات يا أم مالك | كرائم من رب بهن ضنين |

ويحدثنا ابن النديم أن المأمون كانت بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد اشترط المأمون أن ينص في وثيقة الصلح بينهما : أن يضع ملك الروم ما في خزائنه من الكتب تحت يدي المترجمين الذين يرسلهم المأمون ليقوموا بترجمتها ففعل .

ولعل التاريخ لم يسجل أعظم من هذا الشرط ثمنا للصلح يحصل عليه ملك منتصر ليقدمه لأمته .

وتتواتر الروايات والاخبار في ذكر ما كان للمكتبات الاسلامية من نظام وشأن في خدمة طلاب العلم والمعرفة ، وكان ذلك من آثار التنافس في هذا الميدان بحيث وجد في كل بيت مكتبة تتناسب وقدرة صاحبه ، وفي كل مجتمع اكثر من مكتبة ، وفي كل مدينة ، وفي كل عصر ، وسجل التاريخ تلك الاسماء اللامعة للمكتبات مثل مكتبة عضد الدولة في شيراز ، ومكتبة السامانيين في بخارى ، والمكتبة النظامية والمستنصرية في بغداد ، ودار الحكمة في القاهرة ، ومكتبة الحكم في الاندلس ، وغير ذلك كثير من مكتبات الاشخاص والقصور .

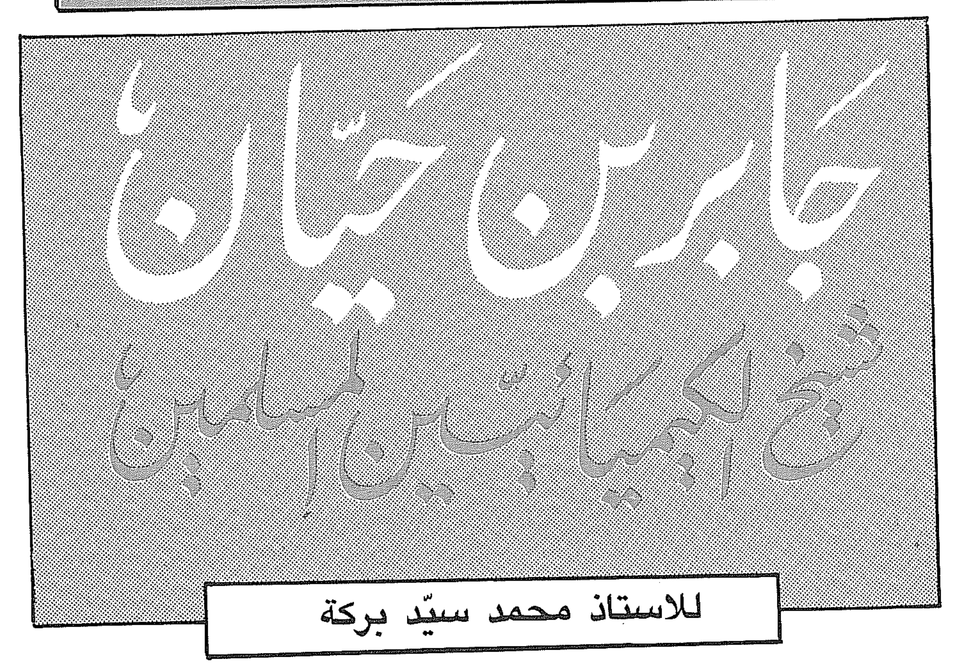
وكان المسلمون يعنون عناية كبيرة بدور الكتب العامة ، وكان في تلك الدور حجر للاطلاع ، وحجر للنسخ ، وقاعات للمحاضرات ، وحلقات للدراسة وحجرات للموسيقى لتجديد نشاط القراءة ، وأثثت تلك الحجرات بأثاث فخم مريح ، وفرشت أرضها بالسجاجيد والبسط والحصر ، ووضعت على الابواب والنوافذ ستائر جميلة ، وكانت الكتب في المكتبات الاسلامية توزع في الحجرات على حسب موضوعاتها ..

وقد قامت المكتبات الاسلامية برسالتها عبر التاريخ سواء في تخريج العلماء وتربية الافراد ، او تغيير الاتجاهات الفكرية والثقافيةوالحضارية وتجديد مسارها ، فما من علم من اعلام الفكر والمعرفة الا وقد تتلمذ حتى تخرج على مكتبة او اكثر من هذه المكتبات .

ولا شك ان الترجمة لعبت دورا كبيرا في هذه النهضة العلمية العارمة التي عاشتها العصور الاسلامية الزاهرة ، وقد كانت النهضة اول الامر قاصرة على الدراسات الدينية واللغوية ثم كان المترجمون حلقة اتصال بين المسلمين وهذه العلوم المختلفة مماثرى المكتبة العربية ، ولا شك أن تفاعلا حضاريا في مختلف العلوم والفنون قد أخذ دوره في محيط الحضارة الاسلامية من واقع تأثرات التمازج والمخالطة ، ولا بأس من أن تأخذ حضارة من حضارة أخرى ما دامت الحضارة الآخذة ليست متطفلة ولا مغيرة ، وانما هي ذات أصول ذاتية ، وشخصية مستقلة ،من واقع مبادئها وعقائدها . وقد اجمع المؤرخون على ان مكتبات الاندلس الاسلامية وما كان بها من مدارس وحلقات علمية كانت منارات اضاءت لأوروبا طريق النهضة الحديثة ، وما عرف المسلمون كتمان العلم ولا حجبه عن طالبه وما بخلوا به على احد ، بل بذلوه للبشرية جميعا لان الاسلام يسعى لخير الانسانية كلها ..

وقد كانت بعوث الامم تفد على العواصم الاسلامية من كل ناحية فيأخذون ما شاءوا من أفانين العلوم وألوان المعرفة ، ثم يعودون الى بلادهم حاملين إليها مشاعل هذه العلوم التي نفخت فيهم روح الحياة .

# من عباقرة المسلمين




للاستاذ محمد سيّد بركة

علم الكيمياء من العلوم ذات الجذور العميقة الضاربة في تاريخ البشرية فهو من اقدم العلوم وكان في القديم يسمى السيمياء ولم يكن علما بالمعنى المعروف لنا الآن حيث كان هم المشتغلين به تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب وكان ذلك يدخل في دائرة السحر والشعوذة .

وعلم الكيمياء هو أحد فروع العلوم الطبيعية وهذا العلم يتناول دراسة كل ما يتعلق بتركيب جميع أشكال المادة والتغير الذي يطرأ عليها وتأثير المواد في بعضها البعض وكل ما يقع عليه بصرنا هو مواد إما نواتج صناعات كيميائية واما انها قد عوملت بمواد كيميائية ويشمل ذلك الغذاء الذي نتناوله والعقاقيرالتي نتداوى بها والملابس والأدوات التي نستعملها .

وفي عصرنا الحاضر فاننا ننعم بما قدمه ويقدمه علم الكيمياء فنحن ننتج المخصبات الزراعية على نطاق واسع من الهواء الجوي ومن الخامات المتوفرة في الأرض والصناعات الغذائية مثل هدرجة الزيوت وحفظ الاطعمة وصناعة المعلبات وبفضل الله استخدم علم الكيمياء في تحويل منتجات البترول الى

منسوجات حلت محل المنسوجات المصنوعة من الأصواف الطبيعية والحرير الطبيعي والصابون والمنظفات الصناعية وصناعة المعادن مثل النحاس والحديد والالمونيوم وغيرها كل هذه الصناعات تقوم على أسس كيميائية .

وفي مجال الطب نجد أثر علم الكيمياء واضحا في العدد الهائل والمتنوع من العقاقير واستخدمت العناصر المشعة في علاج بعض الامـراض المستعصية .

وصناعة اللدائن والتي استحدثت على يد العالم الالماني ادولف سبيتلر اتسع نطاق استخدامها وأصبح الاستغناء عنها غير ممكن .

ولماذا نذهب بعيدا وجسمنا يعتبر معملا كيميائيا معقدا يتوقف استمرار الحياة فيه على انتظام سير التفاعلات الكيميائية التي تتم في عمليات الهضم والامتصاص والتنفس وما يسمى بالآيض وغيرها من العمليات الحيوية الهامة .

ولقد حقق هذا العلم في عصرنا الراهن تقدما عظيما وهذا التقدم الباهر لم يكن وليد صدفة أو محض خاطر وانما جاء نتيجة جهود مخلصة ودائبة من خلال محاولات الانسان للتعرف على اسرار هذا الكون الذي يقطنه ولقد أسهم المسلمون بنصيب كبير في مجال تقدم علم الكيمياء وبفضل جهود المسلمين ونزعتهم العلمية وميلهم الى البحث والتدقيق والتجربة اصبحت الكيمياء علما صحيحا .

يقول المستشرق « درابر » إن العرب انشأوا في العلوم العلمية علم الكيمياء وكشفوا بعض اجزائها المهمة كحامض الكبريتيك وحامض النتريك والكحول وهم الذين استخدموا هذا العلم في المعالجات الطبية فكانوا أول من نشروا تركيب الادوية والمستحضرات المعدنية ولا تزال بعض الاسماء الكيمائية العربية لبعض المواد تستخدم في مختلف اللغات الافرنجية مثل الانبيق والكحول والزرنيخ والقصدير والخميرة ....

وتقول المستشرقة الالمانية ( زيفريد هونكه ) في كتابها القيم « شمس العرب تسطع على الغرب » كان العرب أول من أوجد طرق المراقبة المنظمة في ضوء الشروط التي كان بإمكانهم في كل حين أن يعيدوها وينوعوها ويراقبوها فخلقوا بذلك علم الكيمياء التجريبي في مفهومه العلمي واوصلوه قمة رفيعة اصبحت بموجبها اكتشافات علمي الكيمياء العضوية وغير العضوية الحديثين من الضرورات الماسة لارجاع الكيمياء التجريبية إلى المستوى الذي أوصلها اليه العرب ...

ولقد اضاف العرب الى الكيمياء اضافات هامة فهم الذين كشفوا القلويات والنشادر ونترات الفضة وحامض الطرطير وعرفوا كذلك عمليات التقطير والترشيح والتصعيد والتذويب والتبلور والتسـامي والتكليس

وكشفوا بعض الحوامض وكانوا أول من استخدم حمض النتيريك وحامض الكبريتيك والماء الملكي والصودا الكاوية وكربونات البوتاسيوم وكربونات الصديوم وقسموا المواد الكيميائية المعروفة في زمانهم الى اربعة اقسام اساسية : المواد المعدنية والمواد النباتية والمواد الحيوانية والمواد المشتقة ويعتبر الامير الاموى خالدبن يزيد حفيد معاوية بن ابى سفيان الكيميائي المسلم الاول وظهر بعده افذاذ كثيرون امثال الرازى وابن سينا وابن رشد والتيفاشى وغيرهم من الذين حملوا مشعل الحضارة ردحا طويلا من الزمن أنار وا خلا له طريق البشرية وقادوها الى شاطىء التقدم ونحن الآن بصدد الحديث عن عبقري من عباقرة المسلمين رفيع الشأن وذى با ع طويل في مجال علم الكيمياء إنه العبقري المسلم « جابر بن حيان » يقول عنه ابن النديم في كتابه الفهرست « هو ابو عبدالله جابر بن حيان بن عبدالله الكوفي المعروف بالصوفي ولد بخراسان سنة مائة وعشرين للهجرة ودرس الكيمياء على يد أستاذه جعفر الصادق دراسة وافية حيث كان شغوفا بها وَعلَما فيها بالمعنى الصحيح فقد وقف على ما أنتجه السابقون له وعلم كل ما يتصل بهذا العلم في زمنه ... »

والأستاذ قدرى طوقان في كتابه « العلوم عند العرب » يقول « ليست معرفة جابر بن حيان الشاملة لعلم الكيمياء هي التي جعلته علما فيها بل ان تغييره الاوضاع وجعل الكيمياء تقوم على التجربة والملاحظة والاستنتاج كل هذه العوامل جعلته خالدا في الخالدين المقدمين في تاريخ تقدم علم الكيمياء ... »

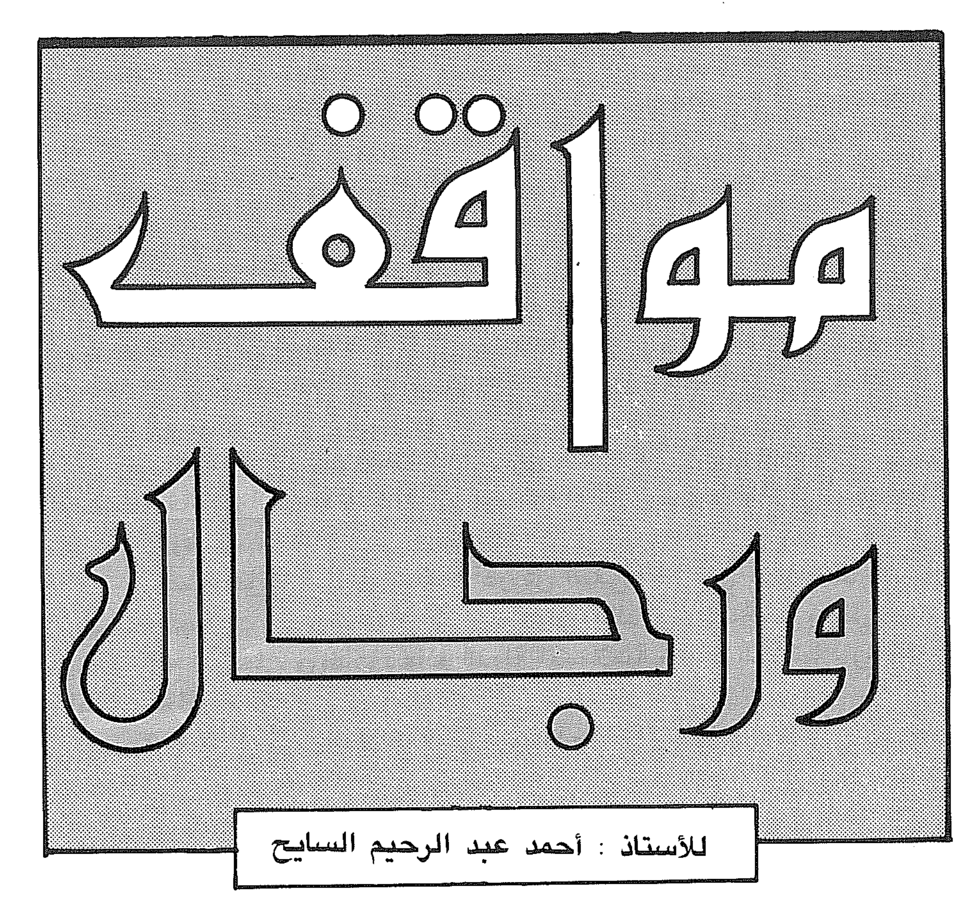
فحص جابر ما خلفه الأقدمون فخالف ارسطو في نظريته عن تكوين الفلزات ورأى أنها لا تساعد على تفسير بعض التجارب فعدل عن النظرية وجعلها اكثر ملاءمة للحقائق المعروفة إذ ذاك فظلت نظريته عن تكوين الفلزات معمولا بها حتى القرن الثامن عشر الميلادي وصور عملية الاتحاد الكيميائي وأدخل ما اسماه علم الموازين واكتشف الماء الملكي وزيت الزاج ( حامض الكبريتيك ) وماء العقد ( حامض النيتريك ) وحجر جهنم ( نيترات الفضة ) واستحضر كربونات الكالسيوم وكربونات الصوديوم واستعمل ثاني اكسيد المنجنيز في صناعة الزجاج ودرس خصائص الزئبق ومركباته واستحضرها وقد استعمل بعضها في تحضير الاكسجين وعرف كثيرا من العمليات الكيميائية كالتبخير والترشيح والتقطير والتكليس والاذابة والتبلور والتصعيد وكان أول من لاحظ أن محلول نترات الفضة يكون راسبا ابيض مع ملح الطعام وان النحاس يكسب اللهب لونا أخضر وبحث في السموم ودفع مضارها وقد قسم السموم إلى ثلاثة أنواع :

أ ـ سموم حيوانية مثل مرارة الأفاعي ومرارة النمور ولسان السلحفاة

والعقارب .
ب - سموم نباتية مثل الافيون والشليم والحنظل .
ج - سموم حجرية مثل الزئبق والزرنيخ والزاج وبرادة الحديد وبرادة الذهب .
لقد ثبّت جابر بن حيان دعائم علم الكمياء ولقد قال احد اعداء العرب على حد قول المستشرقة زيفريد هونكه « لقد كان - جابر بن حيان - عظيما بالرغم من انه كان عربيا » وبين جابر اهمية اجراء التجارب وعدم التسرع في الاستنتاج وفي ذلك يقول « واول واجب ان تعمل وتجرى التجارب لأن من لا يعمل ويجرى التجارب لا يصل إلى ادنى مراتب الاتقان فعليك يا بني بالتجربة لتصل الى المعرفة . » وكان يقول « ما افتخر العلماء بكثرة العقاقير لكن بجودة التدبير فعليك بالرفق والتأني وترك العجلة واقتف أثر الطبيعة فما تريده من كل شيء طبيعي ... »
ولقد خلف لنا جابر بن حيان تراثا علميا ضخما منه ( انظر الفهرست ص ٥٠٠ - ٥٠٣ )

١ - كتاب نهاية الاتقان .
٢ - رسالة الافران
٣ - كتاب العمالقة الصغير
٤ - كتاب البحر الزاخر
٥ - كتاب الخمائر الكبير الصغيرة
٦ - كتاب الايضاح
٧ - كتاب الخمائر
٨ - كتاب الصبغ الاحمر الكبير
٩ - كتاب الزيبق
١٠ - كتاب الخواص
١١ - كتاب السموم ودفع مضارها
١٢ - كتاب البحث
١٣ - رسالة التكليس
١٤ - كتاب الحيوان
١٥ - كتاب العنصر
١٦ - كتاب البول
١٧ - كتاب الموازين
١٨ - كتاب كيمان المعادن
١٩ - كتاب الطهارة .

وقد ترجمت بعض كتبه الى اللاتينية وكانت هذه الكتب منارا اهتدى بها العلماء الذين أتوا بعده من علماء الغرب وعلماء الشرق من الذين مهدوا للانقلاب العلمي الذي أرسى قواعد الحضارة العالمية الحديثة حيث اطلع عليها جاليلو ، وفرنسيس بيكون ، ونيوتن وكان لها ابلغ الأثر في الكشوف العلمية التي ظهرت في القرن السابع عشر والثامن عشر .
هذا بعض ما قام به العبقري المسلم« جابر بن حيان » في مجال خدمة البشرية وتقدم العلوم وخاصة علم الكيمياء وستظل بصماته على هذا العلم قائمة لأنه يعتبر بحق مؤسس علم الكيمياء الحديث وقد توفي عن عمر يناهز التسعين بعد ان كرس كل حياته للعلم ولخدمة البشرية .




يفقد المجتمع الانساني من حين لآخر وحدة الغاية التي يعمل من اجلها ، فتضطرب أموره ، وتسود الفوضى شتى نواحيه وأطرافه ، ويدب الخلل إلى القواعد التي يقوم عليها بنيانه ، فلا ترى إلا طوائف متحاربة متطاحنة ، يبطش بعضها ببعض ، ويبغى بعضها على البعض الآخر لا تعاون بينها ولا تفاهم ، ولا سلام ، ولا غاية معلومة ، تدفعهم إلى الحرب .

ولكنه الاضطراب والاختلال . فلا يعود هناك قانون او دين او عرف او تقاليد ، بل اضطراب عام في كل مكان ، وفوضى متماسكة الحلقات ، يشقى الناس في ظلها ، لا فرق بين فرد وفرد ، وانما محنة عامة ، وبلاء شامل .

وفي مثل هذه الاحوال ، يصبح العالم في حاجة إلى من يعيده إلى طريق الرشاد ، ويهديه إلى الصراط المستقيم ، ويخلصه من براثن الفوضى والانحلال ، ويحرره من براثن العبودية ، بل من الاوهام والخرافات التي تستبد بالبشر أكثر من استبداد الانسان بأخيه الانسان .

وتلك هي مهمة الرسل ومن تبعهم من الدعاة المخلصين : ولكن ماذا يفعل

الرسل والدعاة في كل زمن اذا وقف في طريقهم اهل الباطل يمنعونهم من القيام بمهمتهم في دعوة الناس الى الحق وتحريرهم من الاوهام والخرافات والعبودية والظلم عندئذ يصبح ولا سبيل لمثل هذا الاصلاح الشامل إلا عن طريق الحرب يقوم بها الدعاة المصلحون ، ليهزوا كتائب الفساد ، ويمحقوا جيوش الباطل والفوضى والاضطراب . وهذا ما قام به المسلمون ، فأسعدوا من استظل بلوائهم ، وأناروا الطريق للانسانية ، فعادوا بها إلى حظيرة النظام والحضارة ..[1]

ولقد أقبل المسلمون على هذا الميدان الشريف ، ميدان الجهاد في سبيل الله عز وجل إقبالا عظيما ، فكان كل منهم يعتبر شرفا ، واي شرف ان يشترك في قتال في سبيل الاسلام ، وكانوا يحرصون على الموت في ساحة الجهاد أكثر من حرصهم على الحياة ..

وفي ميدان الجهاد والقتال في سبيل الله ، برز رجال تفوقوا حتى على انفسهم ، فأظهروا شجاعة اصيلة ، وشهامة نبيلة ، وبطولة فذة ، وفدائية نادرة ، تعز على الوصف ، وتسمو على النظير ..

وبأعمال هؤلاء الابطال سقطت عروش البغي والطغيان .. واندكت صروح الظلم ، والجبروت .. وانزاحت العوائق من طريق الدعوة الاسلامية ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ووطدت دعائم الدولة الاسلامية وقويت شوكتها ، وارتفعت رايتها خفاقة في العالمين ..

وقد صار هؤلاء الابطال بأعمالهم ـ عزا وفخرا وقدوة ، في الماضي والحاضر والمستقبل .. مما يحق للقلم ان يكشف عن الاصالة التي يتمتع بها جنودها الابطال ، لتظل العلامات مضيئة في الطريق ..

فقد عقد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لعمرو بن العاص ، اللواء على الجيش ، الذي سيره لفتح فلسطين ، فتوالت انتصاراته على الروم ، في جميع المواقع التي خاض غمارها ..

وكان لما اظهره عمرو من ضروب البسالة والكفاءة القيادية في يوم اليرموك ، وفي أجنادين ، وفي بيت المقدس ، وغيرها .. اثر كبير فيما أحرزه المسلمون من نصر مُشَرِّف ، على جيوش الروم ، وتطهير ارض الشام ، والاماكن المقدسة ، من ارجاسهم وآثامهم ..

لذلك حين استأذن عمرو بن العاص الخليفة عمر في فتح مصر للقضاء على الرومان هناك كما قضى عليهم في الشام ، لم يسعه إلا أن يوافق ، بعد أخذ رأي الصحابة وموافقتهم على ذلك ..[2]

ولئن كان الخليفة عمر بن الخطاب قد تردد في بادىء الأمر ـ كما تذكر بعض روايات التاريخ ـ فإن تردده لم يكن لعدم كفاءة القائد ، أو الجنود ، أو عدم أهمية

( ١ ) الاستاذ احمد حسين « الحرب على هدى الكتاب والسنة » ص ٣٤ ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ، سنة ١٩٧٤م .
( ٢ ) وزارة الاوقاف لجنة من العلماء « فدائيون من فجر الاسلام » ص ١٧٥ ، ط الاوقاف ١٣٩٢هـ .

طرد الرومان الذين يشكلون عقبة كبيرة في وجه الاسلام في مصر .. وانما كان ذلك لما يحيط بفتح مصر من أخطار وصعاب .. كان يخشاها عمر على جيش المسلمين ..

لكن عمرو بن العاص كان يعرف عن مصر الكثير ، وكان واثقا من النصر والفتح ، واستطاع بحسن سياسته وكياسته ان يحصل على الإذن بفتح مصر .. وما أن أذن الخليفة حتى تحرك إليها بجيش قوامه نحوا من أربعة آلاف مقاتل[٣] . وكان اول صدام للمسلمين مع الرومان في مصر عند مدينة « الفرما » فانتصر عليهم المسلمون .. وتوالت انتصاراتهم بعد ذلك في فتح البلاد ، حتى جاءوا إلى « حصن بابليون » فاستعصى عليهم فتحه ، فحاصره عمرو حصارا شديدا رجاء التسليم ؛ ولكن طال أمد الحصار دون نتيجة .

كان الحصن منيعا جدا ، وكان المتمنعون به عندهم المؤن التي تكفيهم لسنوات ، وكان الحصن عبارة عن مدينة محصنة موجودة بالقرب من موقع القاهرة الآن .. جنوب مصر القديمة وكان في الحصن مركز الحكومية وتجارة الغلال ، وكانت دار الصنعة القائمة في جزيرة الروضة ، وثيقة الصلة بالحصن المذكور ، ولا تزال بقايا هذا الحصن باقية إلى اليوم في قصر الشمع ..[٤]

وفكر عمرو بن العاص ماذا يصنع ؟ وهداه تفكيره بعد مشاورة وأخذ ورد إلى أن يرسل للخليفة عمر بن الخطاب ، يطلب منه مددا من الجنود وأمده عمر بأربعة آلاف رجل ، عليهم أربعة قواد .. هم : الزبير بن العوام ، وعبادة بن الصامت ، والمقداد بن الاسود ، ومسلمة بن مخلد ، وجميعهم من الرعيل الاول ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين تعلموا في مدرسة الرسول الصادق الأمين ..

وأرسل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص كتابا يقول فيه « لقد أمددتك بأربعة آلاف ، عليهم أربعة من مشاهير الصحابة الواحد منهم بألف رجل » ..[٥]

وكان عمر رضي الله عنه ، نعم الخبير بالرجال ، فعلى يد واحد من هؤلاء الرجال الأربعة تم فتح الحصن العنيد « حصن بابليون » ..

وذلكم الرجل هو : **الزبير بن العوام** .. فقد غامر بعملية فدائية غاية في النبل ، والشجاعة ، وقوة الايمان .. فلقد بلغ الصراع بين المسلمين والمتحصنين مرحلة دقيقة ، واصبح الامر بالنسبة للمسلمين إما ظفر ، وفتح ، وانتصار ، واما هزيمة واندحار ، والموت دون ذلك ..

هنا .. نجد الزبير بن العوام القائد الاسلامي ، يتقدم في ثبات واقدام ، وهو يقول : « إني أهب نفسي لله تعالى ، وأرجو ان يفتح الله بذلك على المسلمين »[٦]

---

( ٣ ) حسن ابراهيم ، زعماء الاسلام ، ص ١٤١ ط القاهرة .
( ٤ ) وزارة الاوقاف ، فدائيون من فجر الاسلام ، ص ١٧٦ ، ط الاوقاف .
( ٥ ) الاستاذ حسن ابراهيم حسن ، زعماء الاسلام ، ص ١٤١ ط القاهرة .
( ٦ ) المصدر السابق ص ١٤٢ .

هذه العاقبة تغرى اهل الايمان بالثقة ، وتحرض قلوبهم على الفداء والوفاء لربهم ودينهم ، وحب الفناء في سبيل الحق ..

ويقوم القائد الاسلامي الزبير بن العوام ، بوضع سلم الى جانب الحصن ، ويصعد عليه ، ويأمر المسلمين إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا ..

وعلى حين غفلة من هؤلاء المتحصنين ، صعد البطل ، ثم صاح بأعلى صوته قائلا « الله اكبر » وهو على رأس الحصن ، فدوى صوت المسلمين بالتكبير ، وتسابقوا إلى السلم يصعدون عليه ..(٧)

ولما سمع أهل الحصن دوى تكبير المسلمين ، يصم آذانهم .. لم يشكوا في أن المسلمين افتتحوا الحصن واقتحموه ، ودخلوه عنوة ، فهربوا ..

أما حرس الحصن الذين كانوا على رأسه ، فلقد تتابعوا على البطل يريدون القضاء عليه ، ولكنه اخذ يحصدهم الواحد بعد الآخر ، فلا يتصدى له أحد إلا أطاح برأسه .. وسرعان ما اعتلى الحصن بعض المسلمين يعملون عمله ، فتركهم الزبير على رأس الحصن .. ونزل هو الى الباب فقاتل حراسه وحده ، حتى استطاع ان يفتح الباب للجيش الاسلامي ليدخل ، ويقتل من قاتله ..(٨)

وكانت هذه الحركة المفاجئة سببا في ان فقد الرومان رشدهم فلم يدروا ماذا يفعلون .. غير ان يطلبوا الصلح .. وأسرع عمرو فأجابهم على الرغم من احتجاج الزبير الذي كان يريد ان يقع الحصن عنوة ، ليأسر من فيه ..

وهكذا كانت هذه العملية الفدائية الجريئة سببا في فتح هذا الحصن الذي استعصى على المسلمين نحوا من ثمانية شهور .. فتح الحصن بسبب تصرف وبطولة رجل ، ولكنه كان كما قال عمر بن الخطاب « بألف رجل » وبسقوط هذا الحصن في العشر الأواخر من ربيع الثاني سنة عشرين من الهجرة(٩) تقرر مصير مصر ..

أما هذا الرجل الذي ثبت حقا انه بألف رجل فإن المؤمن بالله يتوق إلى معرفته ، إنه الزبير بن العوام يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في « قصي » وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم (١٠) وقد نشأ الزبير يتيما ، وكانت أمه صفية تريد له العزة والكرامة والسيادة .. فكانت تقسو عليه وتضربه ضربا شديدا .. فقيل لها : خلعت فؤاده ، أهلكت هذا الغلام .. فقالت إنما أضربه كي يلب ، ويجر الجيش ذا الجلب(١١) وقد اسلم الزبير وهو صغير ، وكان من السابقين الى الاسلام ، ويقال انه رابع اربعة او خامس خمسة في الاسلام ، واكرمه الله بأنه لم يسجد لصنم قط ، ولم يأت بفعل من أفعال

---

( ٧ ) علماء الاوقاف ، فدائيون من فجر الاسلام ، ص ٧٧ ط الاوقاف .
( ٨ ) ابن الاثير « الكامل » جـ ٢ ص ٢٣٨ ومواقف حاسمة ص ٨٣ لمحمد صبيح
( ٩ ) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٣ ص ٢٥١ الطبعة الاولى .
( ١٠ ) ابن الاثير اسد الغابة في معرفة الصحابة ، جـ ٢ ص ٢٥٠ ط الشعب .
( ١١ ) محمود سعيد الطنطاوى ( من فضائل العشرة المبشرين بالجنة ) ص ١٩٧ ط المجلس الاعلى بالقاهرة .

الجاهلية ، وهاجر الى الحبشة ولما رجع هاجر الى المدينة ..[١٢]

وكان الزبير رضي الله عنه اول من سل سيفا في سبيل الله عز وجل .. وذلك انه عندما كان المسلمون بمكة وقع الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذه الكفار فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه .. والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فقال له : مالك يا زبير ؟ قال : أخبرت انك اخذت فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم ولسيفه ..[١٣]

ومضى الزبير بن العوام يجاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ، وكانت له عصابة صفراء يعتجر بها في الحروب ..

وشهد الزبير بدرا والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وجرح فيها جراحات بالغة ، حتى قال عروة : كان في الزبيرثلاث ضربات بالسيف كنت ادخل أصابعي فيها ، اثنتان في بدر ، وواحدة في اليرموك ..[١٤]

وفي غزوة الأحزاب يوم ان تحزب انصار الكفر يريدون ان يطفئوا نور الاسلام ، فلما بلغ النبي ما اجمع عليه الكفار قال : من يأتيني بخبر القوم : فقال الزبير : انا .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان لكل نبي حواريا وحواريي الزبير »[١٥]

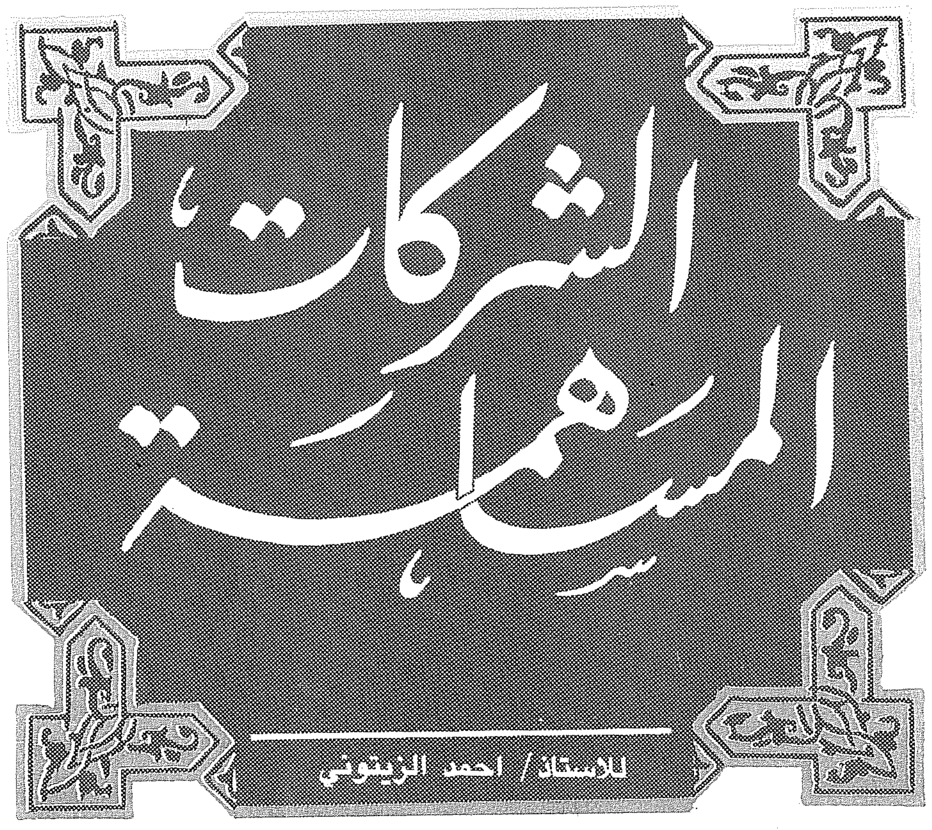
ويوم حنين كان الزبير فارسا مغوارا ، ومحاربا تفر من امامه صناديد الكفر ، ولقد ظل الزبير بن العوام وفيا لدينه ، حتى لقي ربه شهيدا في سبيل الله ، وهو مقيم على عهده لله ولرسوله ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

أقام على عهد النبي وهديه ... حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه ... يوالى ولى الحق والحق اعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي ... يصول اذا ما كان يوم محجل
وان امرءاً كانت صفية أمه ... ومن أسد في بيته لمرفل
له من رسول الله قربى قريبة ... ومن نصرة الاسلام مجد مؤثل
فكم كربة ذب الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطى ويجزل
اذا كشفت عن ساقها الحرب حشها ... بأبيض سباق الى الموت يرقل
فما مثله فيهم ، ولا كان قبله ... وليس يكون الدهر مادام يذبل[١٦]

**والأمة الاسلامية أحوج ما تكون الى أن تلقن أبناءها آيات المجد والسؤدد ، وتذكر لهم سيرة القيادات الاسلامية التي حققت الامجاد وأطعمت التاريخ خبز الشهادة ، وسجلت البطولات الفذة الفريدة .**

---

( ١٢ ) ابن حجر الاصابة في تمييز الصحابة جـ ٣ ص ٦ .
( ١٣ ) ابن الاثير اسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٢ ص ٢٥٠ ط الشعب .
( ١٤ ) ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة جـ ٣ ص ٦ .
( ١٥ ) الشيخ منصور على ناصف التاج الجامع للاصول جـ ٣ والحديث رواه الشيخان .
( ١٦ ) ابن الاثير ، اسد الغابة ، جـ ٢ ص ٢٥١ ، ط الشعب القاهرة .




المال هو كل ما يتمول عروضا كان او نقـدا ، والنقد اداة لتبـادل المـال وحصوله يتوقف على جهد الانسان فالجهد هو الأصل والأساس ولذلك لم يكن بد من تقدير ذلك الجهد المبذول في الحصول عليه . فتقدير المال متوقف على تقدير جهد العامل واعتباره اصلا ولكن لما كان النظام الرأسمالي مبنيا على حرية التملك وبالتالي مبنيا على استغلال الانسان للانسان كـانت نظرته في تقدير الأجراء او تنميه الملك

كان الاعتبار للمال لا للجهد الانساني ، وسرى هذا الاعتبار في جميـع المعامـلات حتى صـار من الطبيعي عندهم ان يكون البحث في رأس المال في الوقت الذي أهمل جهد الانسان اذا استثنينا القدر الذي يمكن من بحـث رؤوس الامـوال واستغلالها ويتضح ذلك في الشركات الرأسمالية فانها اشتراك برأس المال في شكل شركات لافي شركات حقيقية وقد تفننوا في انواع الشركات تفننا يؤدي الى سيطـرة رؤوس الاموال واستغلال جهد الانسان ومن اهم الشركات الرأسماليـة الفاشيـة في بلادنا الشركات المساهمة . والأصل في الشركات المساهمة أن انتشـار الانتاج الآلي وما ترتب عليه من اتساع نطاق المشروعات الزراعية والتجارية

وا صناعية جعل موارد الفرد لا تكفي تمويل عمليات الانتاج الكبير الذي اصبح من خصائص الانقلاب الصناعي . ولذلك لم يكن بد من وسيلة يتم بها لهؤلاء جمع المال اللازم لتنفيذ هذه المشروعات الكبيرة مع بقاء التصرف فيها تحت يد هؤلاء الذين سينالون من الربح بقدر ما لهم من الحصص المالية . ومن أجل ذلك نشأت الشركات المساهمة لخدمة أفراد معينين يستغلون اموال غيرهم وجهودهم مع احتفاظهم بالمشروعات الكبيرة ، ويتكون رأس مال الشركة المساهمة من عدد كبير من الحصص المتساوية القيمة ، يطلق عليها اسم « الأسهم » كما يطلق على الشركاء اسم « المساهمين » وشركات المساهمة شركات مالية بحتة لا أثر فيها للعنصر الشخصي « اي الجهد » او بعبارة أخرى لا وجود للبدن فيها مطلقا مع ان البدن هو الأصل في تنمية الملك والحصول على المال الموجود في الشركة المساهمة يجعل مسؤولية المساهم محدودة بقيمة الأسهم التي يملكها ، وعلى ذلك فالمساهم يأخذ من الأرباح بمقدار ما له من أسهم ، ويصيبه من الخسارة بقيمة ما يملك منها ومهما أصاب الشركة من

الخسارة فحامل السهم لا يمكن أن يخسر أكثر من قيمة سهمه ، والشركات المساهمة تنقسم الى محدودة وغير محدودة فالمحدودة يقدر رأسمالها بمقدار معين وأسهم معينة وغير المحدودة هي الشركات المغفله .

والشركات المساهمة تجمع بين القاصي والداني وهي دائمية لا تتقيد بحياة الأشخاص بل تستطيع أن تعيش مدة طويلة مهما تبدل أعضائها لا يؤثر ذلك في كيانها ، فقد يموت الشريك ولا تنحل الشركة بموته ، وقد يحجر عليه ، ويبقى في الشركة ، وقد يبيع حصته لغيره دون إذن من الشركة فتنتقل اسهمه الى غيره وتظل الشركة سائرة لأنها أموال لأشخاص . وتتكون الشركة بإجماع أفراد قلائل ، وهم من أصحاب الأموال أو ممن لهم جاه ونفوذ او ممن لهم معرفة بطرق الاقتصاد .

فيضعون المشروع الذي يريدون القيام به ويقومون بوضعه موضع العمل ويطلق عليهم اسم المؤسسين ، يقوم هؤلاء المؤسسون بنشر بيان يتضمن الغاية من إنشاء الشركة ومقدار رأسمالها والمدة التي يمكن قبول اشتراك المساهمين في أثنائها فمن يرغب بالاشتراك في هذا المشروع بعد أن يطلع على البيان المذاع من قبل المؤسسين يراجع الشركة ضمن المدة المعينة . ويبين مقدار الأسهم التي يريد أن يشترك بها . ومتى بلغ الاشتراك الحد المعين لرأس مال الشركة تكون الشركة قد عقدت نهائيا ، ولا يشترط في الشركات المساهمة أن يتألف رأسمالها من النقود فقط ، بل يجوز أن تعتبر الأبنية والأراضي وغير ذلك من الأشياء النافعة ، رأس مال يحيي الشركة ، ويوزع رأس مالها الى أسهم : فكل من أحرز سهما منها يعد مساهما

فيها ، وليس من الضروري أن تؤدى جميع أثمان الأسهم في الحال ، بل تستوفي الشركة من أثمانها ما يكفي لقضاء حاجتها الحاضرة ، وتؤجل استيفاء الباقي للمستقبل فتتقاضاه من المساهمين حسب حاجتها إلى المال ، إلا أنه يبقى لهذه الأسهم اعتبارها فيأخذ أصحابها من الأرباح ما يستحقون ، ولو لم يدفعوا ثمن الأسهم كلها لها . فاذا أفلست الشركة يحق للدائنين أن يرجعوا إلى المساهمين بطلب ما تبقى في ذممهم من أثمان الأسهم والتي لم تكن حصصا ثابتة ، بل قيمة اعتبارية ولذلك تزيد قيمة السهم وتنقص بحسب سير معاملات الشركة ، فإذا كانت الأرباح آخذة بالنمو والزيادة تتصاعد حينئذ قيمة الأسهم وإذا كانت آخذة بالخسارة تنقص ، وهذه الأسهم على نوعين :

أ - نوع مكتوب باسم صاحبه ، ولا يجوز أن يتحول من يد لأخرى إلا بعد إعلام الشركة بالأمر كما تشير إلى ذلك في دفاترها .

ب - ونوع حر يستطيع حامله أن يتصرف به كما يشاء دون إعلامها ، هذا من حيث ماهيّة الشركة ، أما التصرف بتنمية أملاكها وأموالها فيعود لمجلس المساهمين ، ومجلس الادارة والمدراء ، ويحدد قانون الشركة عدد الأسهم التي ينبغي للشريك أن يحرزه لكي يحق له الاشتراك في هذا المجلس .

ومجلس المساهمين هذا يجتمع في كل سنة مرة للنظر في خلاصة الحسابات التي يعرضها عليه مجلس إدارة الشركة ، أما أعضاء مجلس الادارة فينتخبون بدل الذين اننتهت مدتهم ويعين محاسب يدقق الحسابات :

أما مجلس الادارة فينبغي أن يكون أعضاؤه من المساهمين وغيرهم ، اذا كانت قوانين الشركة تنص على ذلك . وهذا المجلس يقوم بالأكثرية ويتقاضى أعضاؤه على حصصهم أجرة سنوية أو أجرة معيّنة لكل جلسة ، ويقوم مجلس الادارة بتعيين مدير مسؤول لديه ، على أن تكون تبعة أعمال المدير عائدة الى المجلس وهو يقوم بجميع فروع الأعمال المتعلقة بالمشروع . وبناء على ذلك فالمدير هو الذي يتصرّف بتمنمية الملك في الشركة وبإدارة الأموال . وما مجلس الادارة إلا مباشر للخطوط العريضة ، ومجلس المساهمين أمر شكلي فقط . والمدير ومجلس الادارة عادة هم المؤسسون ومن يرون ضمهم للانتفاع بهم ، أما توزيع الأرباح فيكون بطريقة تضمن توزيعها على المؤسّسين وكبار المساهمين في الشركة و يطرح من مجموع إيرادات الشركة جميع نفقات الانتاج وفوائد التحويل ثم يفرز مبلغ لأداء ربا الأسهم باسم الفائدة لها ، وهي مقدار معين باسم رأس مال الاحتياط لقاء ما قد يطرأ على رأس المال من المخاطر غير المنتظرة ، وبعد أن تطرح المبالغ المار ذكرها من مجموع إيراد الشركة السنوّي يوزّع الباقي إذا بقي شيء ، على الشركاء لكل بنسبة عدد الأسهم التي يحملها .

والشركات المساهمة باطلة ولا يجوز الاشتراك بها لمخالفتها للأحكام الشرعيّة ولعدم اندراجها تحت أحكام الشركات في الاسلام ، وبطلان الشركات المساهمة يتعين في الأسباب الآتية :

١ - لم تتكون في الشركة المساهمة شركة شرعا ، وإنما هي أموال تجمعت وصارت لها قوة التصرف ، وهذا لايجوز في الاسلام ، لأن الملك في الاسلام لاينمو من نفسه ، بل لابد ممن يقوم بتنميته . والأصل في إيجاد المال وفي تنمية الملك هو البدن ، والتكليف إنما هو على الانسان حتى إن الحق المفروض على المال مفروض على المال المملوك للانسان لا على المال المطلق .

فالبدن هو الأصل في الربح ، وفي الملك وفي تنميته ، ولذلك يجوز أن يشترك بدن مع بدن لينتج مالا ، ويوجد ملكا وينميه ، ويجوز أن يشترك بدن ومال لأن البدن يتصرف بالمال وينميه أما أن يشترك مال ومال دون وجود بدن يكون شريكا مع المال يتولاه فلا يسمى شركة ولا تنعقد الشركة مطلقا ، بل تظل أموالا مجمعة لأشخاص لأنها لم تضف إلى بدن يتصرف فيها كشريك ، على أنه لم يحصل في هذه الشركة عقد إذا لم يحصل فيها إيجاب وقبول بين الشركاء لأن المساهمين يدفعون مالا بدل أسهم دون أن يكون هنالك أي عقد للشركة بينهم وبين شركائهم ، مع أن الشركة عقدبين اثنين أو أكثر يتفقون فيه على القيام بعمل مالي بقصد الربح ، ولم يحصل أي إتفاق بين الشركاء إذ قد تقوم الشركة وتباشر أعمالها وبعض أسهمها لم يبع أي بعض الشركاء لم يوجدوا بعد وفوق ذلك فإن الشركة في الاسلام تكون مقصورة على المال والعمل مجتمعين أو على العمل وحده ولا تنعقد على المال فقط . والشركات المساهمة مقصورة على المال وحده .

٢ - اشتراط أن تكون الشركة دائمة يخالف الشرع ، فالشركة من العقود الجائزة تبطل بموت أحد الشريكين أو جنونه أو الحجر عليه او بالفسخ من أحد الشركاء ، واذا مات أحد الشركاء وله وارث فإنه وارثه إن كان غير راشد فليس له أن يستمر في الشركة ، وإن كان الوارث راشدا فله أن يقيم على الشركة ويأذن له الشريك بالتصرف ، وله المطالبة بالقسمة ، فكون الشركة المساهمة دائمية أو مستمرة بالرغم من موت أحد الشركاء ، أو الحجر عليه يجعلها شركة باطلة .

٣ - إن الأرباح والخسائر في الشركة المساهمة قائمة على نسبة الأسهم ولكن يشترط في الخسارة أن لا تزيد على قيمة أسهم الشريك في السوق ، وهذا يعني أن لا يخسر رأس المال مطلقا فهو يربح ولا يخسر إذ يخسر أرباحه فقط ، ولا يصل الخسران إلى فقدان رأس المال أي فقدان قيمة الأسهم . وهذا لا يجوز في الاسلام ، لأن القاعدة الشرعية تنص على أن .. « الغُرم بالغُنْم » فالمال يخسر في

الشركة ولو أدى إلى فناء رأس المال كله ، فاشتراط أن لا تصل الخسارة إلى ذهاب رأس المال يخالف الشرع وهو فاسد غير مقيد وبما أنه يعلق بتكوين الشركة وعملها فيكون عقد الشركة فاسدا على فرض وجود عقد فيها .

٤ - إن الشركة المساهمة تجعل لمجلس الادارة أجرة معينة سنوية أو عن كل جلسة ومع شركاء مساهمين زيادة على أرباح أسهمهم.وبحسب أحكام الشرع الاسلامي لا يجوز أن يحصل لأحد الشركاء زيادة أموال على حصة من الربح . ومتى جعل احد الشركاء مقدارا معلوما من المال لنفسه ، أو جعل الشركاء له ذلك أو اشترط لنفسه جزءا من الربح لا جزءا

من رأس المال ، فعلى هذا تكون الشركة المساهمة باطلة لأنها تجعل لأحد الشركاء مقدارا معيّنا من المال زيادة على حصته في الربح ، ولأجل ذلك كله كانت الشركات المساهمة الرأسمالية حراما يحرم الاشتراك بها ، والمال الذي يأتي من طريقها - إن ملك مع العلم بحرمتها وبطلان

عقدها - محرم لأنه أخذ بعقد باطل وبوسيلة غير شرعية وقد وقع المسلمون في الشركات المساهمة وأقاموا الشركات بحسب أحكامها دون أن يعوا ، ولذلك وجب عليهم بعد معرفتهم حكم الاسلام فيها أن يتركوا الشركات المساهمة وأن يؤلفوا شركاتهم حسب أحكام الاسلام .

**أسهم شركات المساهمة :**

أسهم الشركة أوراق مالية تمثل ثمن الشركة في وقت تقديرها ، ولا تمثل رأس مال الشركة عند إنشاءها . فالسهم جزء لا يتجزأ من كيان الشركة وليس بجزء من رأس مالها ، فهو بمثابة سند لقيمة موجودات الشركة ، وقيمة الأسهم ليست واحدة ، وإنما تتغير بحسب أرباح الشركة أو خسارتها وليست واحدة في كل السنين ، بل تتفاوت قيمتها وتتغير وعلى ذلك فالسهم لا يمثل رأس المال المدفوع عند تأسيس الشركة وإنما ( أي السهم ) يمثل رأس مال الشركة حين البيع أي في وقت معين ، إنها كورقة النقد يهبط سعرها إذا كانت سوق الأسهم منخفضة ويرتفع حين تكون مرتفعة ، فالسهم بعد بدء الشركة في العمل انسلخ عن كونه رأس مال وصار ورقة مالية لها قيمة معينة .

والحكم الشرعي في الأوراق المالية قائم على النظر فيها فإن كانت سندات تتضمن مبالغ من المال الحلال كالنقد الورقي الذي له مقابل من الذهب أو الفضة يساويه ، أو ما شاكل ذلك ، فإن شراءها وبيعها يكون حراما ، لأن المال الذي تتضمنه مال حرام ، وأسهم شركات المساهمة سندات تتضمن مبالغ مختلطة من رأس مال حلال ومن ربح حرام في عقد باطل ومعاملة باطلة دون أي تمييز بين المال الأصلي والربح ، وهي في نفس الوقت سند بقيمة حصة من موجودات الشركة الباطلة ، وقد اكتسبت هذه

الموجودات بمعاملة باطلة فنهى الشرع عنها ، فكانت مالا حراما وبذلك صارت هذه الأوراق المالية ـ وهي الأسهم مالا حراما لا يجوز بيعها ولا شرائها ولا التعامل بها .

أما المسلمون الذين يجهلون الحكم الشرعي، ، ثم اشتركوا على جهلهم بتأسيس شركات مساهمة ، وملكوا أسهما بحكم مساهمتهم فيها ، فملكية هؤلاء المساهمين للأسهم ملكية صحيحة ، وهي أموال حلال لهم لجهلهم ببطلان عملهم جهلا يعذرون فيه ـ أما بيع هذه الأسهم للمسلمين فلا يجوز لأنها أوراق مالية باطلة شرعا وحليّة ملكيتها جاءت طارئة من كون الجهل عذرا .

أما اذا عرف الحكم الشرعي فيها أو أصبح غير مجهول المثل عند الشخص فإنه حينئذ يكون مالا حراما لا يباع ولا يشترى ولا يصح أن يبيعه على يد غيره .

وكيفية التخلص من هذه الأسهم المملوكة بسبب جهل الحكم الشرعي يتم بحل الشر أو تحويلها إلى شركة إسلامية أو ينتظ وز امن يستحل أسهم الشركات المساهمة فيولونه بيعها عنهم ويأخذون ثمنها . .

**الشركات في الاسلام :**

يندفع الناس في التجارة والزراعة والصناعة إلى تجميع أبدان وأموال واشخاص من أجل تكثير أرباحهم ، فيندفعون ـ الى تأسيس الشركات فيما بينهم ، ومنذ أن طبق علينا النظام الرأسمالي انصرف الناس إلى تكوين الشركات بحسب أحكامه ، وأعرضوا عن أحكام الاسلام ، ومما ساعد على ذلك الغزو الثقافي والتبشيري الذي قام به الغرب وثبت فيه مفاهيم مغلوطة عن الاسلام فكرية وتشريعية ، ومن هذه المفاهيم ما أصبح شائعا عند المسلمين من أننا نأخذ من الغرب ما يوافق الاسلام ، فنشأ من هذا المفهوم أحكام تخالف الاسلام على اعتبار انها توافقه .

وشجع ذلك ما ثبته علماء السوء وجهله المشايخ من تأويلات للأنظمة الرأسمالية تكون بمثابة التبرير في أخذها والعمل بها عند الذين يقفون في حدود الشكليات من المسلمين ، ومن هذه الأحكام أحكام الشركات فقد وقع المسلمون فيها بشكل فظيع ، وماروا فيها بجملتهم وفق أحكام النظام الرأسمالي ، فألفوا شركات التضامن وشركات التوصية والشركات المساهمة ، والشركات المقفله والشركات التعاونية وغيرها ، وبعدوا عن أحكام الشركات في الاسلام ، وقد ساروا لذلك باختيارهم باعتبار أن هذه الأحكام صالحة لمعاملاتهم منظمة لعلاقاتهم ، رافعة للنزاع فيما بينهم ، لذلك لم يكن بد من تنبيه المسلمين الى التقيد بأحكام الاسلام والابتعاد عما خضعوا له من خصائص النظام الرأسمالي لأنها أحكام يحرم على المسلم أن يطبقها على نفسه وأن يرضى تطبيقها ، ولاسيما بعد أن وضح للمسلمين أن الحكم الشرعي وما استنبط من الكتاب والسنة كان باجتهاد صحيح ، وأما ما جاء في

أحكام الأنظمة الأخرى فلا يجوز العمل بها سواء وافقت الاسلام أم خالفته لأنا مأمورون بأخذ الاسلام لا بأخذ ما يوافقه من غيره .

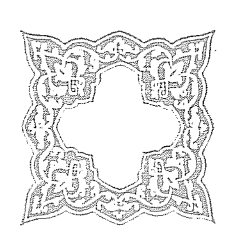
**حكم الشركة في الاسلام :**

الشركة ثابتة بالكتاب والسنة ، قال تعالى « **فهم شركاء في الثلث** » النساء/ ١٢ وقال: « **إن كثيرا من الخلطاء لايبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** » سورة ص / ٢٤ والخلطاء مع الشركاء ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول الله تعالى :« أنا ثالث الشريكين ما لم يخن احدهما صاحبه ، فإذا خان خرجت من بينهما ..» رواه ابو داوود والحاكم . وقال صلى الله عليه وسلم :« يد الله على الشريكين مالم يخن احدهما صاحبه » رواه الدارقطني . وتجوز الشركة بين المسلمين مع بعضهم وبينهم وبين غيرهم ، ولكن لا تصح الشركة إلا من جائز التصرف ، لأنها عقد على التصرف في الحال فلا تصح من غير جائز التصرف في الحال .

ولذلك لا تجوز شركة المحجور عليه ، وكل من لا يجوز تصرفه والشركة عقد بين اثنين أو أكثر يتفقان فيه على القيام بعمل مالي بقصد الربح . والشركة : إما شركة أملاك او عقود وتعتبر شركة العقود موضع البحث في تنمية الملك .

وقد تبين من استقراء الشركات في الاسلام وتتبعها وتتبع الأحكام الشرعية المتعلقة بها ، أن شركات العقود تندرج جميعها تحت خمسة أنواع هي : شركة العنان ، شركة الابدان والوجوه والمضاربة والمفاوضة .

بعد هذا الاستعراض الخاطف الموجز للشركة المساهمة و الأسهم وبطلانها لما فيها من الاستغلال واهمال العقد وتأجيل الدفع وامتصاص الانسان لأخيه الانسان واستمرارية حياتها ولو بعد موت مؤسسيها واستغلال بعض عناصرها لمرابحيها سواء من رأس المال أم من الربح فإننا نعلن للملأ المسلم عامة ولأهل الذكر خاصة أن يعيدوا النظر والمراجعة في مثل هذه الشركات التي انبثقت عن مجتمعات غير مقيدة بالاسلام ونلفت انظار اهل العلم والاختصاص أن يطرحوا هذه القضية بجد ويبينوها للعامة ويكشفوا عن مخالفاتها للشريعة الاسلامية ويصدروا أحكامهم الباته حولها حتى نقف وقفة الفارس الباسل في وجه التشرب المشوه لعقيدتنا وشريعتنا وأساليب تعاملنا بل وحتى لتصورات تفكيرنا مما يجعلنا لا نحن في الاسلام ولا نحن في حضارة الغرب لا الى هؤلاء والى هؤلاء



# دروس مستفادة من الهجرة

للأستاذ / محمود مصطفى الأعصر

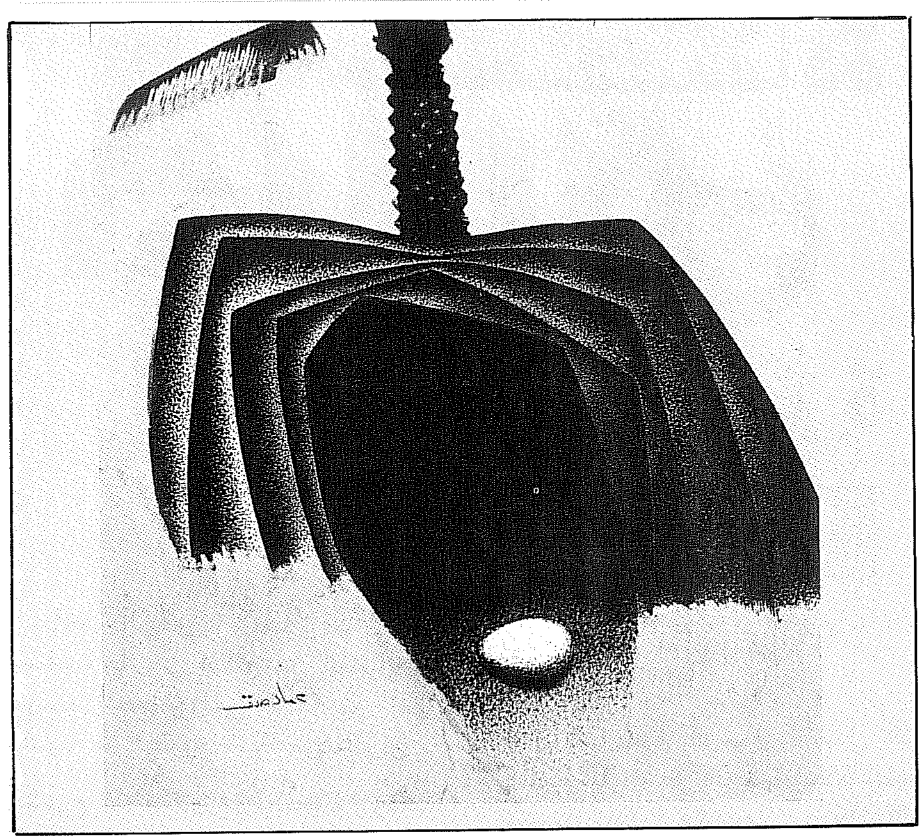
أخذ الرسول « صلى الله عليه وسلم » يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج ، ولقي طائفة من أهل المدينة قرأ عليهم شيئا من القرآن ،

فشرح الله صدورهم للاسلام ، وفشا في المدينة أمرهم فبايعه اثنا عشر رجلا منهم على الاسلام حتى اذا استدار العام قدم كثير ممن أسلم ، وواعدوا

النبى « صلى الله عليه وسلم » مقابلته ليلا عند العقبة الوسطى ، فقابله ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان هما : نسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمرو .. وعلمت قريش بمبايعة الأنصار للنبى « صلى الله عليه وسلم » ، وأصبح للرسول « صلى الله عليه وسلم » الكثير من المؤمنين في المدينة ، حتى تهيأ الجوله فيها ، وفتحت المدينة قلبها للرسول « صلى الله عليه وسلم » .

الكتمان والسرية من أسباب نجاح الهجرة :

حينما عزم الرسول « صلى الله عليه وسلم » على الهجرة أحاط نفسه بسرية تامة ، فالرسول « صلى الله عليه وسلم » لم يفصح لأبي بكر عن أنه هو المصاحب له في هجرته الا وقت التنفيذ ، وكان الصديق « رضى الله عنه » يريد الهجرة قبل ذلك ، فكان الرسول « صلى الله عليه وسلم » يقول له :« لا تعجل يا أبا بكر لعل الله يجعل لك صاحبا » بيد أن الرسول كتم عن أبي بكر من سيكون هذا الصاحب ، وعندما أنجى الله تعالى رسوله من سيوف المحاصرين لبيته ، وذهب الرسول الى ابي بكر دخل عليه بيته فوجد عنده أهله ، فقال الرسول لأبى بكر :( أخرج عني من هنا ) وهذه من رسول الله مبالغة في السرية وأخذ



بمنتهى الكتمان والحيطة ، ولقد كانت عائشة من بين الموجودين وكانت زوجته في ذاك الوقت ، ولهذا قال له أبو بكر :« يا رسول الله انما هم أهلك »

ويخرج الرسول « صلى الله عليه وسلم » وصاحبه متخفيين عن أعين الناس ليلا ، ولا يسلكان الطريق المعهود حيث الذهاب شمالا الى المدينة ، بل يسلكان جنوب مكة الى غار ثور .. ، وتقول بعض الروايات : إنه عليه الصلاة والسلام خلع نعليه وسار على أصابعه حتى لا يظهر أثر قدميه ، وما زال هكذا حتى دخل وصاحبه الغار .

### من دروس الهجرة : الاعتماد على الله :

شأن المؤمن الصادق أن يعتمد على الله تعالى في كل أموره ، كما وصف الله تعالى المؤمنين في قوله : ( **وعلى ربهم يتوكلون** ) ، فالتوكل على الله ، والاعتماد عليه والوثوق به أعلى مقامات التوحيد .. ، وفي هجرة الرسول « صلى الله عليه وسلم » والمهاجرين الأولين من أصحابه آيات كبرى من آيات الإيمان القوي ، وصورة صادقة للتوكل على الله والاعتماد عليه ..

قال الله تعالى : ( **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا )** ( آية ٤٠ ـ التوبة ) وعندما لحق به سراقة يريد قتله ، وأصبح على مقربة منه .. ، لقد كان من مقتضى كل تلك الاحتياطات الهائلة التي قام بها ان يشعر بشيء من الخوف إذ ذاك ، ولكننا رأينا أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » لم يكن يلتفت إطلاقا لينظر من هذا الذي يجد في اللحاق به ؟ بل كان مستغرقا في قراءته ومناجاته مع ربه ، لأنه يعلم أن الله الذي أمره بالهجرة سيمنعه من الناس ويعصمه من شرهم .

### من دروس الهجرة : نصر الله تعالى لكل السالكين في طريق الدعوة

قال الله تعالى : ( **ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين )** ( آية ٨٥ / القصص )

خطاب موجه الى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وهو مخرج من مكة مطارد من قومه وهو في طريقه الى يثرب ، لم يبلغها بعد .. ، إنك اليوم مخرج ومطارد ، ولكنك غدا منصور ، وهكذا شاءت حكمة الله أن ينزل على عبده هذا الوعد الأكيد في ذلك الظرف ، ليمضى « صلى الله عليه وسلم » في طريقه آمنا واثقا مطمئنا الى وعد الله الذي يعلم صدقه ، ولا يستريب لحظة فيه ..

وإن وعد الله لقائم لكل السالكين في الطريق ، وانه ما من أحد يؤذى في سبيل الله فيصبر ويستيقن إلا نصره الله .

وصدق الله رسوله بعودة الرسول « صلى الله عليه وسلم » ليرد لمكة كرامتها ، ويمحو من فوق الكعبة أصنام الشرك فيها ، ويرسي قواعد التوحيد ..

### من دروس الهجرة : حب الوطن

إن حب الوطن من أعظم مظاهر الايمان بالله تعالى ، فيجب على كل مؤمن بالله رب العالمين ان يحب وطنه ، ويتمنى له كل ما تصبو اليه نفسه ، وها هو الرسول « صلى الله عليه وسلم » كلما بعد عن مكة الى المدينة بضع خطوات يتلفت الى وطنه مكة وقلبه متعلق بها قائلا :« والله اني لأخرج منك ، واني لأعلم أنك أحب بلاد الله الى الله ، وأكرمها على الله تعالى ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت » .

### دروس للشباب في الهجرة

ولشباب اليوم .. أمل الأمم ودرعها الواقي أن يأخذ الدرس الشافي الكافي من زعيم الشباب وإمام الفتيان علي ابن أبي طالب « رضى الله عنه » الذي يحمى صاحب الدعوة ويفديه بنفسه .. ويذود عنه .. وهو يعلم الخطر المترتب على ذلك .. ، ومن

عبدالله بن ابي بكر الصديق الذي كان يستطلع أخبار قريش بمكة ، والوقوف على رد الفعل الذي أحدثه خروج النبي سرا ..

وإذا تأملت فيمن كان حول النبي « صلى الله عليه وسلم » إبان دعوته وجهاده وجدت أن غالبيتهم العظمى كانوا شبابا ، لم يتجاوزوا المرحلة الأولى في عمر شبابهم ، ولم يألواجهدا في تجنيد كل طاقاتهم وقوتهم من أجل نصرة الاسلام وإقامة مجتمعه .

### دروس للمرأة في الهجرة :

هاهي أسماء فدائية الاسلام الأولى تأتي النبي وصاحبه بالماء والزاد إبان اختفائهما عن أعين قريش ، وظلت على ذلك ثلاث ليال متعاقبة ، تقتحم الصحراء الموحشة في رهبة الظلام ، وهي صغيرة ، ولا تبالي العيون .. ، وقد ذهب اليها أبو جهل وحاول أن ينتزع منها اعترافا بمكان الرسول « صلى الله عليه وسلم » وصاحبه فلم يستطع أن يظفر منها بجواب ، رغم أنه استعمل معها القسوة والغلظة ، ولطمها على وجهها لطمة شديدة طار منها قرطها ، فلم يتسرب اليها الوهن وظلت صامدة محتفظة بالسر .

### من دروس الهجرة : الاستعانة بغير المسلمين فيما دون القتال :

استعان الرسول « صلى الله عليه وسلم » على معرفة مسالك الصحراء بعبدالله بن أريقط وكان مشركا ليدله على الطريق بعد أن توسم فيه الصدق والأمانة ..

والرسول صلى الله عليه وسلم استعان أيضا في غزوة الحديبية سنة ٦ هـ ببشر بن ابي سفيان عينا على قريش ليأتيه بأخبارهم ، وبشر كان مشركا من قبيلة خزاعة .. لم يسلك ابن أريقط الطريق المألوف مصعدا الى الشمال ، بل سار منحدرا الى الجنوب أسفل مكة موليا وجهه نحو اليمن ، ثم توجه شرقا الى تهامة ، حتى اذا اقترب من شاطىء البحر وبعد عن الطريق المألوف اتجه شمالا في محاذاة الشاطىء ، وهو حريص أشد الحرص على أن يبتعد عن العيون ما استطاع .. ، وعبدالله بن أريقط أخذ يهم في السير ، وهو يرتجز ، ولعل هذا كان نوعا من التضليل أريد به الا يفطن اليهم أحد من القوم ، فإن الذي يرتجز ويعلن عن نفسه في السير لا يمكن أن يكون هاربا .

### من دروس الهجرة : المحبة الشديدة للرسول « صلى الله عليه وسلم » :

استقبلت المدينة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » رجالا ونساء وأطفالا ، لقد كانوا يخرجون كل يوم الى ظاهر المدينة ينتظرون تحت لفح الشمس وصول رسول الله إليهم ،

حتى اذا هب النهار ليدبر عادوا أدراجهم ، ليعودوا الى الانتظار صباح اليوم الثاني ، فلما طلع الرسول عليهم جاشت العواطف في صدورهم ، وانطلقت السنتهم تهتف بالقصائد والأهازيج فرحا لمرآه عليه الصلاة والسلام ومقدمه عليهم ، ولقد

بادلهم الرسول نفس المحبة ، ومحمد « صلى الله عليه وسلم » محب ودود ؛

أطاع الله تعالى كثيرا ، لأنه أحبه كثيرا ، وبر الناس كثيرا ، لأنه يحبهم كثيرا ..

أحب الله تعالى .. ، وأحب الناس .. ، وأحب الزمان والمكان ، وأحب كل شيء في كون الله تعالى الرحيب ، ولقد انتصر حبه العظيم

الصادق ، وبلغ رسالته للناس جميعا ، ويدعو محمد الناس كي يحب بعضهم بعضا ، بل جعل الحب آية

الإيمان فقال : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا .. ولا تؤمنوا حتى تحابوا » .

من دروس الهجرة : عمارة المساجد :

وفي عناية الرسول « صلى الله عليه وسلم » بإنشاء المسجد عقب

استقراره بالمدينة بعث للنفوس على العناية بعمارة المساجد .. ، قال تعالى

**( انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين )** ( آية ١٨ ـ التوبة )

من دروس الهجرة : التعاون والوحدة والأخوة الصادقة :

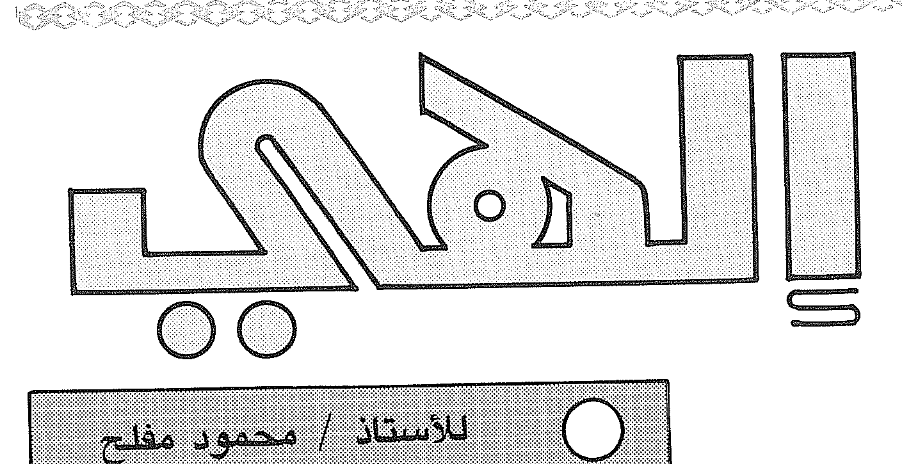
في مؤاخاة الرسول « صلى الله عليه وسلم » للمهاجرين والأنصار ( أهل المدينة الأول ) عقب استقراره

بالمدينة توجيه قوي الى تحقيق الوحدة بين الأمة ، فالوحدة هي القوة والعزة والحرية ، وهي سبيل كل خير ..

قال الله تعالى : **( للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون .**

**والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح**

**نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم )** ( آيات ٨ ـ ١٠ سورة الحشر ) .







إلهي قد طغى الموج العباب وقد ضلت مسيرتها الركاب
وقد حزت معاصمنا قيود وغاصت في خواصرنا الحراب
أنبقى والسياط تصب فينا مواقدها ويمضغنا العذاب !؟
وتحفرنا الخناجر حاقدات وتقطف في مواسمنا الرقاب
ونحن نطير من باب لباب ولم يفتح على الطراق باب !!

ننام على الفجيعة والضحايا ... ونصحو والتراشق والسباب
وتقرعنا القوارع لا نبالي ... ويبقى العرس ما بقي المصاب
فيا ذلَّ القوافل والقوافي ... أما ولغت بموردنا الكلاب !؟

* * *

وأسأل كيف لا تلد الليالي ... شهابا .. كيف لا يلد العباب ؟!
ولم تعشق رماح الفتح أفقا ... أماتت في أسنتها الرغاب ؟
وكيف تظل واجمة خيول ... وفوق الشمس كان لها وثاب ؟
وتغفو أمة ولها حداء ... تتيه به على الدنيا القباب

* * *

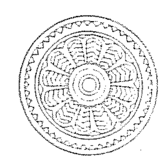
وأسأل عنك يا قمري المفدى ... اما همس لديك أما جواب ؟
ألم تبصر هوام الارض سكرى ... على دمنا وجثتنا نهاب

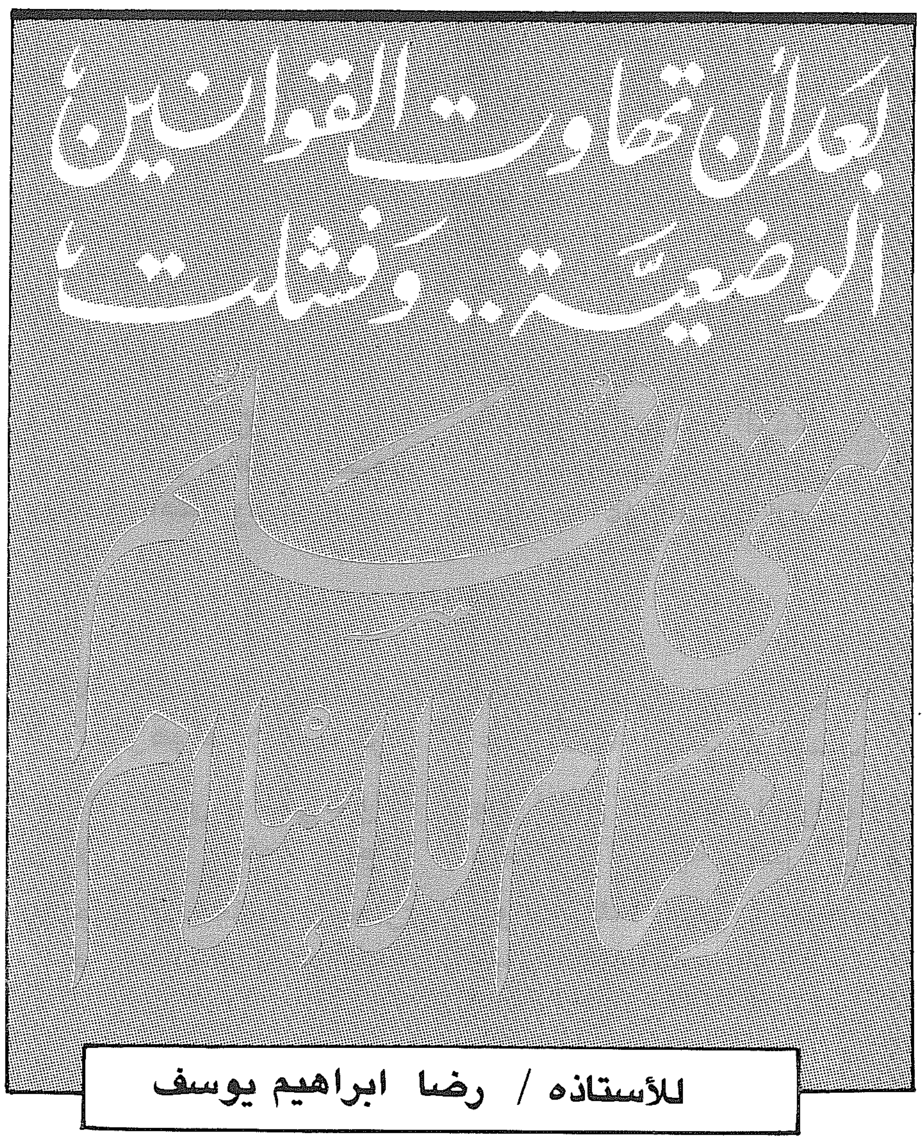
صراخ القدس في أذني شواظ ... وفي لبنان قد نعق الغراب
ونحن نغط تتخمنا الليالي ... وتسكرنا الربيبة والرباب

وأعجب كيف تقتلنا الصحارى ... وهذا الماء غمر وانسكاب
وكيف نظل والأيام تيه ... ومثل الشمس قد سطع الكتاب

* * *

أفيقي أمة الإسلام هزي ... سيوف الفتح فالفتح انتساب
أما آن الاوان ليوم فصل ... يعز الله فيه من استجابوا
وتخضر الحدائق في بلادي ... ويصفو في مواردنا الشراب ؟






للأستاذه / رضا ابراهيم يوسف

لا شك في أن ما تنادي به الأصوات المسلمة اليوم بغية تطبيق الشريعة الاسلامية منهاجا للحكم يحمي الحاكم، ويضمن أمن وأمان المحكومين يعد هدفا ساميا ، نصل مع تحقيقه الى غايات كبري وعظيمة ، على رأسها الفوز برضوان الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وليس بعد رضاء الله تعالى كسب آخر يذكر .

ومع نزول أحكام الشريعة الاسلامية ميدان العمل في الحياة .. سوف تحل تلك المشكلات الطاحنة التي سادت المجتمعات ، والتي فشلت القوانين الوضعية في وضع الحلول لها

# الفوضى الأخلاقية .. والسلوك المنحرف من أخطر نتائج عزل الدين

وتخفيف حدتها .. قال سبحانه وتعالى :] ( **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ) [ النساء/ ٦٥ وقال سبحانه ايضا : ( **انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ) النور/ ٥١ .

والاسلام دين المنطق .. والوسطية .. دين ينظر الى الانسان موازنا فيه بين عنصري الروح والمادة ـ اللذين يكونان الشخصية ـ موازنة دقيقة ميسرا أمامه السبيل كي يتمم رسالته على الأرض ، وهي استخلافه فيها قال تعالى : ( **واذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** ) البقرة/ ٣٠ والخلافة هي التعمير والتطور نحو الكمال عن طريق عبادته سبحانه ( **وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون** ) الذاريات/ ٥٦ .

وكل ركن من أركان الاسلام انما هو ـ في المقام الأول ـ نفع مباشر لمن يقوم على أدائه ، والله تعالى ليست له حاجة الى اتيان الفرد العبادة قال تعالى : ( **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون** ) الذاريات/ ٥٧ .

فشهادة أنه لا إله الا الله تغمر قلب الانسان بأن هناك رباً واحدا بيده مصير كل شيء ، وانه وحده القادر القاهر الذي لا ملجأ منه إلا اليه .. وبذلك يكون الانتماء الكامل لله تعالى ، فلا يذل الانسان لسواه .

وهذه العقيدة ـ الوحدانية ـ ـ تطرد كل خوف وريبة وشك من النفس .. وتلك هي الحرية التي ارادها الله تعالى للانسان .. والحرية تقترن بها العزة التي هي من صفات المؤمنين قال تعالى : ( **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** ) لمنافقون /٨ .

هذه الحرية التي يتمتع بها كل مؤمن في داخله تنظمها تعاليم الاسلام التي حملها الرسول صلى الله عليه وسلم الى البشرية ، وخضوع المسلم لتوجيهات الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يعد تطبيقا لعقيدة الوحدانية .. وباستقراء سيرته صلى الله عليه وسلم يتضح بجلاء أنه كان الاعتدال ، والرحمة ، والخير دون تطرف أو إسراف أو تفريط .. لقد كان رحمة وحجة وبرهانا ودعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

والصلاة تذكير متواتر وتدريب للانسان على الوقوف بين يدي الله لإعلان الوحدانية كما أن الصيام صبر على ما قد يصادف المرء من مصاعب في حياته تعترض سعادته ..

والزكاة حق لغير القادر على القادر – نضمن به تكافلا اجتماعيا عجزت اعظم النظم الاقتصادية والاجتماعية واكثرها شمولا ودقة عن تحقيقه والزكاة تدفع الى السمو النفسي اذ يتغلب الانسان على أكبر عقبات النفس وهي الشح .. ومن ثم يسهل عليه بعد ذلك العطاء والبذل والتضحية .

أما الحج فهو يمثل رحلة الانسان من الدنيا الى الآخرة .. تاركا وراءه ما ماله وأهله ، متجردا من أبسط مظاهر الزينة والمتاع .. وكأنه يجرب خروجه مع غيره كالجراد المنتشر في يوم القيامة .

ان كل هذه العبادات بين العبد وربه تقابلها المعاملات بين الانسان وأخيه،والصادق في عبادته صادق ولا شك في المعاملة .

هذا هو الاسلام الذي شرحه الرسول صلى الله عليه وسلم في يسر وبساطة حين قال لسفيان بن عبدالله رضي الله عنه : « قل آمنت بالله ثم استقم » [ رواه الترمذي ]

والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون الى الاحتكام الى شرع الله تعالى في أمورهم على اختلافها بعد ان احاطت بهم المشكلات واستفحلت واصبحت تؤرقهم أيما تأريق ، وبعد أن اصبح الضعف والتخلف والتمزق من نصيبهم .

إن واقع المسلمين الآن يدعوهم ويستصرخهم ان يسارعوا فيسلموا الزمام لحكم الله تعالى يقول سبحانه : **( فان تنازعهم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر )** [ النساء : ٥٩] وقال تعالى ايضا : **( فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم )** النور : ٦٣ ] وقال صلى الله عليه وسلم : « كل أمتي يدخلون الجنة الا من ابى قيل : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى » رواه البخاري.**لماذا لا نعود الى حكم الله** ؟ أن واجب المسلمين أن يبذلوا جهدهم تحقيقا لسيادة تعاليم الاسلام على كل شيء في عصرنا الحاضر وان كانت بعض المدلولات التي كانت سائدة في عصور متقدمة قد تبدلت وتعقدت معها الحياة وزادت مشكلاتها فان الاسلام هو الدين القادر بتعاليمه وشريعته على تخليص الناس من تلك المشكلات .

إن الاسلام دين عملي يواجه مشكلات الحياة في صراحة واستقامة وفق معايير واضحة ومحددة لكل عمل وهو دين يسر،ورسوله صلى الله عليه وسلم ما خيّر بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما والله تعالى

يجب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه فالاسلام بسيط في أحكامه ولا يشق على الانسان لأن الله تعالى يعلم خلقه ويعلم قدراتهم قال سبحانه ( **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** ) البقرة/٢٧٦ ] وهو دين يلبي احتياجات الافراد والجماعات في دنياهم وأخراهم بما شرعه من أحكام في المعاملات والعبادات فلماذا لا نعود الى حكم الله ؟ لماذا لا نعود الى تحكيم ما أنزل الله تعالى وهو الكمال المطلق الذي لا تصدر عنه الا تعاليم كاملة مطلقة صالحة لكل زمان ومكان .

الشريعة الاسلامية وازدهار المجتمعات :

إن من يتقولون عن الاسلام بأنه دين الشدة والصرامة التي لا تتواءم مع معطيات العصر انهم مخطئون لأن الله تعالى لم يأت بتعاليم وشرائع ومناهج مستحيلة التطبيق فهذه المناهج مطوعة في البداية لخدمة الانسان نفسه وهو سبحانه غني عن عبادة العالمين ولكن رحمته أرادت ان يسلك الناس الطريق الصحيح السوي لينالوا خيري الدنيا والآخرة .

وانه لمن المؤسف حقا ان تأتي هذه المزاعم من نفر قليل ينتسبون الى الاسلام ارضاء لاعدائه تارة وحقدا وكراهية تارة اخرى ولأسباب يضمرونها في انفسهم والله يعلمها .

إن الذين يدعون ان أحكام الشريعة الاسلامية أصبحت غير قابلة للتطبيق في هذا العصر لا ينظرون إلا إلى تحت أقدامهم ، وتمنعهم من التأمل فيما حولهم والتماس الخير في الاسلام .. ولو أنهم تأملوا في أحوال البلاد التي تأخذ بأحكام الشريعة منهاجا للحكم لوجدوا استقرارا وهدوءا ، وأمنا وأمانا في مواكبة جليلة للتقدم العلمي الهائل في هذا العصر .. ولوصلوا الى الحلول السهلة للمشكلات الطاحنة التي خلفها بعدهم عن دين الله تعالى .

إن تعاليم شريعة الاسلام تكفل ازدهار المجتمع في كل مناحي الحياة المختلفة .. ففي الناحية الاقتصادية تعنى بالحث على العمل وزيادة الانتاج ، وتبعث القوة على استخدام واستغلال الطاقات والثروات الكامنة في الأرض ، قال تعالى :( **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله** ) الجمعة/١٠ وقال صلى الله عليه وسلم :« ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبي الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يده ( رواه البخاري ) وترفض الشريعة الاستغلال في التعامل فتحرم الربا الذي ثبت علميا انه اساس كل النكسات الاقتصادية في العالم .

ومن الناحية السياسية تؤكد الشريعة الاسلامية وحدة الجنس البشري وتوثق رابطة التفاعل المثلى بين الشعوب والأمم .. قال تعالى « **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ». وهذا ما يسمى الآن « السلام العالمي ».

# تطبيق أحكام الشريعة حاجة ملحة وضرورية

كما أن الشريعة الاسلامية وضعت أساسا قويما لفض المنازعات وإنهاء الحروب ، من خلال التوسط للإصلاح بين الفريقين المتنازعين ، أو الوقوف في وجه الباغي ردا له عن الظلم .. على عكس ما يحدث الآن في حاضرنا اذ نجد انقساما .. هؤلاء يساندون هذه الفئة .. وأولئك يؤازرون تلك .. وجميعهم إنما يساهمون في الإيقاع بالمسلمين لا بأيدي أعدائهم ولكن بأيدي المسلمين أنفسهم .

وكم نحن محتاجون اليوم إلى تطبيق قوله تعالى :« **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين** » ( الحجرات / ٩ ).

كم نحن محتاجون الى إعمال هذا النص لننهي تلك الحرب الضروس بين الشعبين المسلمين في العراق وايران .

كما عنيت الشريعة الاسلامية بالروابط الفردية بين الناس فأمرت بالتراحم والتواد والتعاطف .. وليس أسمى لتكافل المجتمع من الزكاة التي فرضها الاسلام حقا للفقير على الغني .. والتي لو جمعت بطريقة صحيحة ووزعت على مستحقيها لخلا المجتمع الاسلامي من مثالب الفقر والعوز والحاجة كما حدث في عصر عمر ابن عبدالعزيز رضي الله عنه .. ناهيك عن الشورى في الاسلام .

## العلم الصحيح .. دين !!

إن حاجة المجتمع الاسلامي الى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية حاجة ملحة وضرورية ، والجميع ـ حكاما ومحكومين وعلماء وافرادا وجماعات ـ يحملون أمانة إعمال أحكام الشريعة في شئون الحياة .

فالحاكم بيده السلطة ، ويستطيع بأداته التشريعية ـ أيا كانت هذه الأداة ـ أن يصوغ أحكام الشريعة في مواد وقوانين ملزمة .. وهذا يوفر على السلطان الكثير من المتاعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويضمن له ريادة مجتمعة ريادة حكيمة نحو الأمن والاستقرار .

والعلماء دورهم كبير في الإرشاد والتوجيه والتعريف بالاهداف السامية لأحكام الشريعة .. وتقصيرهم له أثره السيء على المجتمعات .. وواجب العلماء ان يقوموا بواجب الدعوة الى التمسك بقواعد الدين واسلام الزمام لتعاليمه .. فهم ورثة الانبياء ، ولقد كان الحبيب صلى الله عليه وسلم

مقنعا بحجته وبيانه ، وقد دخل الكثيرون في دين الاسلام بالاقتناع ، والتفكير السليم .

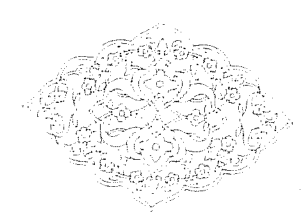
وعلى العلماء ان يجلوا للناس حقيقة صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان ، وعليهم أيضا أن يجلوا حقيقة احتواء الاسلام لكل جديد من مفاهيم العصر الحاضر .. فالاسلام يقدر العلم .. والعلم الصحيح دين ، لانه يطلع الانسان على القدرة الهائلة التي لا تعادلها قدرة ، والتي تدير شئون هذا الكون .. وهكذا يستطيع العلماء ان يخلقوا رأيا عاما يتجه في سلامة الى الطريق السوي التزاما بحكم الله تعالى .

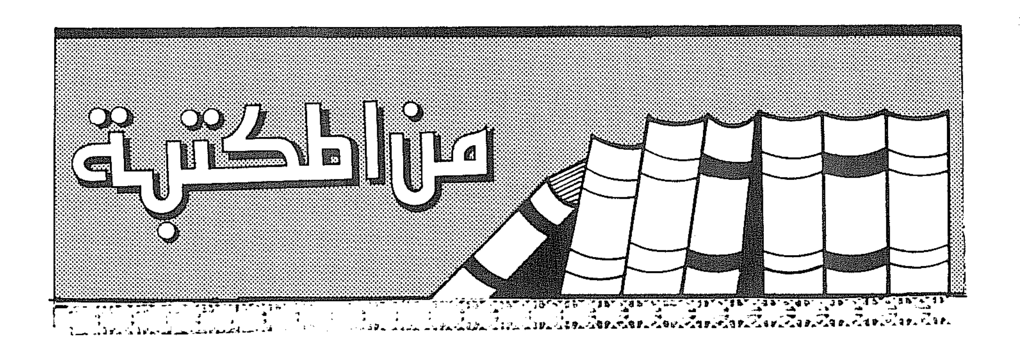
كما أن الفرد في المجتمع المسلم مسئول عن إلزام نفسه باتباع احكام الدين في حياته الخاصة والعامة .. فتطبيق أحكام الشريعة واجب على الحاكم لقوله تعالى :« **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون** » ( المائدة : ٤٩ ).

وهو كذلك واجب على الرعية لقوله سبحانه وتعالى :**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما )** ( النساء : ٦٥ ) .. والفرد في المجتمع متى استمسك بتعاليم الله في حياته مع الآخرين فإنه بذلك يقدم القدوة الصالحة لغيره .. ويسهم بهذا في بناء المجتمع الاسلامي المتكافل المتعاون .

والذي تؤكده الأحداث المتواترة والمتجددة في كل أرجاء الأرض أن المستقبل للاسلام وحده .. فما المشكلات المتزايدة التي يمر بها الناس ، وما الظلم والأثرة والأحقاد التي طفت على السطح إلا دعوة صريحة واضحة للمسلمين كي يصلحوا بينهم وبين الله تعالى .. لعلنا نرفع عنا أيدي أعدائنا الذين باتوا يتربصون بنا الدوائر .. وحتى نصبح من الذين قال الله تعالى فيهم :« **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم . دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمدلله رب العالمين** » ( يونس ٩ ـ ١٠ ).

لقد آن الأوان ليدرك الناس ان البعد عن الدين قد سبب الفوضى اللاأخلاقية في السلوك .. فاختفت الاهداف الكريمة ، والغايات السامية ، والمثل العليا ، وحل محلها الفجور والظلم والأنانية ، وانغمس الناس في الشهوات وليس لنا مخرج من هذه المساوىء سوى العودة الى الاسلام .. والاسلام وحده .

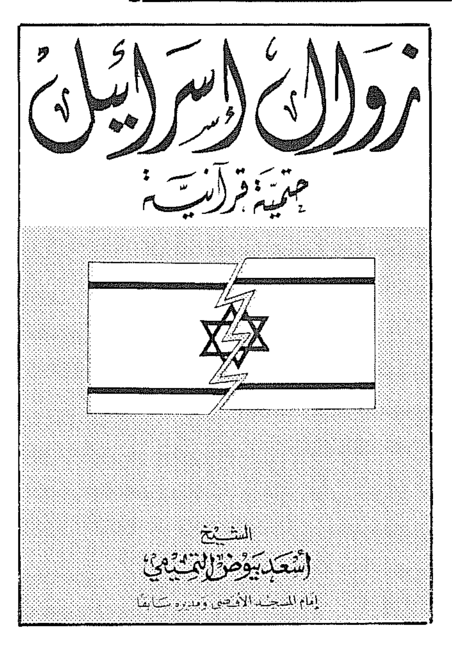





## زوال اسرائيل حتمية قرآنية

● كتاب أصدره المعهد الاسلامي بلندن من تأليف فضيلة الشيخ أسعد التميمي إمام المسجد الأقصى قبل عدوان الصهاينة عام ١٩٦٧ . والشيخ التميمي يطرح في كتابه خلاصة دراساته القرآنية حول مصير دويلة اليهود التي قامت باغتصاب ارض فلسطين الاسلامية وتهجير أبنائها ويؤكد على أن هذه الدويلة في ضوء نصوص القرآن الكريم زائلة فانية على أيدي المسلمين الذين سيفتحون الأرض المباركة من جديد .

● وقد جاء الكتاب في قرابة مائة وخمسين صفحة من القطع الصغير بين المؤلف في المقدمة أن عداء اليهود وتآمرهم على الاسلام والمسلمين عبر التاريخ لم ينقطع ولم يتوقف وانهم في هذا القرن تحالفوا مع النصارى والماسونيين والشعوبيين والشيوعيين في جبهة واحدة لتمزيق بلاد المسلمين وهدم كيانهم وابعاد الاسلام عن التأثير في الحياة ونجحوا التسلل إلى الارض المباركة حيث اقاموا دويلتهم .




● ثم بين المؤلف في الفصل الأول من الكتاب علاقة الاسراء بقضية المسلمين في الارض المباركة ودلل من خلال ذلك على أن الاسراء من مكة إلى القدس إنما هو هدية ايمان وجائزة رضوان للنبي الكريم فيفتح النبي ارض الشام، وفيه اعلان من الله للدنيا في ذلك الحين وللدنيا في كل حين أن

المسجد الاقصى اصبح مسجدا للمسلمين .

وفي الفصل الثاني من الكتاب تحدث المؤلف عن حتمية زوال اسرائيل في ضوء آيات سورة المائدة فوضح أن معنى آيات المائدة في الموالاة بين اليهود والنصارى هو مستقبلي وأن تآمر اليهود والنصارى مجتمعين على المسلمين وأرض الاسلام هو بعض ما جاء به القرآن الكريم وان الآيات تبشر المؤمنين بأن الله سبحانه وتعالى سيغير الأمر بحكمته ويهزم الفئة الباغية .

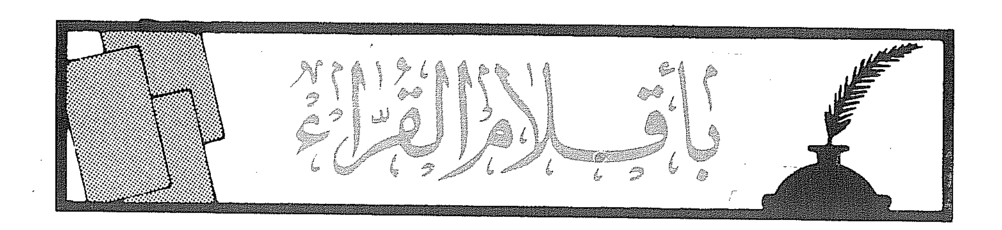
ثم اورد المؤلف آيات اخرى مستنتجا منها حتمية النصر على العدو الغاصب مهما حاول الكفر أن يطيل من عمره لأن عوامل النصر التي تملكها الأمه بدأت تتجه الاتجاه الصحيح المتمثل في الصحوة الاسلامية التي تشهدها ديار المسلمين .

## وظيفة المرأة في المجتمع الانساني

كتاب جديد قامت بنشره مؤسسة الشرق للعلاقات العامة للنشر والترجمة في الدوحة/ قطر وعمان/ الاردن وهو من تأليف الاستاذ علي القاضي . يقع في حوالي مائة وتسعين صفحة من القطع الصغير ويتألف من خمسة فصول .

في الفصل الأول بين المؤلف ان المرأة مختلفة عن الرجل في كل ناحية من نواحيها البيولوجية والفسيولوجية والعقلية والسيكلوجية وغيرها وفي الفصل الثاني تناولت الدراسة اهمية الرضاعة الطبيعية للطفل والام معا واثر ذلك على الاطفال من النواحي الجسمية والعقلية والنفسية وبينت الدراسة المؤامرات التي تحاك لاطفال العالم الثالث من وراء التركيز على اهمية الرضاعة الصناعية . أما الفصل الثالث فهو عبارة عن دراسة عن المساواة بين الرجل والمرأة في الحياة الغربية المعاصرة واثر ذلك في الأطفال والمرأة وتخلخل الأسر أما الفصل الرابع فقد تحدث فيه المؤلف عن ادراك المرأة الغربية للمخاطر التي أحاطت بها وبزوجها وأسرتها ومجتمعها وبداية استجابتها لنداء الفطرة بالعودة إلى المنزل لحمل رسالتها الأصلية في تربية الأجيال ..

ويختتم المؤلف الكتاب بالفصل الخامس متحدثا فيه عن المرأة في الشريعة الاسلامية لاتمام الدراسة من جانبها الاسلامي بصفة عامة ومن هذه الزاوية بالذات .




## دروس الهجرة

لخص القارىء الأخ ( نعيم محمدين ) من مصر الدروس والعبر التي تستفاد من الهجرة النبوية ، والتي يجب أن يأخذ بها قادة المسلمين فذكر الدروس التالية :

١ ـ من يجاهد من أجل دينه يعطيه الله أجر الدنيا والآخرة أما من يعمل لدنياه فلن يبقى له منها شيء وسيكون في الآخرة من الخاسرين .

٢ ـ عدم افشاء السر حتى تسنح الفرصة ويأتي الوقت المناسب فلا تتسرب الأسرار الى العدو . بذلك تكون فرصة النصر أكبر ، وقد ضرب لنا الرسول مثلا رائعا في كتمان السر من خلال تخطيطه للهجرة .

٣ ـ بينت لنا الهجرة لزوم التخطيط السليم والاعداد الجيد في الأمور الهامة والتوكل على الله والاستعانة به في هذه الامور كما قال تعالى على لسان رسوله لصاحبه ( **لا تحزن إن الله معنا** ) .

٤ ـ تقوية عزائم الجند ورفع معنوياتهم مما يدعوهم الى الثبات وعدم الردة عن القائد وقد أشرنا إلى موقف الرسول من آل ياسر .

٥ ـ ينبغي على الجند طاعة القائد مهما كانت المخاطر والعقبات مما يظهر لنا التضحيات الفائقة وقد رأينا علياً ينام في فراش النبي كما طلب منه ـ وهو يعرف بأنه عرضة للقتل .

٦ ـ على الجند حماية القائد لأن القائد هو السلاح الأقوى في المعركة ولو ذهب لتفككت الروابط ولضاعت الفرصة وانهزم الجند ، وقد ضرب لنا أبو بكر مثلا رائعا في حماية القائد .

٧ ـ جاءت الهجرة انتصارا لصاحب الحق على أصحاب الباطل مهما كان عتادهم وكثرتهم لأن قوة الحق هي القوة الباقية وقوة الباطل مؤقتة زائلة : ( **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز** ) الحج/ ٤٠ .

وبعد : ..فإذا أراد المسلمون اليوم أن يستعيدوا بطولاتهم وأمجادهم فعليهم أن يسلكوا الطريق الذي سلكه السابقون من المهاجرين والأنصار ، طريق الوحدة والتضامن ، طريق التضحية والفداء والتفاني في سبيل إسعاد المسلمين ورفع راية الحق .

فيا قادة المسلمين : عودوا الى الوحدة الشاملة عودوا الى نكران الذات ، عودوا الى نبذ الأنانية وترك التفرقة ولتعلموا أن القوة مقترنة بالوحدة والنصر معقود على جمع الشمل ويد الله مع الجماعة .

## يارب .. سبحانك

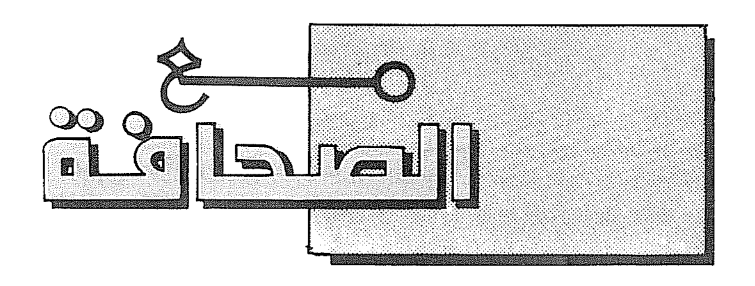
شعر : سيف النصر الطلخاوي

يا رب سبح ذاكرا بعلاكا ... هذا الوجود بريته ليراكا
هذا النظام خلقته في حكمة ... يا منعما فاضت بنا نعماكا
في كل شيء آية وضاءة ... تهدى إلى علياك ، ما أسماكا
فقد ارتآك القلب في محرابه ... في وقفة الصلوات حين دعاكا
في كل خلق من صنيعك شاهد ... في كل ابداع ، بنته يداكا
في النفس تغدو في نعيم زاخر ... اني تروح بأرضها وسماكا
في بحر جودك أنعم فياضة ... في النجم والأشجار جل علاكا
في النملة السوداء في غسق الدجى ... في فلقة الاصباح نور بهاكا
في الزهرة الخرساء تنشر عطرها ... في غصنها المياد بين رباكا
في خفقة العصفور بين رياضه ... في نبضة الميلاد في لقياكا
في نسمة الأسحار في أحلامها ... في نغمة الأطيار لا تنساكا
في هدأة الأمواج في غلوائها ... في الفلك يجري ناعما برضاكا
في رملة الصحراء في أكماتها ... في ذورة تهفو إلى سقياكا
في السحب توقر بالحمال تسوقها ... ريح لأرض ترتوي بقراكا
في كل ذرات الحياة وما بها ... من كل شيء شئته فوعاكا
كل أتاك مكبرا ومسبحا ... الله اكبر لا اله سواكا
وانا بذلي قد أتيت مع الورى ... أرجو نداك وأحتمي بحماكا
فاقبل رجاء القلب في صلواته ... واغفر ذنوبي وارضني برضاكا

## مناجاة

**تحت هذا العنوان كتب الاخ القارىء / احمد بشار بركات ـ ابو ظبي الامارات العربية . يقول :ـ**

يا رب إني نادم مستغفر ... رباه كل مناي بعض رضاكا
يا فارج الكرب الجسام وقادرا ... أن تكشف البلوى وليس سواكا
يا رب قد عظم المصاب بأمتي ... رحماك رب الكون يا رحماكا
هذي شعوب الحق تغفو تارة ... عن حقها وتساير الإشراكا
مالوا إلى الغرب الحقود بكفره ... عجبا لهم إذ صدقوا الأفاكا
والبعض قد تبع الملاحدة الألى ... قد بيتوا شرا لهم وهلاكا
يا رب عفوك إن قومي غرّهم ... زيف الحياة ولا مجير سواكا
أنت المعز لدينه وكتابه ... رباه أهلك كل من عاداكا




## ○ السوفيات يشنون حملة على الدعاة الاسلاميين

نشرت صحيفة ليبراسيون الفرنسية مقالا في اواخر ذي القعدة عن قمع السوفيات للحركة الاسلامية في الاتحاد السوفياتي جاءفيه :

لقد حدث ان تحدثت في الماضي اوساط المنشقين السوفيات عن عمليات اعتقال لوعاظ متجولين ومعلمي مدارس قرانية غير مرخص بها ولكن هذه هي المرة الاولى التي يتم الاعلان فيها في اوزبكستان عن حكم علني على داعية اسلامي يدعى « اكبردي اشكولوف » وجاء في حيثيات الحكم ان اكبردي منافق دجال يسعى وراء الربح المالي وقد سبق له ان اعتقل لمدة ٦ سنوات في احد معسكرات اعادة التأهيل الا انه تلقى في هذه الفترة مبادىء ومعلومات عن الاسلام استعملها بعد خروجه من المعسكر . ودون ان يمر اكبردي في قنوات التدرج الديني الشرعية راح يتصرف كداعية في سمرقند . والواقع ان عدة الوف من الدعاة الاسلاميين يعملون سرا في الاتحاد السوفياتي لان عدد الدعاة الرسميين لا يكفي لحاجات ملايين المسلمين ومن اصل ٢٥ الف مسجد كانت موجودة في الاتحاد السوفياتي قبل الثورة لا يستعمل المتدينون سوى ٤٥٠ مسجدا والباقي مقفل امام الجمهور المسلم البالغ عددهم ٥٠ مليون نسمة من المسلمين السوفيات .

وبسبب نشاط الحركة الاسلامية فان السلطات تدين من وقت لاخر عددا من الدعاة عند الحدود مع ايران « تركمانيا » ومع افغانستان « اوزبكستان » ومع الحدود الصينية في جمهورية كازاخستان ويتولى رجال الدين في كازاخستان بث منشورات اسلامية كما انهم يعملون في مدارس قرانية سرية ويعقدون الزواج ويقومون بالختان الاسلامي وينظمون المآتم . والدعاة النشطون ينظمون زيارات الى اماكن مقدسة هي عموما اضرحة لاولياء حدث احيانا ان بعضهم قد لقي مصرعه خلال مقاومة

الجيش الاحمر اثناء زحفه على اسيا الوسطى والقوقاز مما يعطى نكهة معادية للروس لزيارات الاضرحة وكل سنة يزور الوف المسلمين نصب البخاري ومزارات ومساجد تاريخية دون ان تزعجهم السلطات المحلية مما اثار غضب الصحافة السوفياتية .

ولمواجهة الفكر الديني تقوم المجموعات المكلفة بالكفاح الايديولوجي في الحزب الشيوعي بنشر العديد من المؤلفات التي كان اخرها كتاب صدر في موسكو تحت عنوان : « كيف تستعمل الامبريالية والرجعية الدين الاسلامي للتخريب » .

## ○ استحقاقات سوق المناخ

نشرت مجلة الحوادث اللبنانية في عددها / ١٥٠٢ / مقالا عن آثار أزمة سوق المناخ التي ما تزال تتفاعل على الصعيدين المالي والاجتماعي في الكويت .. وجاء في المقال :

ثلاث سنوات انقضت على انهيار سوق المناخ ومخلفات الانهيار لا زالت تتفاعل على الصعيدين المالي والاجتماعي في الكويت الى ان وصلت ، وببصمات ظاهرة ، الى القطاع المصرفي الكويتي .

رغم ان اعادة جدولة ديون سوق المناخ تسير ببطء وصعوبة ، فقد بدأ يتضح ان معدل القروض الهالكة تتراوح بين ٢٥ و ٤٠٪ من مجموع القروض المصرفية الكويتية . وتكتمل الصورة اذا ما تذكرنا ان المجموع الاجمالي للقروض المصرفية يبلغ ٣,٨ مليار دينار كويتي ، اي ١١,٤ مليار دولار اميركي وان اجمالي رأس مال واحتياطي النظام المصرفي الكويتي يبلغ ٩٥٠ مليون دينار كويتي يضاف اليها احتياطي غير معلن يقدر بحوالي ٨٠٠ مليون دينار .

وزير المالية الكويتي ، جاسم الخرافي ، الح الى احتمال اقدام الحكومة على ضخ حوالي الخمسماية مليون دينار في النظام المصرفي الكويتي لمساعدة البنوك الوطنية على اعادة جدولة ديون زبائنها الذين تأثروا من انهيار سوق المناخ عام ١٩٨٢ .

رغم ان مبلغ الخمسماية مليون دينار لم يؤكد رسميا بعد ، فإن نظرة سريعة على قيمة الديون الهالكة وعلى رساميل واحتياطات بنوك الكويت تظهر بأن المبلغ المقترح قد لا يكون كافيا لازالة آثار « عدوان » سوق المناخ على القطاع المصرفي الكويتي . وهذا ما ترجحه سوق الاسهم الكويتية التي شهد مؤشرها الاجمالي تراجعا من ٥٣,١ الى ٣٣,١ منذ بداية العام الجاري .

هذا لا يعني ان بنوك الكويت تفتقر الى السيولة وهي لا تزال في وضع الدائن للقطاع الصرفي الدولي . الا ان طلب الاقتراض في الكويت ضئيل جدا في الوقت الحاضر والبنوك تحتاج الى ودائع للمدى الطويل وبفوائد متدنية كي تسجل ارباحا في نهاية السنة الجارية . غير ان اوساط المصرف المركزي الكويتي تحرص على التأكيد بأن المبالغ التي ستضعها بتصرف البنوك الوطنية غايتها الابقاء على سلامة وضعها وليس تمكينها من تسجيل الارباح .

بالاضافة الى ذلك ، اوضح وزير المالية ان المساعدات المالية لن تقدم إلا بعد ان تنجز البنوك اعادة جدولة كافة ديون زبائنها الناجمة عن ازمة سوق المناخ ، وبعد ان تستهلك كامل احتياطياتها الداخلية ، المعلنة منها وغير المعلنة .

إذن المساعدة الموعودة آتية ، وان تكن غير كافية ، ولكن ببطء وبشروط صعبة اذا ما اخذنا بعين الاعتبار حق التحفظ السائد في مجلس الأمة تجاه استعمال الاموال العامة لتعويض ضحايا سوق المناخ . وعليه ، تتوقع الاوساط المصرفية في الكويت ان

تقترن المساعدة المالية الحكومية بشروط يجري التداول بها حاليا في اوساط مجلس الأمة وابرزها :

● منح الحكومة حق تبديل اعضاء مجلس ادارة البنوك التي تتلقى مساعدة مالية .

● تعيين ممثلين عن الحكومة او البنك المركزي في مجالس ادارة هذه البنوك .

● تملك الحكومة لاسهم توازى قيمة المساعدة الممنوحة للبنوك .

ايا كانت الشروط التي ستقرها الحكومة الكويتية فإن ابعادها المستقبلية لا تخفى على القطاع المصرفي الكويتي ومن هذا المنظار

يمكن اعتبار المساعدة الحكومية بمثابة ادانة رسمية لدور القطاع الخاص في ادارة بنوك الكويت واقل ما يقال فيه انه لم يكن دورا حكيما . صحيح ان العديد من المصرفيين يحملون الرقابة الحكومية ، او عدمها

على سبيل التحديد ، مسؤولية كبرى في انهيار سوق المناخ التي تعاني البنوك من ذيولها ، الا ان ذلك لا يلغي دور القطاع الخاص ولا مسؤوليته في تجنيب البنوك التورط في معاملات السوق .

قد لا يكون من المبالغة بشيء القول بأن نوعية المساعدة الحكومية للبنوك الكويتية وحجمها لن تقرر سلامة هذه البنوك فحسب ، بل مستقبل القطاع الخاص في ادارة البنوك الكويتية ايضا ، واستطرادا قد تكون ازمة سوق المناخ السبب غير المباشر لتأميم كلي أو جزئي لقطاع مصرفي يقوم على نظام اقتصادي حر !

## ○ قالوا في القمة

● إن مظهر العرب مؤسف للغاية : لا ترابط ولا تعاون وكل واحد يضرب في الثاني ، كل واحد يعمل لحسابه .

**( حسنى مبارك )**

● لقد أكدت القمة نجاحها . **( محمد سياد بري )**

● إن المقاعد الشاغرة في قمة الدار البيضاء هي التي ستقرر المستقبل العربي .

**( صحيفة تشرين الحكومية السورية )**

○ **استطاعت القمة أن تكون عند حسن ظن جماهيرنا العربية .**
**( الشاذلي القليبي )**

○ **كان المؤتمر موفقا حين عبر عن القلق العربي مما عانته المخيمات الفلسطينية من مذابح ومجازر ، وبكل اسف بأياد عربية .**
**( فاروق القدومي )**

● القمة في متاهات التأجيل أحالت قضايا المنطقة الى ملف ريغان ـ غورباتشوف .

**( مجلة الحوادث اللبنانية )**

● المؤتمر لم يعلن تأييده القاطع والواضح للاتفاق الذي تم بين الملك حسين والسيد ياسر عرفات .

**( فايننشال تايمر )**

● ماذا بعد القمة : ١ ) استمرار الانقسام العربي ،٢ ) انهيار الجامعة العربية ، ٣ ) سلام امريكي سوفييتي ، ٤ ) حرب عربية اسرائيلية .
**( مجلة الوطن العربي )**

● القمة تجاهلت لبنان وعلى لبنان ان يتجاهل القمة .

**( ريمون اده )**

# عام جديد..

ثمانٍ وعشرون سنة مضت، و«الوعي الإسلامي» تجدّ في السير على طريق الدعوة ما وسعها السبيل، وتفتح نوافذها لتستقبل رياح الفكر الإسلامي من سائر أقطاره، آملة أن تكون الدوحة التي ترعى خضرتها ونضارتها كلّ فكرة أصيلة تنبع من الهدي الرباني، كما تفيء إلى ظلها العقول المتفتحة المشوقة إلى معرفة الحق، والتبصر به والعمل في سبيله.

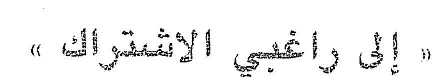
ثمانٍ وعشرون سنة مضت.. ولكن «الوعي الإسلامي» لا ترى أنها أوفت على الغاية التي انتدبت نفسها من أجلها، ولذلك تجدد من واجبها، وهي تستقبل عاماً جديداً، أن تطرح أمام كتابها الأفاضل ما تراه إشكالاً أساسياً في الفكر الإسلامي المعاصر: إن العلاقة بين الفكر والواقع المعاصر ما تزال بحاجة إلى جهد مركز، ليكون ما يقدم من فكر معالجات صميمية لمشكلات الواقع القائم من خلال الرأي الإسلامي الأصيل، ولكيلا تبقى الآراء المعروضة على الصفحات مجرد استعراض لبعض ما فاضت به عبقريات السلف الصالح من ألوان الإبداع.

ومن هنا فإن الماضي التاريخي هو الذي يستحوذ على الفكر المعاصر، فلا تراه يبدأ إلا من الماضي – وهذا أمر مطلوب في الأصل – لكنه لا يلبث أن يعود إلى الماضي مرة أخرى؛ عازفاً عن النفاذ في الواقع والتصدي له لمعالجته بالفكر الأصيل وتجاوزه من ثمة نحو المستقبل. إن نهضة المسلمين بدءاً من عصر النبوة الشريفة.. فعصر الخلفاء الراشدين.. ثم من جاء في عقبهم، كانت – النهضة – من الوجهة الزمنية متوجهة نحو المستقبل دائماً.. إلى ما يجب أن يفعل.. لا إلى ما قد فعل. إن الفرق بين الأمرين هو الفرق بين قراءة التاريخ.. وصنع التاريخ! وقراءة التاريخ مجرد كلام.. أما صنعه فهو الفعل!

في مطلع كل عام تضع «الوعي الإسلامي» نفسها أمام نفسها، قبل أن تضع صفحاتها بين يدي قرائها؛ لتراجع حساباتها، وتلتفت التفاتة لتستبين ما أفضت إليه بعد أن اجتازت مرحلة من الزمن، لتستشرف أخرى على بصيرة صقلتها التجربة، وعركتها الأقلام وعمّرها أملاً وحماسة، ما ترى من تفاعل القراء الأعزاء معها، وإقبالهم المتعاظم على قراءتها، مما حملها على أن تزيد من مطبوعاتها في السنوات الأخيرة وفاءً بحق القراء عليها، وأداءً لأمانة رسالتها من قبل.

والله المستعان.

أسرة التحرير



# « إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

| | | |
|---|---|---|
| مصر | : | القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء . |
| السودان | : | الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب ( ٣٥٨ ) |
| الجزائر | : | الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية |
| المغرب | : | الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية |
| تونس | : | الشركة التونسية للتوزيع ـ 5شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 |
| الأردن | . | عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب ( ٣٧٥ ) |
| السعودية | : | جدة ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق تلفون : ٦٤٤٤٤٤ . |
| | | الرياض ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق |
| | | الخبر ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق . |
| | | المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء . ت : ٢٤٥٩٢ |
| سلطنة عمان | : | وكالة مجان للتوزيع ـ مسقط |
| صنعاء | : | دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص.ب ( ١١٠٧ ) |
| البحرين | : | دار الهلال |
| قطر | : | دار العروبة ص.ب ( ٦٣٣ ) |
| أبو ظبي | : | المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب ( ٦٧٥٨ ) |
| دبي | : | دار الحكمة ص.ب ( ٢٠٠٧ ) |
| الكويت | : | الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨ |

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .







مطابع دار السياسة - الكويت